

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة الحاج لخضر  
- باتنة -

# دور الروابط في اتساق وانسجام

## الحديث القدسي

دراسة تطبيقية في صحيح الأحاديث القدسية للشيخ مصطفى العدوي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات العامة

إشراف الدكتور:  
السعيد بن إبراهيم

إعداد الطالب:  
محمد عرباوي

السنة الجامعية: 2010-2011

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة الحاج لخضر  
- باتنة -

# دور الروابط في اتساق وانسجام

## الحديث القدسي

دراسة تطبيقية في صحيح الأحاديث القدسية للشيخ مصطفى العدوي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات العامة

إشراف الدكتور:

السعيد بن إبراهيم

إعداد الطالب:

محمد عرباوي

لجنة المناقشة

| الاسم واللقب         | الرتبة العلمية       | الجامعة       | الصفة          |
|----------------------|----------------------|---------------|----------------|
| أ.د. فرحات عياش      | أستاذ التعليم العالي | جامعة باتنة   | رئيساً         |
| د. السعيد بن إبراهيم | أستاذ محاضر          | جامعة باتنة   | مشرفاً ومقرراً |
| أ.د. بلقاسم دفة      | أستاذ التعليم العالي | جامعة باتنة   | عضواً          |
| د. محمد زهار         | أستاذ محاضر          | جامعة المسيلة | عضواً          |

السنة الجامعية: 2010 - 2011

# إهداء

- إلى روح والدي الذي زرع فيّ روح التحدي، جعل الله أجر هذا العمل في ميزان حسناته.
- إلى والدتي التي أودعت فيّ حب الخير، أطال الله عمرها ورعاها.
- إلى ولدي المعتصم بالله.
- إلى كل من تعلمت منه ولو التزr اليسير.

مقدم:

## مقدمة:

خلق الله عز وجل الإنسان وعلمه البيان، وخص النبي العدنان بكمال الفصاحة، وأنطقه بجوامع الكلم، وآتاه بحكمته أسرار البلاغة وفصل الخطاب، فقد قال سيد الرسل ﷺ: {أنا أفصح العرب بيد أي من قریش}.

والرسول ﷺ بسنته ما جاء إلا ليبلغ كلام الله ويشرح مقاصد القرآن ويفصل مجمله، حيث حاول بعض المفسدين لأسباب مختلفة أن يدخلوا في السنة ما ليس منها، وتحدثوا كذباً عن رسول الله ﷺ، وهناك من أنكر الأحاديث مثل المستشرق اليهودي "جولد تسيهر" الذي قال بأن معظم الأحاديث النبوية ما قيلت إلا بعد القرنين المهجرين الأول والثاني، ولكن شاء الله أن يحفظ لهذه الأمة دينها فقيض للسنة رجالاً من خيرة المسلمين ديناً وأمانة وكفاءة فوضعوا أدق المناهج العلمية وأعظم القواعد النقدية التي تميز الحديث الصحيح عن غيره.

وقد تعددت هذه المناهج العلمية الحديثة التي تحاول تصنيف النصوص وفهمها والإجابة على أسئلتها، وأكثر هذه المناهج عناية بطبيعة النص وبنائه: علم اللغة والنقد الأدبي، وقد سبقت إلى ذلك البلاغة والأسلوبية ثم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، ثم فقه اللغة وأخيراً علم اللسان، وأظهر البحث في العلاقات الداخلية المتشابكة للنص حاجة ماسة إلى تناول اللغة المكتوبة أو المنطوقة تناولاً ألسنياً، مما أدى إلى وجود مصطلح جديد هو علم اللغة النصي، الذي بين إخفاق علم اللغة النظري والنحو التقليدي في الكشف عن خصوصية الأثر وتفاعله الداخلي.

حيث رامت الجهود اللغوية في هذا المنهج اللساني النصي إلى تحديد العلاقات القائمة في النص، ودراسة الترتيب والتنظيم الداخلي له والتنبيه إلى الروابط التي تسهل على المنتج والمتلقي معاً إدراك التماسك الداخلي للنص.

يُعد بحث الروابط اللغوية من المرتكزات المهمة في الكشف عن طرق البناء النصي، حيث انشغل عدد كبير من الباحثين في علم اللغة النصي، في بحث أدوات بناء النص، واتساقه وانسجامه، مثل: "دي بوجراند"، و"بتوفي"، و"دريسler"، إذ حاولوا الكشف عن العلاقات النصية التي تدعم بنية النص، وتحقق ما اصططلحوا على تسميته "بالكفاءة النصية".

وقد أشار الباحثان "هاليداي" و"رقية حسن" في كتابهما (قواعد التماسك النحوية في اللغة الإنجليزية المنطوقة والمكتوبة) إلى بعض هذه الأدوات الرابطة، كما اقترح الباحث الهولندي "فان

دايك" من خلال كتابه (النص والسياق) وسائل ترابطية أخرى لإشاعة التماسك والانسجام بين أجزاء البنية النصية.

وفي هذا الإطار يندرج هذا العمل المعنون بـ "دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي"، الذي حاولت فيه جمع وتصنيف هذه الروابط من خلال جهود علمائنا العرب القدامى ونظريات المدارس اللسانية الغربية، مع بيان أثرها في تماسك وانسجام نصوص الأحاديث القدسية. إن تطبيق مبادئ علم اللغة النصي على النصوص العربية المقدسة وبالخصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، تلقى معارضة من الكثيرين لارتباط هاتين المدونتين بأحكام التشريع الإلهي، ولأن النظريات اللغوية القائمة في اللغات الغربية قد لا يصلح تعميمها إلى لغتنا العربية على اعتبار أن لكل لغة خصائصها ومقوماتها، وانطلاقاً من ذلك يمكن صياغة إشكالية البحث في السؤال الرئيس الآتي: أليس من الممكن الإفادة مما وصل إليه الدرس اللغوي الغربي دون المساس بأصالة لغتنا وخصوصياتها ودون أن يلحق بنصوصنا المقدسة أية شائبة؟

وهذا السؤال تتفرع عنه الأسئلة الجزئية التالية: هل ما توصل إليه لغويونا قديماً في النحو التقليدي والبلاغة ليس له علاقة بما وصل إليه الغربيون في مجال علم اللغة النصي؟ ما هي معايير تحديد الروابط في المدونة العربية وما معايير تصنيفها؟ أتعريف هذه الروابط يؤدي دور الاتساق النصي فقط أم فائدة الاتساق والانسجام معاً؟ وهل يركز الحديث القدسي على روابط معينة دون سواها؟ هل المنهج الغربي في تحليل الروابط في النص صالح للنص العربي وخصوصاً النص المقدس؟ محاولة الإجابة على الأسئلة السابقة تم صياغة الفرضيات الآتية:

- دراسة الروابط في النص المقدس المتمثل في الأحاديث القدسية لا ينبغي أن تقف عند حدود الجملة دون محاولة إسقاط دورها في النص، حيث أن هناك روابطاً لها فائدة نصية وتواصلية أكثر من أخرى، وأن بعض الروابط التي قدمتها الدراسات الغربية لا يصدق تطبيقها على الحديث القدسي في كشف الاتساق والانسجام، وأن الرسول ﷺ في أحاديثه وخطاباته كان يركز على استعمال بعض الروابط دون الأخرى.

- تحقق الروابط التحاماً داخل النص (الاتساق) وفيه تترابط جمل النص وقضاياها، والتحاماً خارج النص (الانسجام) يقع بين المتلقي والمرسل، لذا يجب الأخذ بعين الاعتبار أيضاً مسألة ترابط هذه الروابط فيما بينها، لأن الاكتفاء بوصف كل رابط على حدة سيؤدي إلى نتائج غير دقيقة في الدراسة.

جاء الدرس اللساني الحديث بمفاهيم جديدة حول نحو النص ولسانيات النص وبدأ تطبيقها من طرف الدارسين على الشعر وعلى النص الثري ثم على القرآن الكريم، وباعتبار اللغة المتضمنة في النص القرآني هي لغة معيارية فقد كانت في كل مرة هدفا بارزا للدراسات والأبحاث اللغوية وفق المناهج الحديثة، أما الدراسات المطبقة على الحديث النبوي الشريف وفق المناهج اللسانية الحديثة فهي -حسب علمي- قليلة، ولعل هذه التجربة المتواضعة بالبحث في هذا الموضوع تمثل خدمة بسيطة للحديث النبوي الشريف من خلال بيان مدى تماسكه وانسجامه وفق نظريات اللغويين القدامى والمحدثين وإبراز قيمة ودور الروابط اللفظية في فهم الخطاب النبوي.

وإذا كان الخطاب القرآني مقدسا، فإن الحديث النبوي ما هو إلا سليل ذلك الخطاب المقدس فالرسول **ﷺ** ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وخاصة الحديث القدسي الذي ينقل كلام الله على لسان نبيه الكريم، فلغة خطابه بذلك هي أقرب إلى لغة القرآن من حيث المعيارية، وهي أنسب للتحليل لبيان قيمة الأدوات والكلمات المستعملة في خطابه لتجعله كلاً متماسكا منسجما مع سياق الموقف وحالة المتلقي، ولا حرج في تطبيق نظريات المنهج اللساني النصي على النص القرآني أو نص الحديث النبوي الشريف لأنها نصوص مقدسة تقبل بذاتها ما يناسبها وتلقي بذاتها ما لا يناسبها، وسأحاول أن أختار من الروابط أهمها في العربية وأبرزها في نصوص الحديث القدسي، والغاية هي فهم النص المقدس، ومعرفة أسباب تماسكه وانسجامه.

وهناك سبب آخر توخيته من هذا البحث وهو تقسيم الروابط من حيث علاقتها بالانسجام أو الاتساق، ليس إلى روابط لفظية تختص بالاتساق وأخرى معنوية تختص بالانسجام، وإنما الاقتصار على الروابط اللفظية باعتبارها تحقق المفهومين معاً، وتصنيفها إلى نوعين روابط إحالية لها علاقة بالإحالة وروابط غير إحالية ميدانها الأصيل هو الوصل والتركيب، وهي كلها تسهم في ترابط النص وتماسكه، كما تسهم في خلق الجو المناسب لتحقيق ظاهرة الانسجام في النصوص المقدسة، من خلال استثارة الروابط لآليات الانسجام الأخرى مثل: التغريض، المعرفة الخلفية، المقام، والتي لا تجد مجالها إلا في ظل نص متماسك متسق، ونشير هنا أن الدكتور "صبيح إبراهيم الفقي" في كتابه (علم اللغة النصي) يقسم هذه الروابط إلى شكلية ودلالية، أما الدكتور "مصطفى حميدة" في كتابه (نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية) يرى أن الربط يكون في الاتساق النصي أما الارتباط فيكون في انسجام الخطاب، فرأيت أن التقسيم الذي أعتمدته يكون أكثر دقة وتحديداً.

ومن الأسباب التي دفعتني إلى الرسو على موضوع "الروابط" الرغبة في ربط هذا الموضوع بما أظهرته المدارس اللسانية الغربية الحديثة التي لم تكتف بالروابط اللفظية فحسب بل تعدت ذلك إلى إيجاد روابط معنوية لتماسك النص وانسجامه، وهو مفهوم متداول في التراث النقدي العربي لدى علمائنا القدامى مثل عبد القاهر الجرجاني والسكاكي والجاحظ وأبو هلال العسكري، لكن باصطلاح آخر وهو السبك والحبك.

تم اختيار الأحاديث القدسية للدراسة والتحليل والتطبيق؛ لتضمنها مجموعة من الروابط بطريقة ملفتة للنظر ومتميزة، كما أن الطرح اللساني النصي داخل نص الحديث فيه تميز وفراة، يُضاف إلى ذلك تميز أدوات التواصل والإقناع أيضاً، وقد اعتمد البحث في الجانب التطبيقي على الأحاديث القدسية التي اعتنى بنصّها وشرحها الشيخ أبو عبد الله مصطفى بن العدوي شلباية، وعددها مئة وأربعة وستون (164) حديثاً، لأجل ذلك كان توجهي للحديث القدسي ودراسة جانب من جوانبه اللطيفة وهي اتساق نصوصه وانسجامها من خلال توظيف مختلف الروابط اللغوية العربية فيه لما لهذا من أهمية كبيرة في بناء النص.

أذكر من الباحثين الذين كانت دراساتهم قريبة من هذا الموضوع: "عادل زغير" في دراسته (الربط في الجملة العربية)، وهي رسالة ماجستير في اللغة العربية من جامعة بغداد سنة 1988، "مصطفى حميدة" في دراسته (نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية)، وهي رسالة دكتوراه في اللغة العربية من جامعة الإسكندرية، ثم صدرت على شكل كتاب سنة 1997، "حامد علي منيفي" في دراسته (الربط اللفظي في لغة الحديث الشريف، مختصر البخاري للزيدي أنوذجاً)، وهي رسالة ماجستير في اللغة العربية من جامعة اليرموك سنة 1999، "غازي فتحي سليم" في دراسته (الروابط في الكتابة العربية الحديثة، دراسة تطبيقية)، وهي رسالة دكتوراه في اللغة العربية من معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة سنة 2000، "حسام البهنساوي" في مؤلفه (أنظمة الربط في العربية)، "جمعة عوض الخباص" في مؤلفه (نظام الربط في النص العربي)، وهناك دراسات كثيرة في مجال لسانيات النص، علم اللغة النصي، ثنائية الاتساق والانسجام، ودراسات أخرى في الفقه والتفسير والحديث النبوي الشريف، لكن في حدود اطلاع الباحث لم تتم دراسة الأحاديث القدسية دراسة لسانية في ضوء اللسانيات النصية، وضعت على عاتقها الكشف عن روابطها اللغوية حسب أثرها في الاتساق أو الانسجام، فتكون هذه الدراسة قائمة لإنجاح هذا الهدف المشار إليه.



بعد تمعن كبير في أهم الروابط الفاعلة في علم اللغة النصي، تم تقسيم البحث إلى أربعة فصول: فصلين نظريين وفصلين تطبيقيين على مدونة صحيح الأحاديث القدسية للشيخ مصطفى العدوي، سبق ذلك مقدمة للبحث تطرح فيها الإشكالية وخطة البحث وأهم المراجع المعتمدة. يليها الفصل الأول تم فيه بيان مفاهيم حول علم اللغة النصي من حيث التعريف والهدف والتطور، ثم عرض إسهامات التراث العربي فيه، ومصطلحاته الخاصة به مثل السبك والحبك، وكذا أهم الأدوات الرابطة فيها سواء النحوية أو البلاغية وغيرها، ثم حاولت مقارنة الحديث القدسي مع النص والخطاب من خلال تعريف هذه المصطلحات الثلاثة وبيان الفرق بينها تمهيداً لإعطاء فكرة مسبقة عن الخصائص اللغوية والنصية لمدونة الأحاديث القدسية.

الفصل الثاني عرضت فيه المفاهيم الثلاثة التي تشكل مفاتيح عنوان البحث، وهي: الاتساق، الانسجام، الروابط، حيث تم تناولها بشيء من التفصيل من خلال النظريات الغربية المتوالية في موضوع لسانيات النص، التي بينت أدوات الاتساق وآليات الانسجام، وكذا وسائل الربط التي ذكرها اللغويون الغرب في بحوثهم وخاصة في اللغة الإنجليزية، ومن ثم حاولت رصد أهم الروابط اللغوية العربية التي لها علاقة بعلم اللغة النصي، وكشف العلاقة الوطيدة بين الاتساق والانسجام، وإلى أي مدى يمكن التفريق بين المفهومين، كما تم في هذا الفصل اعتماد تصنيف معين للروابط يلائم البحث سبقت الإشارة إليه: وهو روابط إحالية وروابط غير إحالية، نستعين به في دراسة دور الروابط عموماً في اتساق وانسجام النص المقدس في الفصلين التطبيين المواليين.

يكون التطبيق للتنظير السالف الذكر في فصلين أحدهما يخصص للروابط الإحالية ودورها في اتساق وانسجام الحديث القدسي، وأهم هذه الروابط هي الضمائر، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة، أل التعريف، ولم أتحدث عن الإحالة كرابط لغوي نصي بل هي نتيجة لازمة للروابط السالفة الذكر، أما الفصل الآخر فبني على الروابط غير الإحالية وهي عديدة أحاول حصرها في بعض الروابط مثل: أدوات الشرط وجوابه، أدوات القسم، أدوات النفي، أدوات النداء، أدوات الاستفهام، أدوات العطف.

وفي خاتمة البحث وضحت النتائج التي توصلت إليها، وحاولت الإجابة على عناصر الإشكالية المذكورة في المقدمة، والفائدة المتوصل لها من خلال الدراسة التطبيقية لمدونة الحديث القدسي.

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي الإحصائي:

01- المنهج الوصفي: وصف جهود الدرس اللغوي العربي وأهم النتائج العلمية التي توصل إليها، ثم ما جاء به الدرس اللغوي الغربي في مجال لسانيات النص، ووصف طبيعة وأنواع الروابط التي من شأنها دفع النص نحو الاتساق والانسجام، كما تخلل هذا الوصف عمليات تحليل النظريات العربية والغربية حول مفهومي الاتساق والانسجام وتلخيص أهم الروابط التي يلتقي فيها الدرسان العربي والغربي وتحليل علاقة كل رابط بموضوع الاتساق أو الانسجام في الحديث القدسي.

02- المنهج الإحصائي: إحصاء هذه الروابط في المدونة لمعرفة ما يمتاز به الخطاب النبوي عموماً، ونص الحديث القدسي خصوصاً، عن باقي النصوص الأخرى، وبيان أثر تلك النسب الإحصائية في توجيه فهم الحديث وسهولة حفظه وروايته، ومن ثم أثر نص الحديث في نفسية وسلوكيات المتلقي، وقد عززت جهدي الإحصائي برسومات بيانية حيث تم تذييل كل فصل تطبيقي بالأعمدة التكرارية التي توضح تردد الروابط في النص، وكل مبحث من فصل بدائرة نسبية تبين نسبة كل رابط على حدة.

واجهت خلال إنجاز هذا العمل العديد من العوائق والصعوبات أهمها:

01- قلة المصادر والمراجع التي تناولت بالدراسة لغة الحديث النبوي الشريف، وطبقت عليه مناهج اللسانيات الحديثة.

02- مراعاة السياق في كل حديث ومناسبته بالرجوع إلى كتب السيرة، وشرح الأحاديث النبوية وكذا كتب التفسير لأن بعض الأحاديث القدسية تتضمن آيات بينات من الذكر الحكيم، ومن ثمة الحذر في التعامل مع هذه النصوص المقدسة.

03- تعدد الروابط وكثرتها على مختلف المستويات النحوية والصرفية والمعجمية والدلالية والبلاغية والتداولية، مما يصعب عملية التحكم في تصنيفها، فمنها ما ظهر مع الدرس اللغوي الغربي ومنها ما كان موجوداً من قبل في تراثنا العربي ولكن باصطلاح مختلف ووجهة نظر لغوية عربية، ولحالة السيطرة على البحث حصرت مجال الدراسة التطبيقية فيه على البحث عن الروابط اللفظية فقط في مدونة مجموعة الأحاديث القدسية الصحيحة، خاصة وأنها تمتاز بنصوص مشكلة من عدد لا بأس به من الجمل المركبة والموسعة تناسب البحث في مدى اتساقها وانسجامها.

أهم المراجع المعتمدة في البحث من القديم مصادر النحو الأساسية ومنها: الكتاب لسيبويه، المقتضب للمبرّد، الخصائص لابن جني، ومغني اللّيب لابن هشام، والجنى الداني للمرادي، كما استفدت كثيرا من كتب البلاغة مثل دلائل الإعجاز للجرجاني، البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي، ومن الدّراسات الحديثة: اللغة العربية معناها ومبناها، والخلاصة النحوية للدكتور تّمام حسّان، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطايي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق لصبحي إبراهيم الفقي، نسيج النص للأزهر الزناد، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات لسعيد حسن بحيري، بالإضافة إلى بعض المؤلّفات المترجمة، منها: تحليل الخطاب لبراون جيليان ويول جورج، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات لتون فان دايك.

في الأخير أحمد المولى سبحانه على رحمته بي وتوفيقه لي، ثم أتوجه بالشكر الخالص لأستاذي المشرف الدكتور السعيد بن إبراهيم على تحمله مشاق متابعة هذا البحث عبر كل هذه السنوات الثلاث وحرصه الشديد على أن يحقق البحث أهدافه المرجوة، وعلى توجيهاته القيمة التي كان لها الأثر الإيجابي في البحث إلى غاية تمامه وإصداره، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

# الفصل الأول:

حول لسانيات النص

تمهيد

أولاً - ماهية لسانيات النص

ثانياً - إسهام التراث العربي في لسانيات النص

ثالثاً - الحديث القدسي بين النص والخطاب

خلاصة

## تمهيد:

انتبه علماءنا العرب من النحاة واللغويين القدامى إلى قضية الربط في الجملة وما بين الجمل، وتناولوا بالدرس موضوع الروابط اللغوية، غير أن اهتمامهم به لم يكن في أعمال متخصصة وإنما في ثانياً بحوثهم النحوية والبلاغية، وإذا كان مصطلح الروابط عُرف قديماً فإن الاتساق والانسجام مصطلحان حديثان ظهرا عند اللغويين العرب بظهور المنهج اللساني النصي، فماذا يقصد بلسانيات النص؟ ومن له يد في تشكل هذا العلم أأعرب أم الغرب؟ وهل يُعنى هذا العلم بالنص فقط دون الخطاب؟ وما موقع الحديث القدسي منهما باعتباره مادة هذا البحث؟ أسئلة نحاول الإجابة عليها فيما يأتي.

## أولاً: ماهية لسانيات النص

### 1 - مفهوم لسانيات النص:

لسانيات النص علمٌ ناشئٌ وحقلٌ معرفي جديد تكوّن بالتدرّج في السبعينيات من القرن العشرين، وبرز بديلاً نقدياً لنظرية الأدب الكلاسيكية التي توارت في فكر الحداثة وما بعد الحداثة، وراح هذا العلم الوليد يطور من مناهجه ومقولاته حتى غدا أهمّ وافدٍ على ساحة الدراسات اللسانية المعاصرة، وقد نشأ على أنقاض علوم سابقة له كلسانيات الجملة واللسانيات التّسقيّة والأسلوبية، فانطلق من معطياتها وأسس عليها مقولات جديدة، وهو قريب جداً من صنوة تحليل الخطاب، غير أن هذا الفرع الأخير يقوم على أساس التحليل البنوي، أما فرع لسانيات النص حتى وإن استثمر جميع النظريات اللسانية السابقة عليه فهو يقوم في الأعم الأغلب على أساس التحليل التداولي، وأهم ملمح في لسانيات النص أنه علم غني متداخل الاختصاصات يشكّل محور ارتكاز عدة علوم، ويتأثر دون شك بالدوافع ووجهات النظر والمناهج والأدوات والمقولات التي تقوم عليها هذه العلوم.

تكاد تتفق جل التعريفات على أن لسانيات النص «فرعٌ من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة... وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص، وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد»<sup>1</sup>، وهي عادة ما تهتم «بدراسة مميزات النص من حيث تماسكه ومحتواه الإبلاغي التواصلية»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار فباء، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ج1، ص35.

<sup>2</sup> - جيليان براون و جورج يول: تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطزي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، الرياض، السعودية، دط، 1997، ص30.

وبما أن هذا العلم تشكلت نظرياته عند الغرب، فإن مصطلحاته جاءت بناءً على ثقافة الغرب اللغوية والأدبية، فهذا العلم له اسم واحد في اللغة الفرنسية وهو: Linguistique textuelle، وله اسم واحد أيضاً في اللغة الإنجليزية وهو: text linguistics، غير أنه تبين من خلال المراجع المعتمدة في البحث أن هذا المصطلح تُرجم للعربية بمصطلحات عدة منها:

- لسانيات النص: استعمله الباحثان: "محمد خطابي" و"تمام حسان".
- علم لغة النص: استعمله الباحث: "سعيد حسن البحيري".
- علم اللغة النصي: استعمله الباحثان: "صبحي ابراهيم الفقي" و"فالح بن شبيب العجمي".
- نظرية النص: استعمله الباحث: "إبراهيم خليل".
- أجرومية النص: استعمله الباحث: "سعد مصلوح".
- علم النص: استعمله الباحثان: "صلاح فضل" و"جميل عبد المجيد".

ونحن نميل إلى استعمال مصطلح (لسانيات النص) بالنظر إلى شيوعه لدى الدارسين المحدثين، وباعتباره الأدق والأوفى في المفهوم، ومعناه هو علم لغة النص الذي تتعدد مستويات التحليل اللغوي فيه، ولا يقتصر على نوع واحد من النصوص بل يتجاوزه إلى أشكال أخرى مثل الإعلانات والإشهار والمقال الصحفي والفيلم السينمائي وكل منتج ثقافي معاصر يتشكل في هيئة نص.

## 2- هدف لسانيات النص:

إذا كان النحو نظاماً من القواعد والحدود والمقولات التي تختص بلغة ما، وإذا كانت اللسانيات الوصفية تضطلع بمهمة تطوير أنحاء لغات طبيعية بإجراء المقابلات بين الأنظمة الافتراضية فيما يتعلق بمستويات الصوت والصرف والتركيب<sup>1</sup>، فإن لسانيات النص «قد أخذت على عاتقها مهمة تحديد الملامح أو السمات المشتركة بين النصوص ووصفها وتحليلها استناداً إلى معايير مختلفة... والكشف عن أوجه الاختلاف والفروق الدقيقة بينها»<sup>2</sup>.

فبعدما أضحى الاعتماد على الأبنية اللغوية وحدها عاجزاً عن تفسير النص بدقة، ظهرت الحاجة للاستعانة بعناصر خارجية غير لغوية لم يكن التحليل القائم على الجملة يعرفها كربط النص بالسياق الاتصالي وتأثيره في المتلقي، لذا فمهمة هذا العلم هي «أن يصف الجوانب المختلفة لأشكال

<sup>1</sup> - روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2007، ص576.

<sup>2</sup> - سعيد حسن بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص70.

الاستعمال اللغوي، وأشكال الاتصال ويوضحها، كما تحلل في العلوم المختلفة في ترابطها الداخلي والخارجي... والكشف عن الخصائص المشتركة وسمات الأبنية والوظائف»<sup>1</sup>.

فالنص باعتباره بنية لغوية متشابكة هو محور اللسانيات النصية، التي تهدف إلى الدراسة الموضوعية للنصوص الطويلة والقصيرة، والبحث في أبنيتها الداخلية والخارجية ووصف العلاقة بين تلك الأبنية، ومن ثم كشف أوجه التشابه التي تطبع النصوص وتحديد الملامح المميزة لنص ما عن غيره، وكغيرها من العلوم الإنسانية اكتسبت لسانيات النص صبغة عالمية واتجهت أبحاثها نحو وضع قوانين عامة تحكم النص بوجه عام، والنص الأدبي بوجه خاص، دون الارتباط بلغة معينة.

كما جاءت لسانيات النص لتثبت نصية نص ما من عدمها، إذ تفيدنا في التفريق بين ما هو نص يعتمد في الدراسة والوصف والتحليل وما هو ليس نص، فهي بمثابة غربال يكشف به ترابط النص والتحام أجزائه وتعالق وحداته لتشكيل وحدة كلية شاملة، أو يبين عدم الترابط والالتحام بين هذه الأجزاء والوحدات، يرى اللغوي "روبرت دي بوجراند Robert De Beaugrand" أن العمل الأهم للسانيات النص هو دراسة مفهوم النصية من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية المتخذة من أجل استعمال النص<sup>2</sup>.

قدمت لسانيات النص خدمات جليلة لبعض العلوم الأخرى كالترجمة وعلوم الاتصال واللسانيات التطبيقية (في مجال تعليم اللغات الأجنبية)، وبالمقابل فإنها تستفيد من تلك الخدمات بشكل كبير «إذا تم استغلالها في إعادة النظر لبعض القضايا التي لم تلق الاهتمام الذي تستحقه ومنها: علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية، والتراكيب المتجزئة، وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى الضمير، والتفريعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية وغيرها»<sup>3</sup>.

وهو ما ذهب إليه اللغوي "تون فان دايك Teun Van Dijk" من أن علم النص علم متداخل الاختصاصات يهدف أساساً إلى تحليل عام للنصوص، ويتعلق بكل أشكال النص الممكنة والسياقات المختلفة المرتبطة بها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - تون فان دايك: علم النص من داخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص11-12.

<sup>2</sup> - روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص95.

<sup>3</sup> - أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص39.

<sup>4</sup> - تون فان دايك: علم النص من داخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، ص14-15.

كما تسعى لسانيات النص إلى تحليل البنى النصية واستكشاف العلاقات النسقية المفضية إلى اتساق النصوص وانسجامها والكشف عن أغراضها التداولية، حيث يُبين الدكتور "صبحي إبراهيم الفقي" بأنها «... ذلك الفرع من علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها: الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي ودور المشاركين في النص المنطوق على حد سواء»<sup>1</sup>، ويرى أن مهام لسانيات النص تتجلى في إحصاء الأدوات والروابط التي تسهم في التحليل وإبراز دور تلك الروابط في تحقيق التماسك النصي مع الاهتمام بالسياق وأنظمة التواصل المختلفة.<sup>2</sup>

فمن أهم ملامح لسانيات النص النظرة الكلية للنص التي ترصد وسائل التماسك والترابط العميق بين وحداته الجزئية مع التأكيد على ضرورة المزج بين المستويات اللغوية المختلفة. وفي هذا الصدد يرى الدكتور "محمد حماسة عبد اللطيف" أن لسانيات النص تدرس وتصف العلاقات والروابط اللغوية مثل العطف، السببية، والاستدراك والتحليل والعلاقات الدلالية والرأسية بخاصة كالمناسبة بين الآيات والسور عند المفسرين للقرآن الكريم، والفصل والوصل عند البلاغيين، والعلاقات في الحقيقة كثيرة ومتنوعة منها التعميم والتخصيص، الإجمال والتفصيل، الانحطاط والرقى، وتختلف من نص إلى آخر بحيث يكاد كل نص يبتكر وسائل تماسكه الدلالية.<sup>3</sup>

إن هذه التعريفات والآراء كلها تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن النص هو موضوع اللسانيات النصية ومهمتها تتمثل في وصف وتحليل وسائل تماسك وانسجام عناصر ومكونات بنية النص اللغوية في المستوى الشكلي والدلالي وحتى الصوتي والبلاغي والتداولي، بحسب طبيعة وخصوصية النص المدروس، وتلج على أهمية تسليح القارئ بالكفاءة المعرفية التي تمكنه من ممارسة آليات القراءة والتأويل والغوص في اكتشاف المقاصد وربط النص بسياقه لصنع انسجامه، ومعنى هذا أن اللسانيات النصية أعطت اهتماما كبيرا لوظيفة اللغة وإعلاء شأن المتلقي.

فلسانيات النص تراعي في وصفها وتحليلاتها عناصر لم توضع في الاعتبار من قبل، وتلجأ في تفسيراتها إلى قواعد تركيبية ودلالية ونطقية<sup>4</sup>، بحيث تسعى إلى تحقيق هدف يتجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى قواعد إنتاج النص، إذ لم يعد الاهتمام مقتصرًا على الأبعاد التركيبية للعناصر اللغوية في

<sup>1</sup> - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص37.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه: ص56.

<sup>3</sup> - محمد حماسة عبد اللطيف: الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، دار غريب، القاهرة، مصر، د.ط، 2001، ص37.

<sup>4</sup> - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، شركة لوجمان، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص321-322.



انفرادها وتركيبها، بل لزم أن تتداخل معها الأبعاد الدلالية والتداولية، حتى يمكن أن تفرز نظاماً من القيم والوظائف التي تشكل جوهر اللغة، إذ ليس من المجدي الاهتمام بالوصف الظاهري للمفردات، وأبنية تتضمن في أعماقها دلالات متراكمة نشأت عن استخدامها وتوظيفها في سياقات ومقامات متعددة.

ولقد التفت الدكتور "أحمد عفيفي" نحو مسألتين مهمتين، يمكن أن يُستفاد منهما في الدراسة النصية للتراث العربي وهما: مسألة النظر إلى مفهوم التضمن عروضياً باعتباره عيباً من عيوب القافية مع أنه ارتباط دلالي مباشر، ومسألة افتقار قصيدة العصر الجاهلي إلى الوحدة العضوية الكاملة، من خلال دراسة وسائل التماسك والترابط النصي فيها<sup>1</sup>.

وهكذا يكون تميز لسانيات النص في اتساع مجال الرؤية لديها، فهي تنطلق من دلالات عامة تتجاوز حدود الجمل إلى وحدات نصية كبرى، وتحدد الوسائل التي مكنت من ربط الجمل وشكلت منها وحدة دلالية متلاحمة الأجزاء للوصول إلى وحدة النص، فهذا الاتجاه الذي ظهر حديثاً هو «أكثر المناهج المعاصرة تبلوراً وإفادة من المقولات السابقة عليه، واستيعاباً لها لإدراجها في منظومته العلمية»<sup>2</sup>، كما أنه أكثر المناهج استقراراً من حيث إجراءاته والأدوات التي يستعملها في تفاعله مع النصوص.

### 3- تطور لسانيات النص:

تُعَدُّ لسانيات النص آخر المناهج ظهوراً حتى الآن، فقد بدأ الاشتغال بهذا الاتجاه النقدي اللساني منذ منتصف الستينات من القرن الماضي، والناحية التاريخية لنشوء وتطور هذا العلم ليست في الحقيقة أمراً ذا أهمية بالغة، كما أن ذلك ليس من صلب موضوع البحث، لذا سيتم التركيز فقط على بعض النقاط التي تفيد في توضيح منهج البحث، وكذا الوقوف عند بعض المفاهيم الاصطلاحية المحورية. فقد شهدت العلوم الإنسانية والاجتماعية نشوء مناهج جديدة تعتمد على التحليلات النصية، كمنهج تحليل المحتوى في علم الاجتماع، ومنهج تحليل المحادثة في علم الطب النفسي، وهي شديدة الارتباط بمنهج تحليل النص الأدبي، يقول الدكتور "صلاح فضل": «وينبغي أن نؤكد الربط بين انتشار علم النص وذيوع التحليلات النصية في مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة وبروز

<sup>1</sup> - أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص32.

<sup>2</sup> - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص161.

مناهج متعددة»<sup>1</sup>، حيث يقصد بمصطلح علم النص: لسانيات النص ويرى أيضاً: «أن العلوم الجديدة تنمو كتخصصات من قلب علوم أخرى قائمة بوسائل متقاطعة»<sup>2</sup>.

وهو ما ذهب إليه "فان دايك" من أن التحليل اللغوي للنص الأدبي ما هو في الحقيقة إلا تيار مواكب لما تعرفه العلوم الأخرى من تطور، فلسانيات النص جزء من نزعة طغت على التوجه العام للأبحاث الحاصلة في العلوم المجاورة للدراسات اللغوية والأدبية وبخاصة العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلوم الاتصال والفلسفة والتاريخ<sup>3</sup>.

حدث هذا بالتوازي مع جنوح الدراسات اللغوية والأدبية إلى نقل اهتمامها من الجملة إلى النص، وهو المجال الثاني الذي تدين له لسانيات النص بوجودها، فقد «انطلقت النداءات بضرورة الخروج من بوتقة التحليل على مستوى الجملة إلى مستوى أكبر هو التحليل على مستوى النص»<sup>4</sup>.

لقد بقي البحث اللغوي رديحاً طويلاً من الزمن مقتصرًا عند مفهوم الجملة من حيث أنها ذات علاقات محدودة بين عناصرها لا تؤدي إلى معنى يرتبط بمفهوم التخاطب، فقد عرفت بتعاريف نهائية مثل: «إن الجملة عبارة عن فكرة تامة أو تتابع من عناصر القول، ينتهي بسكتة أو نخط تركيبي ذو مكونات شكلية خاصة»<sup>5</sup>.

فالجملة هي الوحدة اللغوية المجردة التي يقابلها مجموعة من الكلمات المركبة حسب قوانين التركيب، أما المجموعة المأخوذة خارج كل حالة خطاب مما ينتجه المتكلم ويسمعه المخاطب فتشكل ما يدعى بالقول وليس بالجملة<sup>6</sup>، فالقول يتصل بأحوال التخاطب أما الجملة فترتبط بالقاعدة المثالية لسانياً.

وسار النحو العربي على المنحى نفسه حيث انطلق من الكلمة والجملة، وهذا راجع ربما إلى تعقيد اللغة والرغبة في تقويم اللسان والنطق السليم للكلمات والجمال وليس النصوص<sup>7</sup>، أي إن الضرورة التعليمية فرضت هذا النوع من الدراسة.

بظهور كتاب (دروس في اللسانيات العامة) لصاحبه اللغوي "دي سوسير De saussure"، ظهرت مفاهيم لسانية حديثة مثل النظام، البنية، الدال والمدلول، وتغير مفهوم الجملة فأصبح يرتبط

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 319.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 320.

<sup>3</sup> - تون فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، ص 14-15.

<sup>4</sup> - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 49.

<sup>5</sup> - روبرت دي بوجران: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص 88.

<sup>6</sup> - ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، إربد، الأردن، دط، 2005، ص 137.

<sup>7</sup> - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج 1، ص 49-50.

بالنظام الذي تنتمي إليه وليس بمعزل عنه، وعن طريق التحليل يتم الوصول إلى العناصر المكونة لهذا النظام كالكلمات والجمل، ويتحدد النظام من النواحي الشكلية والتركيبية الموجودة في النص وليس في الجملة، والجملة حسب "دي سوسير" هي مجال لسانيات الكلام وليس لسانيات اللغة، فهي تعبر عن القواعد المفترضة في اللغة وتسمح بصياغة أنماط أخرى من الجمل<sup>1</sup>.

عكف التحليل اللساني بعدها على اعتبار الجملة نموذج التركيب الأمثل، وعلى دراستها تحت تأثير مفهوم البنية الذي جاء به "دي سوسير"، وتم إسقاط هذا المفهوم على أجزاء الجملة فشمّل: الأصوات والصرف والنحو والدلالة<sup>2</sup>.

فقد ركزت المدرسة السلوكية الأمريكية بزعامه "ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield" على الجملة وأقصت الدلالة في بداية الأمر<sup>3</sup>، ورفضت من الأساس دراسة أبنية لغوية تتعدى الجملة، «وقد كان "بلومفيلد" من جهته يرفض أن يأخذ على عاتقه الوحدات الاستدلالية الأكثر امتداداً من الجملة»<sup>4</sup>.

ومن المفارقات أن مدرسة النحو التوليدي التحويلي بمعية "نوام شومسكي Noam Chomsky" التي سبقت ظهور علم النص لا تعتد في اللغة بأي مكون خارج الجمل ومن الناحية الإجرائية يتم تأويل الاسم المفرد مثلاً وفق قواعد التحويل والاستنباط، ليصبح مطابقاً لمقتضى الجملة<sup>5</sup>، واتجهت هذه المدرسة إلى دراسة الجملة من خلال البحث في كفاءة المتكلم ومقدرته على توليد أو إنتاج عدد لا حصر له من الجمل انطلاقاً من عناصر لغوية محدودة<sup>6</sup>، ومن ثم عرف النحو عندها بأنه توليدي تحويلي يسعى لإجراء التحويلات المختلفة في الجمل وليس في النصوص.

وهكذا لم يحض النص بأي اهتمام من قبل المدارس التي جاءت بعد "دي سوسير"، ولعل الاستثناء قد حصل مع حركة الشكلايين الروس، ثم بعدها فيما عرف باللسانيات المنظوماتية التي تعتبر ضمناً النص بوصفه معطى منذ بداية التحليل<sup>7</sup>، وبالإضافة إلى انتمائهم اللساني البارز فقد: «أعطوا أهمية خاصة للتصنيف والنمذجة وللوصف الدقيق المفصل للأعمال الأدبية، ووضع المصطلح

<sup>1</sup> - روبرت دي بوجران: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص 88.

<sup>2</sup> - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 329.

<sup>3</sup> - سعد عبد العزيز مصلوح: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، جامعة الكويت، الكويت، د. ط، 1990، ص 413.

<sup>4</sup> - روبرت دي بوجران، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص 88.

<sup>5</sup> - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 329.

<sup>6</sup> - عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2008، ص 117.

<sup>7</sup> - روبرت دي بوجران: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص 120.

التقني الذي يعبر عن ذلك وهو ما أعطى لعملهم صبغة علمية وموضوعية بارزة، وشكل الأسس الأولى للنص الأدبي»<sup>1</sup>.

ويتضح لنا جليا من هذا الكلام أن حركة الشكلايين وإن كانت فعلا قد تناولت النص الأدبي بالدراسة، غير أن أعمالهم المنجزة تختلف عن ما يقصد بلسانيات النص.

إن دراسة النصوص في الحقيقة هي دراسة للمادة الطبيعية التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة، لأن الناس لا تنطق حين تنطق، ولا تكتب حين تكتب -جملا أو تتابعا من الجمل- ولكنها تعبر في الموقف اللغوي الحي من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الآخرين، ويكثر في هذه الحال تصادم الاستراتيجيات والمصالح وتعقد المقامات، وتشابك العلاقات في نسيج معقد بين الشكل والمضمون على نحو يصبح فيه رد الأمر كله على الجمل أو نماذج الجمل تحاهلا للظاهرة المدروسة<sup>2</sup>.

أي إنه لدراسة وفهم جملة ما نحتاج إلى جمل أخرى قبلها أو بعدها في ضوء السياق اللغوي والمقامي، فجملة (كان أزرق اللون) مثلا مبهمة، يتضح معناها إذا سبقت بجملة مثل:

1- اشترت دولابا قديما، كان اللون أزرق.

2- نظر البحار باستحسان إلى السماء، كانت زرقاء اللون.

3- أخذت عينة من دم السائق، كان أزرق اللون.

إن فهم جملة (كان أزرق اللون) ووصفها دلاليا يتوقف على واحدة من الجمل التي سبقتها، وهذا يعني حتمية تعدي الجملة إلى وحدات لغوية أوسع منها، والمطالبة بتحليل يتجاوزها<sup>3</sup>، «...ومعنى هذا أنه حان الوقت لتجاوز نظرة أغلب اللغويين البنيويين القائلة بأن الجملة هي الوحدة القاعدية للنظام اللغوي»<sup>4</sup>.

وهكذا نبع الإحساس بأن نحو الجملة ليس كافيا لدراسة جميع الأبنية اللغوية، فبغض النظر عن إمكانية كون النص مفردة أو جملة، فهو في الغالب متوالية من الجمل، غير أن بنيته ليست صورة مكبرة عن بنية هذه الجمل، كما أن معناه ليس هو معاني هذه الجمل متجمعة، ويمكن أن نلاحظ بوضوح أن معاني جمل بعض النصوص لا علاقة لها بالمعنى العام للنص، ومع هذا قد تكون الجمل محورية في بنية النص ومعناه.

<sup>1</sup> - منور أحمد: علم النص من التأسيس إلى التأصيل، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، دار الحكمة، الجزائر، العدد 12، 1997، ص 21.

<sup>2</sup> - سعد مصلوح: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص 413.

<sup>3</sup> - برنارد شيلنر: علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب والبلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية، القاهرة، ط 1، 1991، ص 184.

<sup>4</sup> - خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصة، الجزائر، ط 2، 2006، ص 167.

ويرى الدكتور "صبحي إبراهيم الفقي" أن من أسباب اللجوء إلى الدراسة النصية، هو أن أوجه الترابط التي أفرزتها التحليلات على مستوى الجملة لم تعد كافية لتغطية مستوى النص وإيجاد العلاقة بين فقرة وفقرة، ونص ونص، وهذا يبرز عند النظر إلى السور القرآنية، فلا يمكن إدراك هذه الصلة والترابط من خلال نحو الجملة، بل النظرة النصية كما هي بمفهومها الواسع<sup>1</sup>.

ثم إن الاتصال بين العلوم وتطافرها كعلم النحو والبلاغة والنقد والشعر من العوامل التي ساعدت بقوة في توسيع مجال الدراسة إلى النص<sup>2</sup>، فالشعر الذي يتسم بالوحدة العضوية يتطلب دراسة نصية للقصيدة بكاملها وليس بيتاً أو جملة منها.

ومن ثم كان التمرد على نحو الجملة والاتجاه إلى نحو النص أمراً متوقعا، واتجاهها أكثر اتساقا مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث، لذا دعا الكثير من اللغويين إلى مستوى من التحليل يصل إلى ما فوق الجملة، فكان النص ضمن مجال دراسة ما اصطلاح على تسميته بعلم اللغة النصي.

ففي سنة 1952 بدأت الإرهاصات الأولى لهذا العلم في التشكل، حين قدم العالم اللغوي الأمريكي "زاليغ هاريس Zellig Harris" أستاذ اللغوي "شومسكي" منهجه في تحليل النصوص، وهو منهج يتجاوز لسانيات الجملة إلى تحليل الخطاب المترابط بنقل منهج التحليل البنيوي من الجملة إلى النص.

حيث يمثل مقاله (تحليل الخطاب) أولى المحاولات الصريحة التي تكلمت عن وحدة أكبر من الجملة، وسماها تارة النص وتارة القول المتتابع وتارة الخطاب، وإذا كان هذا المقال يؤسس لمنهج تحليل الخطاب، فإن أهم ما فيه هو مقدمته التي أشار فيها إلى منطلقات هذا المنهج، حين يقول: «يمكن أن نقوم بتحليل الخطاب انطلاقاً من نوعين من القضايا المرتبطة ببعضها، أولاهما هو توسيع مجال اللسانيات الوصفية إلى خارج حدود الجملة الواحدة، والثانية تمس العلاقات بين الثقافة واللغة أي بين السلوك غير اللغوي والسلوك اللغوي»<sup>3</sup>.

ويبدو أنه يدافع عن منهج اللسانيات الوصفية وفاءً لأستاذه "بلومفيلد"، ويحرص على ضرورة توسيع مجالها إلى ما هو أكبر من الجملة، يضيف في سياق آخر: «إن أدوات اللسانيات الوصفية بلورت بشكل يسمح بدراسة أي قول مهما كان طوله»<sup>4</sup>، أي أن الجمل المتتابعة في نصٍ ما هي

<sup>1</sup> - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص52.

<sup>2</sup> - الأزهر الزناد: نسيج النص ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993، ص5.

<sup>3</sup> - روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص120.

<sup>4</sup> - المرجع السابق، ص 121.

أرضية خصبة لمناهج علم اللغة الوصفي الذي يدرس التوزيع النسبي للعناصر داخل امتداد كلامي متوالٍ.

ولا يكفي الوقوف عند تحليل القول المتتابع في حد ذاته، وإنما يجب ربطه بالخارج أي بما هو غير لغوي، لأنه يمكن أن يمدنا هذا التحليل بمعلومات «عن بعض التعالقات بين اللغة وأشكال أخرى من السلوكيات، ومرد ذلك إلى أن كل خطاب متتابع منتج في مقام معين»<sup>1</sup>.

أدرك "هاريس" أن وحدة الكلام لا تكون في كلمات محدودة أو في جمل مفردة، بل بكونه نصا متتابعاً يبدأ من الجملة ذات الكلمة الواحدة حتى العمل المؤلف من مجلدات ومن النقاش والحوار الذاتي، وأشار قائلاً: «إن اللغة لا ترد في صور كلمات أو جمل منعزلة، بل في نص مترابط بدءاً من المنطوق المكون من كلمة واحدة حتى المؤلف المكون من عشرة مجلدات من الحوار الفردي حتى المناظرة العامة»<sup>2</sup>.

فالنص عنده يمثل كلاً له بنية تتميز بخاصية التتابع، وأسس بمسألة التتابع هذه ما يعرف بالتحليل التوزيعي، وهو نوعان توزيع للوحدات داخل الجملة وهو يتميز بإمكانية إعادة ترتيبها فيه، مثل الانتقال من البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول، وتوزيع الجمل داخل النص وهو يتميز بخاصية الثبات، ومن ثم فإن أي تغيير في ترتيب جمل نص ما يعني أنه أصبح نصاً آخر.

وبنظرته التوزيعية فإن العناصر المتتابعة ليست عناصر لها المعنى نفسه، ولكنها فقط متكافئة وتسمى فئة تكافؤ، ثم يجزأ النص إلى فواصل، بحيث تمثل كل فاصلة تتابعا من فئات متكافئة، ويمثل المحور الأفقي عنده فئة التكافؤ في الجمل المفردة، والمحور الرأسي فئة التكافؤ في الجمل المتتابعة<sup>3</sup>.

ولعل أهم إجراء لتحليل النصوص لدى "هاريس" هو العثور على أوجه التكافؤ بتقطيع النص إلى عناصر تركيبية مجتمعة في طبقات متعادلة، تتكون كل طبقة من مجموع العناصر التي يمكن أن تظهر في سياق متشابه أو متطابق، وهنا تتجلى نزعة "هاريس" التجريدية، ومنهج التوزيعي، وثقافته الرياضية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 121

<sup>2</sup> - فولفجانج هاينه مان وديتر فيهيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، دار النشر العلمي والمطابع، الرياض، السعودية، دط، 1999، ص 25.

<sup>3</sup> - بريجيت بارثنت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشو مسكي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص 236.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 235.

والحقيقة أن النظر إلى النص على أنه مجموعة من الجمل المتتابعة فحسب لا يسوغ الكلام عن نحو للنص في مقابل نحو للجملة، فعمليات التحويل والاختزال تسمح بدمج مجموعة من الجمل في جملة واحدة، مما يجعل الحدود بين الجملة ومجموعة الجمل فاقدة لدلالاتها وغير حاسمة، فالنص «كلُّ إطار يزول داخله لبس وإيهام الجمل، لأنه يقدم دلالات أكبر من مجموع دلالات الجمل المكونة له، ويحتوي على افتراضات واقتضاءات غير التي في الجمل، وله إمكانية إعادة الصياغة بأشكال عديدة بخلاف الجملة»<sup>1</sup>.

كما أن رفع اللبس عن الجمل يستند إلى الترابط بينها، فكل جملة تتحدد دلالتها بالنظر إلى غيرها من الجمل، وهذا ما يعكسه مفهوم التبعية، وقد بدأ هذا التوجه يتبلور مع نهاية الستينات، تجلّى في شكل نقد للنحو التوليدي الذي أصبح إطاراً نظرياً مهيمناً في هذه الفترة.

ويعتبر "فان دايك" من أوائل الذين تبناوا هذا التوجه، حيث حاول الدفاع عن أنحاء للنص، بعد مقارنة بين نحو الجملة ونحو النص، فكما أن هناك بنية سطحية في الجمل هي التماثل لبنية عميقة فكذلك للنص بنية عميقة وبنية سطحية هي مجال دراسة العلاقات بين الجمل<sup>2</sup>.

وهكذا تم تحويل القواعد الأساسية للنحو التقليدي حتى تصبح قادرة على إبراز بعض الظواهر التي لا يسمح الوقوف بتفسيرها عند حدود الجملة كالضمائر العائدة وبعض مظاهر اللبس التي تتطلب خروجاً عن حدود الجملة، وتصبح آلية التوليد القاعدية متجاوزة للمركب الاسمي والمركب الفعلي إلى تنابع جمل بسيطة أو مركبة بعدد غير محدود.

كما تبين أن الخطاب الملائم هو أكبر وحدة بنائية للغة، يحتوي على سمات مميزة تضمن له النجاح على مستوى التواصل، ويختلف شكلياً عن اللانص ومجموعة الجمل غير المترابطة. ويشكل هذا التصور منعطفاً هاماً في تاريخ تحليل اللغة في المستوى الأكبر من الجملة، ولئن بقي توجه هذه المحاولة بنيوياً، فإن هذا لا يقلل من أهميته من حيث كونه أدرج موضوع دراسة النص ضمن الأسئلة اللسانية المعاصرة.

بعد "هاريس" جاءت الكثير من الأعمال التي عرفت تبلور الأفكار واستقرار المصطلحات، ففي النصف الثاني من ستينات القرن العشرين بدأ هذا المصطلح يستقر تحت أسماء عديدة منها<sup>3</sup>: في اللغة

<sup>1</sup> - مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص255.

<sup>2</sup> - تون فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، ص130.

<sup>3</sup> - أنظر: صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص294.

الأنجليزية: لسانيات النص Texte Linguistics واللسانيات النصية Textual Linguistics ونحو النص Texte Grammar وتحليل الخطاب Discourse analysis، وفي اللغة الفرنسية: علم النص Science du texte،... الخ

ثم أخذت البحوث في بداية السبعينات تدعو إلى اللسانيات النصية صراحة وتوجه نقدا صريحا لنحو الجملة، وأهمها جهود: بتوفي، كونو، جندن، دريسلر، وفان دايك، شميدت<sup>1</sup>، «.. وذهب أغلب العلماء إلى أن "فان دايك" هو المؤسس الفعلي لعلم النص.. وقد كتب الكثير من اللغويين المعاصرين في علم النص مثل: شتمبل، جليسون، هارفج، شميدت، دريسلر، برينكر، أدام، بوجراند، وغيرهم»<sup>2</sup>. يقول "دي بوجراند" في مقدمة كتابه (النص والخطاب والإجراء): «عقدت العزم في أواخر عام 1976 على إنتاج مقدمة للسانيات النص بالتعاون مع "ولفجانغ دريسلر" الذي صادفت مقدمته 1972 استقبالا حسنا وكان الحل الذي جاء به البروفسور "دريسلر" هو توسع مجال اللسانيات ليصل إلى إقليم النصوص»<sup>3</sup>.

وتبين من جهود هؤلاء اللغويين أن النص يستوعب تغيرات لا يمكن أن تكون في الجملة مثل الحذف والفصل والإحالة، لذا يجب أن ننظر إليه بوصفه ضرباً من الجملة المضاعفة<sup>4</sup>. ومن ثم فإن كثيراً من الظواهر التي تعالج في إطار النص كوحدة كبرى هي في حقيقة الأمر كانت محور كثير من البحوث النحوية التي كانت تعتبر الجملة أكبر وحدة في التحليل، غير أن نحو النص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها<sup>5</sup>.

ومع أن أولى إرهاصات هذا العلم تعود إلى "هاريس" إلا أنه في الحقيقة من الصعب نسبته إلى مدرسة أو اتجاه معين أو عالم لغوي بعينه، فقد توغلت "رقية حسن" أيضاً في كشف مظاهر الانسجام الداخلي للنصوص مكتوبة كانت أم محكية، وسبقت "فان دايك" الذي لم يتطرق إلى هذه الفكرة إلا سنة 1972 حين ألف كتاب: (بعض الجوانب في قواعد النص)<sup>6</sup>، ثم توالى التأليفات في إطار هذا

<sup>1</sup> - روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص 66-67.

<sup>2</sup> - عفيفي أحمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 32-33.

<sup>3</sup> - روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص 64.

<sup>4</sup> - أزوالد ديكر و جان ماري سشايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياش، ي، المركز الثقافي العربي، بيروت وبلبنان والدار البيضاء بالمغرب، ط2، 2007، ص 536.

<sup>5</sup> - سعيد حسن بحيري: علم اللغة النصي المفاهيم والاتجاهات، ص 135.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 224.



العلم الجديد، وانصب اهتمامها في كشف مظاهر الاتساق والانسجام في النصوص وتوضيح آليتهما ومستوياتهما.

غير أنه لا شك أن الدرس اللغوي الحديث يستفيد من نتائج الدرس القديم، ولعل العودة إلى عمل القدماء تكشف لنا أحياناً أن ما جاء به الدرس الحديث ما هو إلا تحصيل حاصل أو تغليف لجهود القدماء بغلاف الحداثة والإبداع، ولا بد من الاعتماد على منهج المزاوجة والربط بين القديم والحديث في دراسة الفكر اللغوي لكشف مدى قيام الدراسات اللغوية الحديثة على نتاج التراث العربي خصوصاً في مجال البلاغة والنحو والتفسير والنقد، وإثبات علاقة ذلك بالتحليل النصي المعاصر لأن «..البدا من الصفر المنهجي في هذا المقام -مقام الدراسة النصية- يعني إهدار أربعة عشر قرناً من النتاج اللساني المتميز، الذي هو إنتاج قوم من أعلم الناس بفقهاء العربية وأسرار تركيبها وذخائر تراثها..»<sup>1</sup>، فالدراسة النصية الحالية تقتضي النظر في الأفكار الصالحة في التراث العربي، ثم دراستها على ضوء المناهج المعاصرة المتاحة، فما هي أهم جهود القدماء العرب التي تمثل إسهامهم في علم اللغة النصي؟

### ثانياً - إسهام التراث العربي في علم اللغة النصي.

قدم علماء العرب القدامى مفاهيم عدة لها علاقة وطيدة بما يعرف اليوم بلسانيات النص باعتباره حقل معرفي جديد يجعل من النص محور الدراسة، وخصوصاً من خلال ما كتبوه في النقد والبلاغة والنحو والتفسير وعلوم القرآن.

### 1- النقد:

#### 1-1- "حازم القرطاجني" والتماسك النصي:

ألف "القرطاجني" كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) في عصر بلغ النقد فيه فهماً واسعاً للتراكيب وتجاوز حدود الجملة إلى مستوى النص، حيث قسمه إلى أربعة مباحث هي: اللفظ (يمثل معجم الجملة)، المعنى (يمثل دلالة الجملة)، النظم (يمثل تركيب الجملة)، والأسلوب (يمثل المستوى النصي).

واهتم بالوحدة الشعرية والعلاقات والروابط بين الجمل المكونة لها، فهو أول من قسم القصيدة العربية إلى فصول حيث يتكون الفصل من بيتين إلى أربعة موحدة المعنى والبناء، «..وأدرك الصلة

<sup>1</sup> - سعد عبد العزيز مصلوح: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص45.

الرابعة بين مطلع القصيدة وما سماه بالمقطع، وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير والنهائي عن القصيدة»<sup>1</sup>.

وحتى يكون الفصل متماسكاً مترابطاً لا بد أن تكون مواده: متناسبة المسموعات والمفاهيمات، حسنة الاطراد، غير متخاذلة النسيج، غير متميز بعضها عن بعض (التميز الذي يجعل كل بيت كأنه منحاز بنفسه)،...وكان "القرطاجي" يرى الكلمات خيوطاً متداخلة ينشأ من قوة تشادها ثوب مكتمل النسيج متينه<sup>2</sup>.

يتطابق هذا النظر ويكاد يكون حرفياً مع ما ذهب إليه "فان دايك" في حديثه عن ترابط البني المؤلفة لكل نص، فقد سبق "حازم" إلى تحديد بعض المفاهيم النقدية كمفهوم النظام الذي يقترب من مفهوم النسق، ومفهوم الاقتران القريب من مفهوم الاتساق، ومن هنا كان "لحازم القرطاجي" السابق في الاهتمام بانسجام النص الشعري وتلاحمه<sup>3</sup>.

وكان اهتمامه أيضاً حول التأليف والتلاؤم في الكلام، فتكلم عن تلاؤم حروف الكلمة الواحدة، وكذا كلمات الجملة الواحدة، وأيضاً الجمل بعضها مع بعض، إلى أن تشكل لنا وحدة منسجمة، فلم يغفل بذلك حتى الانسجام الصوتي لأهميته في الربط بين المعاني، يقول: «ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه، والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء: منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة، تلاصقها منتظمة في حروف مختارة، متباعدة المخارج، مرتبة الترتيب، الذي يقع فيه خفة وتشاكل ما»<sup>4</sup>.

ووصل باهتمامه بالانسجام إلى المستوى التداولي، حيث يرى أن التأثير على المتلقي مرتبط بحسن ديباجيته، وهي أمور تتعلق باللفظ والمعنى، والنظم، والأسلوب، ومرتبطة أيضاً بالاستعداد والقابلية، والاستعداد نوعان: حال وهي النفس، الاعتقاد في الشعر أنه حكم وأنه غريم<sup>5</sup>.

ونلاحظ هنا ارتباط البعد التداولي عند "حازم" بالسياق النفسي أكثر وهو مما جعله يقترب في كثير من آرائه مما توصل إليه "فان دايك" الذي يعتمد على عناصر تداولية في تحليله للنصوص، وبذلك يمكن القول أن "حازم القرطاجي" قد سبق بجهوده الغرب بعدة قرون.

<sup>1</sup> إبراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص56.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص151.

<sup>3</sup> نوال لخلف: الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجاً، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006/2007، ص113.

<sup>4</sup> القرطاجي، أبو الحسن حازم (ت684هـ): مناهج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص222.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص274.

## 1-2- "الجاحظ" والتحام الأجزاء:

قدم "الجاحظ" في كتابه (البيان والتبيين) آراءً نقدية تناول فيها ذم الشعر الركيك المفكك، الذي لا تتلاءم ألفاظ البيت الواحد فيه وكأن كل لفظة ليس لها علاقة بما قبلها وما بعدها، فهي ثقيلة على لسان القارئ يصعب فهم معانيها، حيث يقول: «...ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض استكراه، فمن ذلك قول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ      وَلَيْسَ قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ<sup>1</sup>

أي أن معيار الجودة والحسن عند "الجاحظ" يكمن في السبك وترابط وتلاحم الكلمات والجمل بعضها ببعض في الشعر، يقول: «وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحداً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»<sup>2</sup>.

ويفصل في هذا التلاحم فيجعله في الكلمة الواحدة وفي الكلمات المكونة للجملة الواحدة، وفي الجمل المشكلة للأبيات وللقصيدة ككل، فيقول: «...وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساء، ولينة العاطف سهلة، وتراها متباينة، ومتنافرة ومستكرهة، تشق على اللسان وتكده والأخرى سهلة لينة...خفيفة على اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد»<sup>3</sup>.

واهتم بالبعد الصوتي في الألفاظ والحروف ومدى تألفه أو تنافره، فالتألف مرتبط بتباعد مخارج الأصوات، سواء في الكلمة الواحدة أو في الكلمات المتجاورة، والتنافر مرتبط بتقارب المخارج أو تماثلها، حيث يقول: «...فهذا في اقتران الألفاظ، فأما في اقتران الحروف، فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا العين، بتقديم ولا بتأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير»<sup>4</sup>.

ومن خلال شرحه لفكرة تلاحم الأجزاء يمكن إبراز هذه الأجزاء فيما يلي: الأبيات المشكلة للقصيدة، الأجزاء المشكلة للبيت (الصدر والعجز)، الأجزاء المشكلة للشطر (الألفاظ)، الأجزاء المشكلة للألفاظ والحروف (الأصوات).

<sup>1</sup> - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1998، ج1، ص88.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص89.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص89.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص91.

ومثله في ربط الكلام بالنسيج مثل ارتباط النص الغربي بالنسيج، فيقول: «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء في صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج، وجنس من التصوير»<sup>1</sup>.

يتبين أن "الجاحظ" من خلال آرائه النقدية اجتهد في إيجاد وسائل تماسك النص وتلاحم الأجزاء وجودة السبك والنسيج، ورغم أن نظريته النقدية جاءت عامة افتقرت إلى التبرير النحوي اللساني إلا أن جهوده أضحت مرجعاً لأشهر البلاغيين بعده الذين جعلوا من البلاغة السابقة التاريخية لإرساء قواعد لسانيات النص.

## 2- اللغويون.

### 1-2- "ابن قتيبة" والبحث في انسجام النص القرآني:

ألف "ابن قتيبة" كتاب (تأويل مشكل القرآن) في القرن الثالث الهجري، بهدف الرد على الملاحدة الذين طعنوا في القرآن العظيم واتبعوا ما تشابه منه وادعوا للحن فيه والتناقض والاختلاف وتأولوا فيه كثيراً من القضايا، حيث يقول: «فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون»<sup>2</sup>.

قام "ابن قتيبة" بتقديم حجج هؤلاء ثم بدأ بدحضها وردّها عليهم عن طريق البحث عن الدليل في الشعر وفي الحديث النبوي، ثم يدلي بحجج موضوعية وبنهج علمي واضح، فكانت دراسته للنص القرآني قريبة مما تعرفه لسانيات النص حديثاً، فهو<sup>3</sup> يرد على من ادعى على القرآن التناقض والاختلاف بفكرة انسجام القضايا الواردة في النص القرآني ووضوحها، وينظر بنظرة شاملة للنص القرآني كله، فلا يقدم موقفاً ما إلا بعد عرض مختلف الآيات الواردة فيه من باب تكرار الكلام و الزيادة فيه، ويفرق بين الواو الرابطة والواو غير الرابطة ويبين دور أدوات الربط في اتساق النص، ويتحدث عن التكرار والحذف في القرآن الكريم فيأتي بالكلام محذوف الجواب اختصاراً لعلم المخاطب به ويمنحه بعداً تداولياً.

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ج1، ص100.

<sup>2</sup>- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (213-296 هـ): تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1973، ص23.

<sup>3</sup>- نوال لخلف: الانسجام في القرآن الكريم، ص103.

فقد طرح "ابن قتيبة" في كتابه قضية انسجام النص القرآني التي تنظر إلى السور والآيات المتباعدة نظرة متألّفة، وهي قضية خطابية نصية، كان من الممكن أن يترتب عنها تنظير في نسق النص غير أن النقاش البلاغي حولها وقف عند حدود الكلام<sup>1</sup>، فلو اتسع مجال البحث في هذه المسألة لكانت الدراسات اللسانية النصية هي الدرس البلاغي في ذلك الوقت، وقد كان متأثراً في دراساته بغيره من أمثال "الجاحظ" لكن تأثيره في غيره من البلاغيين كان أكبر من أمثال: "الرماني" و"الخطابي" و"البقلائي"، الذين استطاعوا أن يكشفوا في النص القرآني خصوصية الانسجام ومفاهيم جمالية جديدة.

## 2-2- "البقلائي" والنظرة الشمولية:

تأثر "البقلائي" بابن قتيبة وألف كتاب (إعجاز القرآن) الذي وقف فيه على سر إعجاز القرآن وعلى قضايا بلاغية نصية، فهو يرى في أسلوب البشر النقص والاضطراب وعدم انسجام المعاني واختلال المباني أحياناً، وهو سبب عجز الفصحاء عن الإتيان بمثل القرآن ولو بآية، على عكس القرآن الكريم الذي تظهر منه روعة النظم وحسن السبك، فقضايا الفصل والوصل وعلاقة افتتاحية السورة بنهايتها وبتماسكها الكلي الشامل وترابط موضوعها، مما لها مكان هام في لسانيات النص الآن، قد تحدث عنها "البقلائي" في القرن الخامس الهجري، من خلال نظريته للقرآن الكريم نظرة شاملة مبيّناً أن سر إعجازه يكمن في أسلوبه: «فالقرآن معجز في أسلوبه الذي يسير على سنن ونمط متجانس، دونما إخلال أو اضطراب أو تفاوت بين سورة وسورة أو آية وآية أو موضوع وموضوع، فهو على الدوام منفرد بذلك الأسلوب... وأنت ترى غيره من الكلام يضطرب في مجاريه، ويختل تصرفه في معانيه، ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقة... ونظم القرآن في مؤلفه ومختلفه، وفي فصله ووصله، وافتتاحه واختتامه...»<sup>2</sup>.

وأكثر من هذا يربط "البقلائي" في استعمالاته بين النظم والتأليف وبديع الرصف، في تحليله لسورة النمل يقول: «ثم انظر فيها آية آية وكلمة كلمة، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم، وبديع الرصف؟ فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية... ثم من قصة إلى قصة، ومن باب إلى باب، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصور لك الفصل وصلاً ببديع التأليف وبلغ التزييل»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمد العمري: البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دبط، 1999، ص145.

<sup>2</sup> - البقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب (ت403هـ): إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، دبت، ص205.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص190.

ويقوم "الباقلائي" بتفسير انسجام الآيات رغم تباعد مواقعها، فيقول: «تجد آيات متباعدة في المواقع نائية المطارح، قد جعلها النظم البديع أشد تألفاً من الشيء المؤلف في الأصل، ويكشف عن أوجه الخلوص من احتجاج إلى وعيد ومن إغذار إلى إنذار، مختلفة لكنها تألف بشريف النظم، ومتباعدة تتقارب بعلي الضم»<sup>1</sup>

فنظرته تجمع بين التحليل البصير والتذوق الرفيع لكنه حين يكرر المصطلحات التالية: الرصف، النظم، الضم، التألف، التقارب، لا يقدم تبريراً نحوياً لترتيبها وتعلق دلالاتها، بل بقي الموقف جزئياً وذوقياً دون أن يكون ذلك عن قصور وعجز، وإنما هو حالة لمرحلة معينة ذات إبداع يلائمها، ورغم ذلك فإن البلاغة وقتئذٍ اختصت بدراسة الأبنية النصية ووظائفها الجمالية، واهتمت بفصيح الكلام الذي تتناسق معانيه مع ألفاظه، وتتوجه إلى تحديد كيفية التأثير في المستمع أو القارئ والتفاعل بين أطراف الاتصال الأساسية (نص-منتج-متلقي)، وهذا التوجه من خصوصيات البحث اللغوي النصي الحديث.

## 2-3- "الجرجاني" وفكرة النظم والتعليق:

يعد الإمام "عبد القاهر الجرجاني" من علمائنا الذين قدموا إسهاماً علمياً ناضجاً في مجال التنظير والتطبيق النصي في نظرية النظم التي قدمها في كتابه (دلائل الإعجاز)، وتبرز قيمته في أنه جمع بين علوم كثيرة كالنحو وعلم المعاني وعلم البيان والتفسير ودلالة الألفاظ والمعجمية والمنطق...، وألّف بين أشاتها في تناغم عجيب واتخذ منها أدوات معرفية متضافرة لتحقيق هدف واحد هو: خدمة النص القرآني وبيان إعجازه.

وقد كانت فكرة الانسجام النصي واضحة في ذهن "عبد القاهر" وضوحاً متميزاً حتى إنه يعبر عنها بقوله: «واعلم أن مثلاً واضح الكلام مثلاً من يأخذ قطعاً من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة...»<sup>2</sup>، وهذا يدل على أن بنية النص في تصور "عبد القاهر الجرجاني" تصل إلى مرتبة الصهر الذي هو أعلى درجات التشكيل.

ورغم أن "الجاحظ" و"الرماني" سبقا إلى تناول نظرية النظم إلا أن "الجرجاني" يعود إليه حسن تشكيّلها وصياغتها وتوضيح فكرة تضافر الوحدات وتلاحمها، حيث لم تتوقف جهوده اللغوية عند قضايا البلاغة المرتبطة بجودة النص وأثره في المتلقي كالحقيقة والجاز والاستعارة والكناية، وإنما كان له

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ص194.

<sup>2</sup> - الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت471هـ): دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 5، 2004، ص190.

الفضل في دراسة موضوعات تتعلق بنحو النص وآليات انسجامه، وكانت ذات أثر فاعل في تحديد مفهوم النص ذاته وكيفية بنائه وقوانين إنشائه.

يربط "الجرجاني" بين النظم القرآني ومضمونه، يكون قد ربط بين جانبيين لا يمكن الفصل بينهما لفهم المقصد من النصوص، وهما الجانب التركيبي والجانب الدلالي، فقد «..عمل الجرجاني إلى ربط النحو بالدلالة، فنظر في العلاقة بين المكون التركيبي والمكون الدلالي، العلاقة التي تأخرت النظرية التحويلية في إدراكها ومعرفة أهميتها إلى ظهور كتاب شومسكي الثاني، بعد كتابه الأول بعشر سنوات»<sup>1</sup>.

والنظم عند "الجرجاني" يتجاوز ترتيب الألفاظ إلى تناسق دلالاتها وتلاقي معانيها، فهي خدم للمعاني الدالة على المعقولة المنسجمة في النفس، «وليس الغرض بنظم الكلم إن توات ألفاظها في النطق، بل إن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل...فما النظم إلا أن تقتفي في نظم الكلمات آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس»<sup>2</sup>، وهذا الترتيب خاضع لمعاني النحو التي لا تخالف المنطق العقلي ولا تخرج عن المقاييس اللغوية المنتهجة في كلام العرب، فالنظم «لا معنى له غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم»<sup>3</sup>.

وقد كان لإدراك "الجرجاني" لطبيعة علم النحو أثره البارز في خدمة النصوص وفهمها فهما علميا دقيقا، فهو يرى أن النص لا يتكون إلا حسب مقتضيات وقوانين النحو ومناهجه، وقدم في كتابه دلائل الإعجاز نظرية جديدة لعلم النحو، حيث جعله يتكون من عدة أجزاء منها<sup>4</sup>:

الجزء الأول (نحو الجملة): وهو جزء يسير من علم النحو، يوضح ذلك قوله: «واعلم أن ليس النظم، إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه، وأصوله، وتعرف مناهجه، التي نهجت، فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه، غير أن ينظر في وجوه كل باب فروقه... فينظر في الخبر...وفي الشرط والجزاء...وفي الحال... فيعرف لكل ذلك مواضعه، ويجيء به حيث ينبغي له...»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د.ط، 1994، ص51.

<sup>2</sup> - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص357.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص102.

<sup>4</sup> - عمر أبو خزيمة: نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2004، ص45.

<sup>5</sup> - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص127.

الجزء الثاني (نحو ما فوق الجملة): أي نحو المتعلقةات وهو توسعة لنحو الجملة وأشد الأجزاء اتساقاً به، إذ يوضح ما يرتبط بالجملة كالمفاعيل بأنواعها، والتمييز والتتابع... حيث يضيف: «...وينظر في الحروف التي تشترك في المعنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضعُ كلا من ذلك في خاص معناه»<sup>1</sup>.

الجزء الثالث (ما يميز نحو الجملة عن نحو النص): وذلك حينما قال: «وينظر في الجمل التي تسرد، فيعرف مواضع الفصل فيها، من مواضع الوصل...»<sup>2</sup>، فموضوع الفصل والوصل من الجوانب التي لها علاقة مباشرة بلسانيات النص، إذ يتجلى فيه ربط الجمل المتتالية التي تشكل الوحدة الكلية للنص، ومن خلاله يتم توضيح العملية التماسكية داخل النص.

الجزء الرابع (ما يقاس به تمايز النصوص عن بعضها): وذلك في قوله: «وينظر في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار، فيضع كل من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة، وعلى ما ينبغي له»<sup>3</sup>، إذ هو المظهر لوعي الناص أو الناظم في ترتيب كلامه، حسب توالي المعاني في النفس من جهة، وتأثيره في المتلقي من جهة ثانية، وكان هذا الذي أكد به الجرجاني أنه مدخل الإعجاز القرآني، «...ولذلك رأى كثير من الدارسين أن دراسة الجرجاني لتلك القضايا في دلائل الإعجاز وعي منه بنحو النص»<sup>4</sup>.

يرى "الجرجاني" أن النظم يتجاوز عملية ضم الألفاظ إلى عملية التعليق، التي تعني الربط بين الكلم وفق العلاقات النحوية، وفي هذا يقول الجرجاني: «لا نظم في الكلم، ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض وتُجعل هذه بسبب من تلك»<sup>5</sup>.

فالشيء البارز لنظرية النظم عنده هو فكرة تعليق الكلم بعضها ببعض وليس هو النظم في حد ذاته يقول الدكتور "تمام حسان": «وأما أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر الجرجاني على الإطلاق، فلم يكن النظم ولا البناء ولا الترتيب وإنما كان التعليق، وقد قصد به...إنشاء العلاقات بين المعاني اللغوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية»<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ص127.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص127.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص127.

<sup>4</sup> - عمر أبو خرمة: نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، ص43.

<sup>5</sup> - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص188.

<sup>6</sup> - تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1998، ص188.



والنظم الحسن عنده يستدعي التلاحق بين الأجزاء المكونة للنص، ثم ضمها، ثم تلاحق القطعة كلها، يقول "الجرجاني": «واعلم أن من الكلام ما أتت المزية في نظمه الحسن، كالأجزاء من الصيغ تتلاحق، و ينضم بعضها إلى بعض حتى تكبر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحدق والأستاذية، وسعة الذرع، وشدة المنة حتى تستوفي القطعة»<sup>1</sup>.

ففي قوله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) هود:44، يقول "الجرجاني": «فتجلى لك منها الإعجاز... إلا لأمر يرجع ارتباط هذا الكلم بعضه ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة؟ وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها، وأن الفضل نتائج ما بينها، وحصل من مجموعها... كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب»<sup>2</sup>.

يتبين مما سبق أن "الجرجاني" قد أرسى اللبنة الأساسية الأولى لمفاهيم نظرية لم تتجسد وتبلور إلا في العصر الحديث، فقد عالج قضايا عدة كالحذف والتكرار والوصل والفصل والإضمام والإحالة وكذا الإيحاء، بالإضافة إلى ربط الآخر بالأول، مما يجعل البنية الكلية للنص وحدة كاملة متماسكة الأجزاء متعلقة الوحدات، حيث أصبحت هذه العناصر من صميم الدراسات النصية المعاصرة، فقد حمل إلينا عالمنا الجليل بذور علم جديد بمنهج سليم، حيا فيما بعد على أيدي علماء غربيين في نهاية الستينات من القرن الماضي، من أمثال: "فان دايك" و"هاليداي" و"دي بوجرانند" وغيرهم.

### 3- المفسرون:

علم التفسير نوعان، تفسير بالمأثور يعتمد على القرآن نفسه، ثم السنة النبوية، وما روى عن الصحابة، وما روى عن التابعين<sup>3</sup>، وتفسير بالرأي: وليس المراد منه ما نهي عنه الشارع وهو القائل على الهوى، وإنما ما يستند إلى الدليل والبرهان، ويتفق مع سياق الآية ومناسبتها، ولا يتعارض مع أصول الشرع ومع كلام الرسول ﷺ والصحابة والتابعين أو ينصر أهل البدع والأهواء، أو يتنافى مع دلالة الألفاظ.<sup>4</sup>

### 3-1- "الطبري" ومسألة الربط بين الجمل:

<sup>1</sup> - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص133.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص98.

<sup>3</sup> - أمير عبد العزيز: دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط2، 1988، ص157.

<sup>4</sup> - محمد عمر بازمول: شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، الدار الأثرية، عنابة، الجزائر، ط1، 2003، ص42.

يعد تفسير "الطبري": (جامع البيان في تفسير القرآن) من أشهر التفاسير بالمأثور، يقول في مسألة تأويل القرآن: «القائل في تأويل كتاب الله لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله ﷺ وإن وافق قيله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه قائل بما لا يعلم».<sup>1</sup>

أدرك "الطبري" العلاقات بين الجمل فجعل الوصل في المفردات مدخلا لمعرفة الوصل في الجمل، ورأى أن الوصل في الجمل على نوعين: وصل مجموع الجمل والعطف على جمل الحال، ثم جمل الشرط المعطوف على جمل الجزاء<sup>2</sup>، وهو شكل ينم عن عمق النظر ودقة التحليل.

وجعل "الطبري" أغراض الوصل في: الوصل لأمن اللبس، أو الوصل للتمييز تشريفاً، أو الوصل لتوكيد تفرد العلم الإلهي بالتأويل: مما نجده في قوله تعالى: (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) البقرة: 98.

ومع ذلك قد يكون الفصل أبلغ من الوصل، وقد يكون التناسق الداخلي للجمل أقوى من وصلها برابط، وتحدث عن أدوات الفصل مركزاً على ما يأتي:

- ضمير الفصل (هو): (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعَذَابٍ أَلِيمٍ) الأنفال: 32، ويسميه "الطبري" العماد في الكلام على قول الكوفيين. - الجملة المعترضة مثل: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) الواقعة: 77.

- الاستثناء المتقطع: مثل قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) البقرة: 78، ويسمى كذلك لانقطاع الكلام الذي يأتي بعد "إلا" عن معنى ما قبلها، فهو يخرج بإلا ما بعدها من معنى ما قبلها ومن صفته.

وقد حدد "الطبري" أغراض الفصل في الجمل بأنها: إيضاح المعنى وبيانه، التفصيل بعد الإجمال، الاستطراد، الاستئناف، إجابة عن سؤال مقدر<sup>3</sup>.

ولقد كانت دراسة "الطبري" للوصل والفصل في ثنايا تفسيره، دراسة ذكية خاصة في حديثه عن أغراضها، فقد عمل على تأويل الحروف الرابطة ووظائفها، وهو في هذا يقترب مما قدمه "فان ديك" عن الفصل والوصل، لكن هذا الأخير جعل الفصل مقترناً بأداة العطف "أو"، كما ربط كل ذلك بالمنطق الصوري وأسلوب التجريد.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ج1، ص59.

<sup>2</sup> - أنظر: المصدر نفسه، ص6-7.

<sup>3</sup> - نوال لخلف: الانسجام في القرآن الكريم، ص125.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص126.

تجاوز المفسرون القدامى الجملة إلى ترابط الجمل والوحدات والأجزاء، حيث يتضح أن "الطبري" لم يغفل الترابط بين الجمل ولم تقتصر دراسته على الجملة فحسب، بل تعدى ذلك إلى الوصل والفصل بين الجمل، هذه الأخيرة التي تعد في الوقت الحالي من القضايا الهامة في لسانيات النص.

### 3-2- "البقاعي" والدراسة النصية:

يعتبر كتاب "برهان الدين البقاعي" (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) من أشهر التفاسير بالرأي التي اهتمت بعلم المناسبات، ومن أبرز الكتب التي الفت في قضايا الدراسات النصية، على مستوى التطبيق في التراث العربي، ومن الكتب السابقة في مضمار الربط بين الجمل، في المتتالية النصية، سواء على مستوى ربط السورة الواحدة، أو ربط السور المتتالية والمتباعدة، حتى أنه ربط سورة الناس بسورة الفاتحة، ولم يأل جهداً في ربط ما بينهما.<sup>1</sup>

يقول "البقاعي" في حديثه عن سورة الناس: «ومقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة، الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن، والتي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان، ببراعة الختام، وفذلكة النظام، كما كانت الفاتحة شاملة لذلك، لأنها براعة الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول، اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالمثول».<sup>2</sup>

وثبت من خلاله أن نظرة علماء العرب والمسلمين للنص القرآني لم تكن تقتصر على دراسة الجملة الواحدة بل تعدت إلى السورة الكاملة، بل إلى كتاب الله كله نظرة ترابطية شاملة، حيث يركز "البقاعي" على ربط الجمل بعضها ببعضها الآخر، أكثر من عنايته بربط عناصر الجملة الواحدة، ولم يكن ذلك إنكاراً منه لوجود الرابط، بل لأنه رأى أن ذلك أسهل، يقول: «وهذا العلم - يقصد علم المناسبات - ليكشف أن الإعجاز طريقتان: أحدهما نظم كل جملة على حياها بحسب التراكيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولاً»<sup>3</sup>، ويرى في توضيح الفكرة الثانية أن الذي ينبغي في كل آية هو أن يُبحثَ عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة عن كل شيء، ما وجه مناسبتها لما قبلها.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - أنظر: عمر أبو خرمة: نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى، ص48.

<sup>2</sup> - البقاعي، برهان الدين (ت885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ج8، ص611.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص07.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص06.

ويرى "البقاعي" أن الأسلوب هو الترتيب المخصوص في نظم الآي، فيقول في سورة البقرة: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه، ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك»<sup>1</sup>، ويؤكد أن المفسرين قصروا عن هذا الباب، لدقة مداخله، فيقول: «إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير منتبهين لهذه الأسرار»<sup>2</sup>.

وينظر إلى هذا العمل أنه ليس عبثا وإضاعة للوقت بل له فوائد وثمراته، فيقول: «وثمرته - يقصد علم المناسبات - الإطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء، بسبب ما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن، علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني، لما اقتضاه الحال»<sup>3</sup>.

والعمل الذي قدمه "البقاعي" في هذا السفر، حاول فيه قبله نفر من علماء العربية، ولكن مع فرق أن أولئك كانوا يتحدثون بالمسألة، كلما عَنَّ لهم شيء من تلك المناسبات، ولكن "البقاعي" - غير مسبوق - ألزم نفسه بمنهج ثابت<sup>4</sup>، حيث أنه حاول ربط كل سورة بما قبلها، وكل آية بما قبلها وبما بعدها أيضا.

وهذا المنهج استعمله المفسرون عندما تكون الحاجة ماسة إلى مثل هذا الربط من وجهة نظرهم، أو عندما يسألون عن علة مثل هذا الترتيب، في القرآن، ولكنهم غالبا ما كانوا ينصرفون عن مثل هذا المنهج من أجل أعمالهم، منشغلين في تفسير النص آية آية، أو جملة جملة، وفي أقصى اعتبار موضوعات منفصلة، دون الولوج إلى عوالم النص الداخلية، لاحتكام أجزائه بعضها ببعض<sup>5</sup>.

ربما هذا كله يومي بوجود مجموعة من القواعد والمبادئ العامة في ذهن "البقاعي" في نظره للنص على أنه ترابط الفقرات بعضها ببعض وتماسك فيما بينها لتكون لنا وحدة النص الكلية، ويذهب إلى أن اسم كل سورة متعلق بما يرد فيها والعلاقة فيها علاقة تفصيل بعد إجمال، وهكذا يتبين علاقة ما قام به "البقاعي" مع ما هو مطروح في الدراسات النصية اليوم.

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ج1، ص06.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص06-07.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص05.

<sup>4</sup> - عمر أبو خرمة: نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى، ص51.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص52.

#### 4- المصنفون:

إن البحث في انسجام النص القرآني يضطلع به علم المناسبة الذي يجعل للعرب والمسلمين السابق في إدراك علم النص، وفي تحليل النص على مستوى أعلى يتجاوز حدود الجملة الضيقة، وذلك من خلال جهود المصنفين في علوم القرآن في التنظير لعلم المناسبات.

#### 4-1- "الزركشي" والمناسبة بين الآيات:

يعد كتاب (البرهان في علوم القرآن) للإمام "الزركشي"، من أشهر وأهم كتب علوم القرآن التي تناولت علم المناسبات تناولاً تنظيرياً، حث يذهب "الزركشي" في موضوع المناسبة بين الآيات، إلى أن ارتباط الآي بعضها ببعض على قسمين<sup>1</sup>:

القسم الأول: تكون فيه الآية معطوفة على ما قبلها، ولا يبقى على المفسر إلا البحث عن الجهة الجامعة بينهما.

القسم الثاني: لا تكون فيه الآية معطوفة، وإذ ذاك «لابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط»<sup>2</sup>.

وتناول موضوع مناسبة خاتمة السورة للفتحة، فأشار إلى المناسبة لكن دون تعليق على نوعها بقوله: «وقد جعل الله فاتحة سورة "المؤمنون" (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) وأوردها في خاتمتها (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) فشتان بين الفتحة والخاتمة»<sup>3</sup>، وتعتبر مناسبة خاتمة السورة لفتحتها نوعاً من رد العجز على الصدر، ومن ذلك فهي تعتبر سمة مشتركة في دراسة النص الشعري والنص القرآني، كما تطرق "الزركشي" أيضاً إلى مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها واعتبر ذلك أسلوباً معتمداً في القرآن الكريم. وتكلم عن مناسبة السورة للحرف الذي بنيت عليه والمقصود من هذا النوع أن كثيراً من السور مسماة أو مفتحة بحرف من حروف اللغة، وأن معظم الكلمات التي تتألف منها السورة يتراكم فيها هذا الحرف المكرر، وربما كانت دلالة الكلمات معضدة للسمات الصوتية لهذا الحرف<sup>4</sup>.

ومن المواضيع التي جاء بها "الزركشي"، المناسبة بين السورة و اسمها، بحيث يذهب إلى أن تسمية السورة باسم معين «ليس إلا تعصيذاً لتقليد معلوم عند العرب، وهو تقليد يراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه... ويسمون

<sup>1</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت وبلنجان والدار البيضاء بالمغرب، ط2، 2006، ص193.

<sup>2</sup> - الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أ. بو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، 1988، ج1، ص46.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص186.

<sup>4</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص196.

الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز»<sup>1</sup>.

#### 4-2 : "السيوطي":

بدأ الإمام "جلال الدين السيوطي" في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) بذكر أهم المؤلفات التي تناولت علم المناسبة، ثم انتقل إلى ضبط المفاهيم والمصطلحات، ومادة البحث المنتهجة، يقول السيوطي: «المناسبة في اللغة المشاكلة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه»<sup>2</sup>.

العلاقات هذه التي ذكرها "السيوطي"، قد تكون واضحة بين الآيات والسور، خاصة إذا كانت على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل، وقد تكون خفية يكشف الارتباط بينها من خلال قرائن معنوية كالتضاد والاستطراد، وحسن تخلص<sup>3</sup>، ولا يخلو تنظير "السيوطي" من تقديم مجموعة من الأمثلة التطبيقية من الآيات والسور، تدعم وتؤكد أفكاره، يقول مثلاً: «ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها حتى أن منها ما يظهر تعلقها به لفظاً كما في جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش»<sup>4</sup>، وهكذا في مواضيع المناسبات المختلفة.

وقد تكلم "السيوطي" عن تناسب السور في كتابه (تناسق الدرر في تناسب السور) الذي ذكر في مقدمته أن هذا الكتاب يعد جزءاً من كل أسماء (أسرار التتزيل) تناول فيه ثلاثة عشر نوعاً من علوم القرآن، خصص ستة أنواع منه للمناسبة سواء بين الآيات أو السور، وتناول فيه<sup>5</sup>:

- علاقة الإجمال بالتفصيل بين السور: و أبرز فيه أن السورة اللاحقة تفصيل لما أجمل (أو لبعض ما أجمل) في سورة سابقة.

- الاتحاد والتلازم: وقصد به التناسب القائم بين سورتين، والذي يتجلى في: مناسبة خاتمة السورة الثانية لفاتحة السورة الأولى، تلازم لفظي كالجنة والنار، اتحاد معنوي كأن يذكر الأصل في سورة سابقة ثم يذكر الفرع في السورة اللاحقة.

<sup>1</sup> - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص270.  
<sup>2</sup> - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت911هـ): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دبط، 2005، ج1، ص108.  
<sup>3</sup> - نوال خلف: الانسجام في علوم القرآن الكريم، ص122.  
<sup>4</sup> - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص111.  
<sup>5</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص198.

يتضح مما سبق جهد المصنفين في علوم القرآن، خصوصاً الذين اهتموا بدرجة أكبر بانسجام النص القرآني دلاليًا، ولم يغفلوا اتساقه الشكلي وتربط آياته بعضها ببعض، وذلك ببحثهم في أنواع المناسبات والعلاقات القائمة بين الآيات من جهة، وبين السور من جهة أخرى.

مع العلم أن الاهتمام بالتماسك النصي عند المفسرين والمصنفين في علوم القرآن لم يكن الانشغال الوحيد لهم، وإنما كان جزءاً من انشغال أشمل هو فهم القرآن وفهم الوجوه التي يقع فيها الإعجاز.. فقد حاول علماء الإسلام إظهار كيفية تماسك النص القرآني، ببيان الوسائل والعلاقات التي تجعل آياته وسوره كلاً واحداً متماسكاً الأجزاء والوحدات رغم اختلاف أسباب النزول وتباعد فتراته.

رأينا كيف ساهم التراث العربي في علم اللغة النصي وكيف أن البلاغيين والنحاة والنقاد والمفسرين والمصنفين في علوم القرآن، اجتهدوا جميعاً من أجل إبراز كيفية تماسك النصوص الأدبية وأيضاً تماسك النص القرآني، ويبدو من خلال ما تقدم وعيهم بأنه لا ينبغي أن تتوقف دراستهم عند حد الجملة، بل يجب أن تتعدى إلى الربط بين أكثر من جملة، غير أنه لم تكن هناك نظرية كاملة لمعالجة النص بصفته وحدة كلية، ولكن لهم إشارات تستحق التقدير، وتعد لبنات كبرى وأساسية في بناء تحليل النص والخطاب، وفيما يلي نحاول أن نضع مادة الحديث القدسي بين النص والخطاب.

### ثالثاً - الحديث القدسي بين النص والخطاب:

#### 1- تعريف النص والخطاب:

##### 1-1- تعريف النص:

لغةً: في المعجم الوسيط جاءت مادة (نص) بمعنى نص الشواء: صوت على النار والقدر، نص الشيء: رفعه وأظهره، يقال: نصت الضبية جيدها، ويقال نص الحديث: رفعه وأسنده إلى المحدث عنه، ونص فلاناً: أقعده على المنصة، والشيء: حركه، ونص الدابة: استحشها، ونص فلاناً: استقصى مسأله عن شيء حتى استخرج كل ما عنده<sup>1</sup>.

وفي لسان العرب جاء النص بمعنى رفعة الشيء وقيل: التوفيق، وقيل التعيين على شيء ما، ونص الأمر شدته، ونص كل شيء منتهاه، ونص الحديث ينصه نصاً: رفعه<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، إخراج: إبراهيم مصطفى وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004، ص926 (مادة نص).

<sup>2</sup> - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711 هـ): لسان العرب، تحقيق الأستاذة: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. طبت، مج6، ج49، ص4441 (مادة نصص).

فالأول يعرف النص بأنه يمثل العلو والظهور أي البروز، بينما الثاني يضيف إلى الظهور الانتهاء أو بلوغ أقصى الشيء، وهما تعريفان فيهما إichاء بالمعنى الاصطلاحي، فالنص ربما هو أقصى ما يمكن أن ينتهي إليه التحليل اللساني.

اصطلاحاً: خاض في المفهوم الاصطلاحي للنص العديد من أقطاب الدرس اللغوي الحديث ومنهم: "جون ديوبوا Jean Dubois" الذي يعرفه بأنه: «مجموعة من الملفوظات اللسانية القابلة للتحليل فهو عينة من السلوك المكتوب أو المنطوق»<sup>1</sup>، ومعنى هذا أن النص هو إنتاج الكلام وتلفظه سواء كان منطوقاً أو مكتوباً، طويلاً أو قصيراً قديماً أو حديثاً...، ويعرفه الدكتور "رشيد بن جدو" بأنه: «ما تنقري في الكتابة وتنكتب فيه القراءة»<sup>2</sup>، وهذا التعريف يجعل الطابع الكتابي هو المعيار الذي يحدد النص بدليل أن الخطاب شفوي يتحول إلى نص بواسطة الكتابة التي تحافظ على بقائه.

وعرفه "رولان بارت Roland Barthes" بالقول: «كلمة نص تعني النسيج... الذي يقوم على الفكرة التوليدية التي ترى أن النص يصنع ذاته ويعتمل ما في ذاته عبر تشابك دائم: تنفك الذات وسط هذا النسيج ضائعة فيه كأنها عنكبوت تذوب هي ذاتها في الإفرازات المشيدة لنسيجها، ولو أجبنا استحداث الألفاظ لأمكننا تعريف نظرية النص بأنها علم نسيج العنكبوت»<sup>3</sup>.

وهذا تعريف يشبه فيه صاحبه إنتاج النص وبناءه بيت أو نسج العنكبوت، خيوطه تقابل الحبر، والخلال تقابل أداة القلم، والكتاب يقابل هيئة المنسج، والنساج الصانع الماهر يركب الخيوط فوق بعضها وينسق الألوان ويتقن الحبك والحياكة.

فالكاتب المبدع «..يكون حريصاً على تركيب الحروف بعضها فوق بعض، له القدرة على نسج لغة الكلام، ليرز مظاهر الجمال ويتمكن من حبك الأسلوب عبر النسيج الأدبي الأنيق الذي يقدم للقارئ صوراً جميلة تخلب له، وتأسر عقله»<sup>4</sup>؛ أي إن شعرية الكتابة المبدعة الجميلة المؤثرة في النفوس شرط من شروط النص الأدبي.

ويحدد "هاليداي" و"رقية حسن" النص بأنه «كلمة... تستخدم في علم اللغة للإشارة إلى أي فقرة منطوقة أو مكتوبة مهما طالت أو امتدت، وأفضل نظرة إلى النص هي أنه وحدة دلالية، وهذه الوحدة ليست شكلاً لكنها معنى»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص120.

<sup>2</sup> - بشير إبرير: من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة التواصل، جامعة عنابة، الجزائر، العدد 14، جوان 2005، ص79.

<sup>3</sup> - رولان بارت: لذة النص، ترجمة فؤاد صفا والحسين سرحان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص62-63.

<sup>4</sup> - عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، دط، 2007، ص46-47.

<sup>5</sup> - Halliday Michael Alexander Kirwood and Ruqaiya Hassan: Cohesion in English, Longman, London, 1987, P1-2.



إن النص في نظر هذين اللغويين يكون طويلاً أو قصيراً، مكتوباً أو منطوقاً يتحقق فيه التواصل بين المتكلم والسامع في إطار السياق، فإذا تحققت هذه الشروط جاز أن تكون الكلمة الواحدة في مقام النص الذي يحمل دلالة واحدة أو موضوعاً ما.

أما "فان دايك" فيعتبر النص بنية مقطعية قضوية تتشكل من وحدات لسانية يندرج بعضها في بعض فهو عبارة عن «منطوقات لغوية مكتوبة ومطبوعة، تستند إلى وصف نحوي أكثر ثراءً لأبنيتها...، وسنفترض هنا كذلك أنه توجد أبنية كبرى دلالية وفق طبيعتها»<sup>1</sup>؛ فهذا التحديد يؤكد أن النص المكتوب هو الذي يتسم بتماسك بنيته النحوية واللغوية والدلالية لا النص الشفوي.

وإذا كان "فان دايك" يحدد النص من منظور منطقي فقط فإن النص عند "آدم جون ميشال Adam Jean Michel" يتحدد من منظورين متكاملين هما المنظور النحوي والمنظور المنطقي حيث يرى أن «النص مكون من مقاطع، هي الأخرى مكونة من بني كبرى، هي الأخرى مكونة من بني صغرى»<sup>2</sup>، وأن البنية الصغرى تتشكل من وحدة أصغر منها هي القضية، والقضية مركبة من جملة ودلالة، أما الجملة فهي بنية نحوية صورية مجردة من الدلالة<sup>3</sup>، في موضع آخر نرى أن النص عنده ليس بني ودلالة فقط بل هو أيضاً فعل كلامي ينجزه المتكلم ليؤدي به أغراضاً، ويحقق فعلاً إنجازياً خاصاً هو الحجاج أو الإقناع، حيث يذكر: «كل نص يستهدف هدفاً ظاهراً أولاً، يعمل في المعتقدات و/أو السلوكات...، إن انسجام الخطاب - مثلاً هو مبني بالاشتراك من قبل المتلفظين - فعل يرمي بواسطة سلسلة من التحولات المضبوطة للوصول إلى هدف ما»<sup>4</sup>، يعني هذا الكلام أن النص بنية هرمية لوحدات شكلية ودلالية وتداولية يندرج بعضها في بعض كما يلي:

النص بمنظور نحوي أو شكلي = بنية مقطعية جمالية

النص بمنظور منطقي أو دلالي = بنية مقطعية قضوية

النص بمنظور تداولي = بنية مقطعية لأفعال إنجازية تحقق الإقناع.

ومن هذا المنطلق يرى "أوستين. ج. ل. Austin. J. L." أننا عندما نتكلم نتجج فعلاً كلامياً ونحقق ثلاثة أفعال مترابطة هي<sup>5</sup>:

<sup>1</sup> - تون فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن البحيري، ص 74-75.

<sup>2</sup> - روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 120.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 49.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 60.

<sup>5</sup> - خولة طالب الابراهيم: مبادئ في اللسانيات، ص 161.

1- الفعل القولي: وهو ما يتفوهه المتكلم، ويتكون الفعل الصوتي، والفعل التبليغي حيث تنتظم الأصوات وفق قواعد النحو لتشكل كلمات وجمل، والفعل الخطابي حيث تحمل هذه الكلمات والجمل دلالات ومعاني.

2- الفعل الإنجازي: هو العمل المنجز الذي يشتمله فعل القول، ويعبر عن مقاصد المتكلم كالإخبار، التوكيد، الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، الاعتذار، التهديد، الوعد، الشكر، الحجاج، الخ.

3- الفعل التأثيري: هو رد فعل المخاطب بعد الأثر الذي يحدثه فيه الفعل الإنجازي.

نلاحظ أن النص ليس له تعريف ثابت وإنما مفهوم يتغير وفق وجهة النظر إليه كما يلي:

1- النص من المنظور النحوي: هو بنية مقطعية جملية، أي أنه مكون من سلسلة من المقاطع الجملية، حيث أن كل مقطع جملي مكون بدوره من بني جملية كبرى، وكل بنية جملية كبرى مكونة بدورها من بنيات جملية صغرى، وكل بنية جملية صغرى مكونة بدورها من عدد من الجمل، والجمل هي وحدة نحوية شكلية خالية من الدلالة، أي هي قضية خالية من الدلالة.

2- النص من المنظور المنطقي أو الدلالي: هو بنية مقطعية قضوية: أي أنه مكون من سلسلة من المقاطع القضوية، بحيث أن كل مقطع قضوي متكون بدوره من بني قضوية كبرى، وكل بنية قضوية كبرى مكونة بدورها من بني قضوية صغرى، وكل بنية قضوية صغرى مكونة بدورها من عدد من القضايا، والقضية وحدة منطقية مركبة من جملة ودلالة، ويبدو أن المنظور المنطقي (أو الدلالي) في تحديد النص أعم وأشمل من المنظور النحوي؛ ومن ثم فإن البنية المقطعية القضوية بنية كبرى تتضمن بداخلها بنية أصغر منها هي البنية المقطعية الجملية.

3- النص من المنظور التداولي: يتحدد النص في إطار نظرية أفعال الكلام انطلاقاً من ثلاثة منظورات على التفصيل، هي:

أ- المنظور التداولي الأعم: النص بنية مقطعية لأفعال الكلام، أي أنه مكون من سلسلة من المقاطع الكلامية، بحيث أن كل مقطع كلامي مكون بدوره من بني كلامية كبرى، كل بنية كلامية كبرى مكونة بدورها من بني كلامية صغرى، كل بنية كلامية صغرى مكونة بدورها من عدد من أفعال الكلام، وفعل الكلام مكون بدوره من ثلاثة أفعال: فعل القول وفعل الإنجاز وفعل التأثير.

ب- المنظور التداولي العام: النص بنية مقطعية للأفعال الإنجازية؛ أي أنه مكون من مقاطع لأفعال إنجازية ثانوية، تدعم مقاطع الأفعال الإنجازية الثانوية فعلاً إنجازياً مهيمناً.

ج- المنظور التداولي الخاص: النص بنية مقطعية تحقق فعل إنجاز الحجاج (الإقناع)، أي أنه مكون من مقاطع لأفعال إنجازية ثانوية غير متجانسة تدعم فعل إنجاز الحجاج، وهو أهم الأفعال الإنجازية إذ يهيمن على بقية الأفعال الإنجازية الثانوية التي قد ترد معه في نص معين.

4- النص من منظور الخطاب: هو بنية لسانية صورية صغرى تدرج في بنية المقام فيشكلان معا بنية اجتماعية محسوسة كبرى هي الخطاب، ونحو الخطاب هو العلم الذي يعنى بكيفية تحول نص معين إلى خطاب: النص+المقام=الخطاب.

أما "دي بوجراند" و"ولفجانج دريسلر" فإنهما يعرفان النص بكونه «حدث تواصلية، يلزم لكونه نصاً أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف عنه واحد من هذه المعايير»<sup>1</sup>، وهي ملخصة بإيجاز فيما يلي:

- 1- السبك: هو الترابط الرصفي النحوي كالأحالات، الحذف، التكرار.
- 2- الحبك: هو الترابط المفهومي العميق للنص كالتعميم والتخصيص والسببية.
- 3- القصد: تحقيق هدف ما عند دخول المرسل في فعل تواصلية وتفاعل لغوي مع المخاطب.
- 4- القبول: قبول واستحسان المتلقي للقول الحامل للرسالة.
- 5- الإعلامية: أن يكون للنص موضوع ومضمون إخباري أدنى يبلوره المرسل ويستطيع المتلقي أن يحدده.

- 6- المقامية: تلاؤم النص مع الظروف التي تحيط به، وهو ما يسمح بتحقيق مبدأ الاستمرارية حيث تسمح العلامات الشكلية للنص بعبور المعنى المعبر عنه خارج حدود الجملة.
- 7- التناص: تقاطع ما تحيل إليه جمل الخطاب مع نصوص أخرى<sup>2</sup>.

وبتوفر هذه المعايير يصبح النص كل وحدة مستقلة عن مختلف البنى المكونة له، فالسبك والحبك يركزان على طبيعة النص ذاته، والقصد والقبول يتصلان بمستعملي النص (المنتج والمتلقي معاً)، بينما المعايير الأخرى تجعل النص قابلاً للدراسة في ضوء اللسانيات النصية، وتوفر هذه الجوانب مجتمعة يعكس القدرة التي يملكها المتكلم على إنتاج النص والقدرة التي يملكها المتلقي على التفريق بين النص واللانص وبالتالي القبول أو الرفض.

<sup>1</sup> - Robert Alain De Beaugrand and Wolfgang Dresslar, Introduction to text linguistics, longman, London, 1981, P3.

<sup>2</sup> - أنظر: أحمد مداس: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1، 2007، ص83-84.

## 1-2- تعريف الخطاب:

لغة: خطب فلانة: طلبها للزواج. احطب: أي أجابه إلى خطبته. خاطبه، مخاطبة وخطاباً: كالمه وحدثه بشأنه<sup>1</sup>، وورد هذا اللفظ في عدة آيات من القرآن الكريم منها:

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾<sup>2</sup> ص20، أي التحكم في اللغة والقدرة على إفهام السامعين، ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَانُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾<sup>3</sup> النبأ37، بمعنى لا يملكون حديثاً أو كلاماً مهما كان، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>4</sup> الفرقان63، أي إذا واجهوهم بالكلام، ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ﴾<sup>5</sup> هود37، بمعنى لا تتحدث.

اصطلاحاً: عرفه "هاريس" بأنه «ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض»<sup>6</sup>، أي إنه يتشكل بواسطة مجموعة من الجمل والمتتاليات المترابطة أو المتسلسلة والتي تتوزع بانتظام في بنيته.

ويحصر "جون دييوا" جوانب الخطاب في ثلاثة نقاط: الأولى أن الخطاب هو الكلام، والثانية أنه مرادف للملفوظ، والثالثة أنه أكبر من الجملة، بقوله: «يتكون من سلسلة تشكل رسالة لها بداية ونهاية، وهو مرادف للملفوظ، فهو إذن كل ملفوظ أكبر من الجملة»<sup>7</sup>.

ويركز "إميل بنفنيست Emile Benveniste" على الجانب التواصل في الخطاب، لأنه لا يتحقق إلا بوجود ثلاثة عناصر هي: المخاطب، المخاطب والقصد، فهو: «كل تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً ويكون لدى المتكلم مقصد التأثير في الآخرين على نحو ما وبطريقة ما»<sup>8</sup>.

## 2- الفرق بين النص والخطاب:

إن علم النص تواجهه بعض الصعوبات وتنجم خصوصاً عند تحديد النص نفسه، فإذا كان مفهوم النص لا يؤثر بشكل كبير على الناحية الإجرائية، فإن الشكل الذي يعالجه علم لغة النص سواء نص أو خطاب كما يحلو لبعض الدارسين تسميته يمثل «قضية خلافية بين علماء النص»<sup>9</sup>، فهل النص والخطاب مصطلحان مختلفان؟ وإذا كان الحال كذلك ما أوجه الاختلاف بينهما؟ أم أنهما لفظان مترادفان يحملان المعنى نفسه وأن الاختلاف في المصطلح ويعود فقط إلى اختلاف مشارب الباحثين،

<sup>1</sup> - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج1، ص 242 (مادة خطب).

<sup>2</sup> - سعد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط3، 1997، ص17.

<sup>3</sup> - روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص120.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص121.

<sup>5</sup> - سعيد حسن بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص60.

وإلى تعدد العلوم والاختصاصات التي تناولت النص والخطاب كالأدب واللسانيات والفلسفة والشرعية الإسلامية.

تضاربت الآراء واختلفت بين قائل بأن النص والخطاب لهما نفس المعنى، وبين من يرى بوجود الفرق بينهما، فمن الدارسين الذين يرون أن النص هو الخطاب "روجر فاوولر Roger Fowler" فهو يقول بأن «كل نص خطاب، فعل لغة من لدن مؤلف ضمني، له تصميم محدد الهوية»<sup>1</sup>، فالنص والخطاب إذن مترادفان، والرأي نفسه عند "جوليا كريستيفا Julia Kristeva" التي ترى بأن «النص الأدبي خطاب يخترق حالياً وجه العلم والإيديولوجيا والسياسة»<sup>2</sup>.

بينما يعتقد "مايكل ستابش Michael Stubbes" أن هناك فروقات طفيفة بينهما منها أن النص يكون مكتوباً طويلاً أو قصيراً، يتميز بالانسجام في الشكل والصيغة، بينما الخطاب يكون محكياً تفاعلياً طويلاً، عميق الانسجام من حيث الدلالة أو المعنى<sup>3</sup>.

أي أن النص ذو طابع كتابي يأتي طويلاً أو قصيراً، آليات الانسجام تظهر في شكله اللغوي النحوي أفقياً عبر الامتداد الخطي، أما الخطاب فهو يمثل المعاني والدلالات التي يتلفظها الفرد ولا يهم كتابتها بقدر ما يهم انسجامها عمودياً (دالياً).

ويحدد "آدم جون ميشال" النص في إطار علاقته بالمقام والخطاب فهو عنده بنية مجردة في ذهن المتكلم، سواء كانت هذه البنية مقطعية جمالية أو قضوية، أي أن النص هيكل شكلي قاعدي لا يتكون إلا من عناصر عملية التواصل، فالتكلم لتحقيق التواصل يحتاج إلى تعديل هذه البنية حسب ما تمليه عليه ظروف "المقام" فيكون قد دمج بنية النص في بنية المقام ليشكل بهما بنية الخطاب<sup>4</sup>، ويمكن تمثيل فكرته بالمعادلة:

$$\text{الخطاب} = \text{النص} + \text{المقام}.$$

فالخطاب هو بنية اجتماعية محسوسة، أما النص فهو بنية لسانية صورية، ويمثل المقام شروط إنتاج الخطاب ويتشكل من العناصر غير اللغوية المجردة والمحسوسة الماثلة في ذهن المتخاطبين أو في المحيط الخارجي وقت جريان الخطاب، ويعزى لها الدور في صياغة العناصر اللغوية في الملفوظ أو ما يسمى بالسياق<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - فاوولر روجر: اللسانيات والرواية، ترجمة لحسن احمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997، ص66.

<sup>2</sup> - جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997، ص13.

<sup>3</sup> - سارة ميلز: الخطاب، ترجمة يوسف بغول، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، دط، 2004، ص3.

<sup>4</sup> - Adam Jean Michel: Linguistique textuelle, Des genres de discours aux textes, Nathan, Paris, 1999, p39

<sup>5</sup> - الطاهر لوصيف: المقاربة التبليغية وتعليم اللغة وتعلمها، مجلة لغات جامعة الجزائر، ع3، 2004، ص167.

ولم يتعد عن هذا العرض تصور "ميشال شارولز Michel Charolles" في أن النص مجموعة لسانية مغلقة على نفسها لأنها بنية صورية مجردة في ذهن المتكلم، الذي يقوم بفتحها وتوسيعها إلى خطاب عن طريق دمجها في المقام، والخطاب هو مجموعة لسانية مفتوحة على شروط إنتاجها (المقام)، حيث يهتم نحو الخطاب بدراسة شروط إنتاجه وبعملية تحويل النص إلى خطاب بواسطة المقام<sup>1</sup>. أما "ميشال فوكو Michel Foucault" فيرى أن الخطاب يختلف عن النص على أساس أنه «مصطلح لساني، يتميز عن نص وكلام وكتابة وغيرها بشمله لكل إنتاج ذهني سواء كان نثرا أو شعرا، منظوقا أو مكتوبا، فرديا أو جماعيا، ذاتيا أو مؤسسيا، في حين أن المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد، وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسية فهو ليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها أو يحمل معناها أو يحيل إليها بل قد يكون الخطاب مؤسسا لفترة زمنية أو فرع معرفي ما»<sup>2</sup>.

ومعنى هذا أن الخطاب أعم من النص، فمجموعة من النصوص تشكل خطابا شفويا أو مكتوبا، ينجزه فرد أو جماعة أو تيار إيديولوجي أو فكري أو عقائدي أو فلسفي، بدليل أننا نستعمل ألفاظ خطاب الأنوثة وخطاب الإمبريالية وخطاب السبعينات، والخطاب المسجدي، والراديكالي، والثوري والسياسي.

وجعل الباحث "محمد العبد" الخطاب كلاما منظوقا يتسع لعرض ملابسات إنتاجه وتلقيه وتأويله كالحركات المصاحبة له أثناء الاتصال وهو يتسم بالطول مثل الخطاب الروائي الذي يعتمد على الحوار، اعتقادات المؤلف، الشخصيات، بينما النص يتسم بالطابع الكتابي والقصر تارة حتى يغدو كلمة مثل: سكوت، والطول أحيانا حتى يصبح مدونة مثل رسالة الغفران<sup>3</sup>.

غير أن الدكتور "عبد الملك مرتاض" يرى عكس هذا، فالنص عنده أعم من الخطاب، يقول في هذا المعنى «ثم لم لا يكون النص خطابا والخطاب نصا؟ ذلك شيء قيل به، ولكننا نحن نأبي القول به فالنص لدينا أشمل وأرحب، أما الخطاب فتصنيف داخلي، تفصيل من مجمل، وفرع من أصل كبير، النص هو كل كتابة على وجه الإطلاق، في حين أن الخطاب تصنيف لنوع الكتابة، وتخصص في داخلي في تحسينها»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - سارة ميلز: الخطاب، ترجمة يوسف بغول، ص3.

<sup>2</sup> - ميشال فوكو: نظام الخطاب، ترجمة محمد بسيلة، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص9.

<sup>3</sup> - محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص12.

<sup>4</sup> - عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ص12.

فالنص بهذا المفهوم يمثل الجانبيين، الشكل وما يتضمنه من كتابة ولغة، والمضمون وما يحمله من أفكار ومعان، في حين يقتصر الخطاب على تلك الأفكار فقط. ويفرق الدكتور "بشير إبرير" بين الخطاب والنص، بكون الأول يفترض وجود المتلقي لحظة النطق به شفويا فلا يتجاوزه إلى غيره أما النص فهو مدونة مكتوبة، تؤجل قراءتها أي لها ديمومة التلقي في كل زمان ومكان.<sup>1</sup>

### 3- تعريف الحديث القدسي

هو كل ما رواه النبي ﷺ عن ربه عز وجل، فهو منسوب إلى النبي ﷺ تبليغاً، فالراوي يرويه عن رسول الله ﷺ مسنداً إلى الله عز وجل، وهو كلام ينقله النبي عن الله تعالى راوٍ له ولكن بلفظ من عنده هو، يتجلى ذلك فيما ينقل الرواة في آخر سند الحديث: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى، وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل.<sup>2</sup>

وهو ليس من القرآن بالإجماع، وإن كان كل واحد منهما قد بلغه النبي ﷺ أمته عن الله عز وجل، وقد اختلف العلماء على قولين في لفظ الحديث القدسي: هل هو كلام الله أم أن الله تعالى أوحى إلى رسوله ﷺ معناه فقط واللفظ من عند الرسول ﷺ؟

القول الأول: أن الحديث القدسي من عند الله لفظه ومعناه، لأن النبي ﷺ أضافه إلى الله تعالى، ومن المعلوم أن الأصل في القول المضاف أن يكون بلفظ قائله لا ناقله، لا سيما أن النبي ﷺ أقوى الناس أمانة وأوثقهم رواية.

القول الثاني: وهو الأقرب إلى الصواب في رأينا، حيث يعتبر أن الحديث القدسي معناه من عند الله ولفظه من عند النبي ﷺ، وذلك لوجهين:<sup>3</sup>

الوجه الأول: لو كان الحديث القدسي من عند الله لفظاً ومعنى؛ لكان أعلى سنداً من القرآن؛ لأن النبي ﷺ يرويه عن ربه تعالى بدون واسطة؛ كما هو ظاهر السياق، أما القرآن فتزل على النبي ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ النحل: 102، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ \* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء: 193، 194، 195.

<sup>1</sup> - بشير إبرير: من لسانيات الجملة إلى علم النص، ص 93.

<sup>2</sup> - محمد أديب صالح: لمحات في أصول الحديث والبلاغة النبوية، المكتب الاسلامي، دمشق، سوريا، د. ط، 1968، ص 45-46.

<sup>3</sup> - أنظر: شرف الدين علي الراجحي: من المسائل النحوية في مسند الإمام أحمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د. ط، 2008، ص 18.

الوجه الثاني: أنه لو كان لفظ الحديث القدسي من عند الله؛ لم يكن بينه وبين القرآن فرق؛ لأن كليهما على هذا التقدير كلام الله تعالى، والحكمة تقتضي تساويهما في الحكم حين اتفقا في الأصل. وعن عدد الأحاديث القدسية فقد «.. قال أحمد بن حجر الهيتمي في شرحه للأربعين النووية أن عدد الأحاديث القدسية يتجاوز المائة، وجمع المناوي مائتين وسبعين حديثاً في كتابه المسمى الإتحافات السننية بالأحاديث القدسية..»<sup>1</sup>.

والحديث القدسي فيه الصحيح المقبول وفيه الموضوع المردود، فمن الأحاديث الموضوعية<sup>2</sup> حديث «ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»، وحديث «كنت كترًا مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق في عرفوني»، وللوصول إلى ماهية الحديث القدسي أكثر نورد الفروق التي بينه وبين القرآن وباقي الأحاديث النبوية:

### 3-1- الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم:

بين الحديث القدسي والقرآن الكريم فروق كثيرة أهمها<sup>3</sup>:

- 1- القرآن نزل به جبريل عليه الصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وحيًا والوحي أنواع، أما الحديث القدسي فقد يكون جبريل هو الواسطة فيه، أو يكون بالإلهام، أو بغير ذلك.
- 2- القرآن مقسم إلى سور وآيات وأحزاب وأجزاء، أما الحديث القدسي فلا يُقسم هذا التقسيم.
- 3- القرآن مُعجز بلفظه ومعناه أما الحديث القدسي فليس فيه إعجاز.
- 4- القرآن لا تجوز روايته أو تلاوته بالمعنى بالإجماع أما الحديث القدسي فيجوز نقله بالمعنى.
- 5- القرآن كلام الله لفظاً ومعنى أما الحديث القدسي فمعناه من عند الله ولفظه من عند النبي ﷺ.
- 6- القرآن معجزة باقية على مر الدهور والعصور فقد تحدى الله العالمين أن يأتوا بمثله لفظاً ومعنى أما الحديث القدسي فليس محلّ تحدٍّ.
- 7- القرآن يتعبد بتلاوته فيثاب بقراءة كل حرف منه عشر حسنات، أما الحديث القدسي فليس فيه هذا الفضل.

8- القرآن محفوظ من عند الله عزّ وجل من التغيير والتبديل ولا يتطرق إليه الخطأ؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>4</sup> الحجر: 9، والحديث القدسي بخلاف ذلك فقد يرد الوهم إلى

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 20.

<sup>2</sup> - عز الدين بليق: موازين القرآن والسنة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، دار الفتح بيروت، ط2، 1986، ص 95، 96.

<sup>3</sup> - أنظر: مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، مطابع دار الصحيفة، القاهرة، مصر، دبط، 1999، ص 6-8، وأيضاً: شرف الدين علي الراجحي: من المسائل النحوية في مسند الإمام أحمد، ص 19.



أحد رواته فيرويه على الخطأ، لذلك نجد فيه الصحيح والحسن، ونسب إليه ما كان ضعيفاً أو موضوعاً، وفيه التقديم والتأخير والزيادة والنقص.

9- القرآن تشرع قراءته في الصلاة ومنه ما لا تصح الصلاة بدون قراءته، ولا يجوز ذلك في الحديث القدسي.

10- التزليل العزيز لا يمسه إلا طاهر ولا يقرؤه الجنب حتى يغتسل على القول الراجح، أما الحديث القدسي فيجوز مسه وتلاوته للمحدث والجنب.

11- القرآن يمنع بيعه عند الإمام أحمد ويكره عند الشافعية، أما الحديث القدسي فلا يمتنع بيعه.

12- القرآن جميعه قطعي الثبوت لأنه منقول بالتواتر القطعي المفيد للعلم اليقيني، أما الأحاديث القدسية ظنية الثبوت لأن غالبها أخبار آحاد، فلو أنكر أحد من القرآن حرفاً أجمع القراء عليه لكان كافراً، بخلاف الأحاديث القدسية فإنه لو أنكر شيئاً منها مدعياً أنه لم يثبت أو استنكره لحال روايته لم يكفر، أما لو أنكره مع علمه أن النبي ﷺ قاله لكان كافراً لتكذيبه النبي ﷺ.

وأجاب هؤلاء عن كون النبي ﷺ أضافه إلى الله، والأصل في القول المضاف أن يكون لفظ قائله بالتسليم أن هذا هو الأصل، لكن قد يضاف إلى قائله معنى لا لفظاً؛ كما في القرآن الكريم؛ فإن الله تعالى يضيف أقوالاً إلى قائليها، ونحن نعلم أنها أضيفت معنى لا لفظاً، كما في قصص الأنبياء وغيرها، وكلام الهدد والنملة؛ فإنه بغير هذا اللفظ قطعاً، وبهذا يتبين رجحان هذا القول.

وليس الخلاف في هذا كالخلاف بين الأشاعرة وأهل السنة في كلام الله تعالى؛ لأن الخلاف بين هؤلاء في أصل كلام الله تعالى؛ فأهل السنة يقولون: كلام الله تعالى كلام حقيقي مسموع يتكلم سبحانه بصوت وحرف، والأشاعرة لا يثبتون ذلك، وإنما يقولون: كلام الله تعالى هو المعنى القائم بنفسه وليس بحرف وصوت، ولكن الله تعالى يخلق صوتاً يعبر به عن المعنى القائم بنفسه، ولا شك في بطلان قولهم، وهو في الحقيقة قول المعتزلة، لأن المعتزلة يقولون القرآن مخلوق وهو كلام الله، وهؤلاء يقولون: القرآن مخلوق وهو عبارة عن كلام الله، فقد اتفق الجميع على أن ما بين دفتي المصحف مخلوق، ولعل الأسلم الاقتصار على القول بأن الحديث القدسي ما رواه النبي ﷺ عن ربه وكفى، وترك الخوض في طبيعته خوفاً من أن يكون من التنطع الهالك فاعله.

### 3-2- الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي:

يمكن التفريق بين الحديث القدسي والحديث النبوي فيما يلي<sup>1</sup>:

<sup>1</sup> - أنظر: مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 11، 2000، ص 16-22.

- 1- الحديث القدسي ينسبه النبي ﷺ إلى ربه تبارك وتعالى أما الحديث النبوي فلا ينسبه إلى ربه سبحانه.
- 2- الأحاديث القدسية قليلة بالنسبة لمجموع الأحاديث النبوية، وهي قولية أما الأحاديث النبوية فقولية وفعلية وتقريرية.

3- الأحاديث القدسية أغلبها يتعلق بموضوعات الخوف والرجاء، وكلام الرب جل وعلا مع مخلوقاته، وقليل منها يتعرض للأحكام التكليفية أما الأحاديث النبوية فتتطرق إلى جميع هذه الموضوعات.

وفي هذا الصدد نشير إلى أن الحديث القدسي يقتصر على الحديث المرفوع إلى النبي دون الموقوف أو المقطوع، لأن الحديث القدسي ثابت رفعه إلى الرسول ﷺ فهو الموكل له رواية المعنى عن ربه وبأسلوبه اللغوي الخاص، أما الحديث الموقوف عن صحابته أو المقطوع عن تابعيه ففيه الأسلوب اللغوي الخاص بهم ولا يمكنهم الرواية عن الله سبحانه وتعالى، ويتضمن الحديث القدسي شطراً واحداً من أقسام الحديث الشريف وهو شطر القول دون الشطرين الآخرين الفعل والتقرير.

#### 4- الحديث القدسي نص وخطاب:

وعلى هذا الأساس فمدونة الأحاديث القدسية نص مكتوب تلقاه الدارسون عبر العصور ومازالوا، غير أن اشتراط وجود المتلقي لحظة النطق بالخطاب يجعلنا نقول أن الأحاديث النبوية التي تلقاها الناس مشافهة كانت خطاباً يتضمن المعاني والأفكار الشفوية وبفعل الكتابة والتدوين تحولت إلى نص مكتوب، بدليل أننا عادة ما نستعمل مثلاً عبارة (نص الخطاب الذي ألقاه فلان) عندما لا يبقى هذا الخطاب المعبر عن الأفكار شفوية وإنما يصير مكتوباً أو مدوناً لغرض القراءة ومن ثم فكل نص خطاب وليس كل خطاب نصاً.

وعلم الحديث الشريف من أشرف العلوم وأجلها بعد علوم التزويل العزيز، غير أن النحويين اختلفوا في الاستشهاد بالحديث النبوي في النحو، ولم يناقشوا مسائله النحوية إلا مانحده قليلاً في مصنفات "سبويه" و"الفراء"<sup>1</sup>، فعلى عكس الدراسات القرآنية الكثيرة التي شملت كل ما يحتاج إليه المرء لفهم آيات الله ومعرفته أحكامها، فإن الدراسات التي دارت حول الحديث النبوي الشريف لم تشمل تقريباً إلا جانب التشريع، أما جانب اللغة فإن الدراسات فيه نادرة جداً، بالنظر إلى الكنوز الكثيرة التي يمكن أن يجدها الباحثون في لغة الحديث، لازالت تنتظر منهم أن ينهضوا بها، ومن هنا تآقت نفسي إلى استطلاع خصائص مميزة للغة الحديث القدسي، وحداني الأمل في إيجاد معالم ودرجة

<sup>1</sup> - شرف الدين علي الراجحي: من المسائل النحوية في مسند الإمام أحمد، ص199.

تماسك نصوصه وانسجامها؛ من خلال القراءة الدقيقة والفاحصة للأحاديث القدسية لاستنتاج أحكام الروابط اللغوية ودورها في اتساق وانسجام نصوصها.

حيث يروم الفصل الثالث والرابع من هذا البحث إلى بسط ومعالجة هذه المسألة من خلال الوقوف عند الروابط اللغوية المستعملة في مدونة صحيح الأحاديث القدسية للشيخ أبو عبد الله مصطفى بن العدوي التي جمع فيها مئة وأربعة وستون حديثاً قدسياً مما صح لديه، حيث أوردتها مجردة من الأسانيد والشروح، واكتفى بإيراد الحكم على كل حديث مع عزوه لبعض مخرجه وبيان معاني بعض الكلمات، ويبدو جلياً أن أسلوب الحديث القدسي متنوع الروابط اللفظية، ومتعدد الأساليب الإنشائية كالنداء والأمر والنهي والشرط... الخ.

كما أن نص الحديث القدسي غير ثابت الحجم فهو يطول تارة ليصل إلى حد صفحة الكتاب كلها، ويقصر تارة أخرى إلى حد جملة أو جملتين، والأحاديث القدسية عددها قليل مقارنة بالحديث النبوي مما يسهل السيطرة أكثر على المادة الخام موضوع الدراسة، كما أنها تؤسس لكثير من العلاقات بينها وبين باقي الأحاديث النبوية وبين العلاقة المباشرة للإنسان بربه، كما أن اهتمام الباحثين بالحديث القدسي لا يعادل اهتمامهم بالقرآن أو الحديث النبوي ككل ومن ثم فالمادة العلمية قليلة في هذا الجانب، كما أن الحديث النبوي يحتاج إلى الغرلة والتمحيص لأن الطعن في بعضه لا يزال قائماً.

## خلاصة:

لسانيات النص هي فرعٌ من فروع علم اللغة يدرس الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النصوص المنطوقة والمكتوبة، ويكشف مميزاتهما من حيث الترابط والتماسك ومحتواها الإللاخي التواصلي، وتحدد أوجه الاختلاف والفروق الدقيقة بينها فيثبت نصيتها من عدمها، وذلك بالاستعانة بعناصر خارجية غير لغوية لم يكن التحليل القائم على الجملة يعرفها كربط النص بالسياق الاتصالي وتأثيره في المتلقي، حيث توالى التآليفات الغربية في إطار هذا العلم الجديد، خصوصاً عند "فان داك" و"هاليداي" و"دي بوجراند" وغيرهم، وانصب اهتمامها في كشف مظاهر الاتساق والانسجام في النصوص وتوضيح آلياتهما ومستوياتهما.

وبالرجوع إلى التراث العربي نكتشف مدى مساهمته في علم اللغة النصي، خصوصاً عند اللغويين من البلاغيين والنحاة مثل "ابن قتيبة" و"الباقلائي" و"الجرجاني"، والنقاد مثل "حازم القرطاجني" و"الجاحظ"، والمفسرين مثل "الطبري" و"البقاعي"، والمصنفين في علوم القرآن مثل "الزركشي" و"السيوطي"، وقد اجتهدوا جميعاً من أجل إبراز كيفية تماسك النصوص الأدبية والقرآنية، ويبدو من خلال ما تقدم سبقهم إلى تحديد مفاهيم قريبة من المنهج اللساني النصي مثل: النظام والاقتران، التأليف والتلاؤم، السبك والحبك، الرصف والمناسبة، والترابط والتعلق، النسج والنظم، وكذا وعيهم بأنه لا ينبغي أن تتوقف دراستهم عند حد الجملة، بل يجب أن تتعدى إلى الربط بين أكثر من جملة، غير أن نظرهم جاءت عامة افتقرت إلى التبرير النحوي اللساني، ولم تكن هناك نظرية كاملة لمعالجة النص بصفته وحدة كلية، حيث بقي موقفهم جزئياً وذوقياً دون أن يكون ذلك عن قصور وعجز، وإنما هو حالة لمرحلة معينة ذات إبداع يلائمها، ولكن لهم إشارات تستحق التقدير، وتعد لبنات كبرى وأساسية في الدراسات النصية المعاصرة وفي بناء تحليل النص والخطاب.

والنص يمثل جانبين: الشكل وما يتضمنه من كتابة ولغة، والمضمون وما يحمله من أفكار ومعان، في حين يقتصر الخطاب على تلك الأفكار فقط، وبناءً على ذلك فإن مدونة الأحاديث القدسية كانت خطاب يتضمن المعاني والأفكار الشفوية وبفعل الكتابة والتدوين تحولت إلى نص مكتوب، وبما أن أهم ملمح للسانيات النص يتجلى في النظرة الكلية للنص التي ترصد وسائل الترابط العميق بين وحداته الجزئية وأهم هذه الوسائل هي الروابط اللفظية، سنحاول في الفصل الثاني بيان أهم أدوات وآليات ثنائية الاتساق والانسجام ثم أصناف الروابط اللفظية العربية ودورها في هذه الثنائية.

# الفصل الثاني:

الاتساق والانسجام ودور الروابط فيهما

تمهيد

أولا - الاتساق وأدواته

ثانيا - الانسجام وآلياته

ثالثا - الفرق بين الاتساق والانسجام

رابعا - الروابط وتصنيفها

خامسا - دور الروابط في الاتساق والانسجام

خلاصة

## تمهيد:

تتعامل لسانيات النص مع النص على أنه وحدة كلية، لذلك ركزت بحوثها على الأسباب التي تؤدي إلى تماسكه وتلاحم أجزائه، واشتغلت بتحديد أدوات اتساقه وآليات انسجامه، ومعايير نصية النصوص، فما المقصود بمفهومي الاتساق النصي والانسجام النصي؟ وما هي أدواتهما وآلياتهما؟ وهل الروابط اللغوية في النص تحقق الربط الداخلي في النص فحسب؟ أم أن لها آثاراً أخرى تمتد إلى ثنائية الاتساق والانسجام؟

## أولاً - الاتساق وأدواته:

### أ - تعريف الاتساق النصي:

لغة: جاء في لسان العرب: «اتسقت الإبل واستوسقت: اجتمعت...، والطريق يأتسق ويتسق أي ينضم، وفي التزليل ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ\* وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ\* وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾<sup>1</sup> الانسحاق 16-17-18، يقول الفراء: وما وسق أي وما جمع وضم، واتساق القمر امتلاؤه واجتماعه واستواؤه..، والوسق ضم الشيء إلى الشيء..، والاتساق الانتظام»<sup>1</sup>.

وجاء في المعجم الوسيط: «وسقت الدابة تسق وسقاً ووسوقاً: حملت وأغلقت الماء على رحمها فهي واسق..، واتسق الشيء: اجتمع وانضم..، واستوسق الأمر: انتظم»<sup>2</sup> نلاحظ أن هذه الكلمة تستخدم لغوياً في معاني الاجتماع والانضمام والانتظام والاستواء وحمل الشيء مجتمعاً.

اصطلاحاً: يبدو أن الاستعمال الاصطلاحي لهذا اللفظ ليس بعيداً عن معانيه اللغوية، فقد ظهر هذا المصطلح عند الغرب بلفظ "Cohésion"، ويعني أحد المفاهيم الأساسية في لسانيات النص الخاصة بالتماسك النصي على المستوى البنائي الشكلي<sup>3</sup>، حيث يعرفه الأستاذ "محمد خطابي" بأنه: «ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص / خطاب ما، يهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته»<sup>4</sup>.

ويرى كل من "هاليداي" و"رقية حسن" أن «مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، إنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص»<sup>5</sup>، إلا أن "محمد خطابي" بين أن الاتساق

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، مج6، ج55، ص4836-4837 (مادة وسق).

<sup>2</sup> مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ص1032.

<sup>3</sup> أزوالد ديكر و جان ماري شفايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، ص16.

<sup>4</sup> محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص5

<sup>5</sup> Haliday (M.A.K) and Hassan (R): Cohesion in English, P4.

لا يقتصر على الجانب الدلالي فحسب وإنما يتم على مستويات أخرى كالنحو والمعجم، حيث تنقل المعاني من النظام الدلالي إلى مفردات في النظام النحوي والمعجمي ثم إلى أصوات أو كتابة في النظام الصوتي والمكتوب<sup>1</sup>.

وهو مصطلح يشير «إلى الأدوات التي تؤسس العلاقات المتبادلة بين التراكيب الضمن جملة أو بين الجمل»<sup>2</sup>، وهذه العلاقات هي روابط لغوية شكلية تساهم في اتساق النص وتماسك بنائه وتكون شبكة نصية تعين على تفسير النص وفهمه وهي ما تسمى بالاتساق<sup>3</sup>.

حظي هذا المصطلح باهتمام الدراسات اللسانية النصية، حيث «يبرز الاتساق في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل عنصر آخر يفترض كل منهما الآخر مسبقاً، إذ لا يمكن أن يحل الثاني إلا بالرجوع إلى الأول وعندما يحدث هذا تتأسس علاقة اتساق»<sup>4</sup>، وهي علاقة تبعية خاصة حين يستحيل تأويل عنصر دون الاعتماد على العنصر الذي يحيل إليه.

وعلى هذا الأساس فإن الاتساق يقوم على ملاحظة ووصف وسائل التماسك والتلاحم بين العناصر المشكلة لنص ما من بدايته إلى نهايته برصد الضمائر، الإحالات، الإشارات، الحذف، التكرار والعطف للقول بأن النص يشكل كلاً واحداً.

كما أن الاتساق بنية تظهر فوق سطح النص، تتمثل في مجموعة من الروابط والوسائل الشكلية: النحوية والمعجمية، تقوم بربط وتقوية جمل ومتتاليات النص حتى يصبح بناءً نصياً متماسكاً لا نصاً ضعيفاً رخوياً، ولكن السؤال المطروح هنا هو: هل وجود هذه الروابط يحقق للنص اتساقه، وهل افتقار النص لها ذريعة للحكم بعدم اتساقه؟

إن بعض النصوص لا تتوفر على بعض الروابط الشكلية، منها التلغراف والإعلانات الحائطية لضرورات تواصلية أو إعلانات البيع والكراء والخدمات الإشهارية في الجرائد أو في الشعر الحديث لغرض الإبداع والتجديد<sup>5</sup>، فمثل هذه النصوص تبدو مفككة لافتقارها إلى الروابط، ومع ذلك توصف بأنها منسجمة مادامت تؤدي الغرض التواصلية وتحمل دلالة كلية موحدة.

<sup>1</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص15.

<sup>2</sup> - جون ماري سشايغر: النص ضمن كتاب العلامة نية وعلم النص، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص132.

<sup>3</sup> - محمد حماسة عبد اللطيف: الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، ص45.

<sup>4</sup> - Haliday (M.A.K) et Hassan (R): Cohesion in English, P4.

<sup>5</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص05.

وبالمقابل قد نجد نصوصاً تبدو متماسكة شكلاً، إلا أنها مفككة في الحقيقة لتفكك دلالتها وافتقارها لوحدة الموضوع أو البنية الكبرى على حد تعبير "فان دايك"<sup>1</sup>، وبالتالي فهي ليست نصوصاً، ولا هي منسجمة مادام أنها «مجموعة من الجمل لا تدور حول موضوع معين يصعب أن يتعلق بعضها ببعض»<sup>2</sup>، فما جدوى هذه الروابط أمام تفكك الأفكار والمعاني والدلالات التي لا تلتئم ولا تلتحم حول موضوع ما خاصة وأن «علم اللغة المعاصر جعل الشرط الجوهري للنص أن يكون كلاً موحداً منتظماً في وحدة دلالية، لا تجميعاً محضاً بين جمل يعوزها الترابط الدلالي، سواء في ذلك أن يكون نصاً منظوقاً أم مكتوباً، قصيراً أم طويلاً»<sup>3</sup>.

إن هذا الإشكال فرض على الدارسين عدم الاكتفاء بالمعطيات الظاهرة في سطح النص وبالتالي البحث في تماسك وانسجام عمقه، أي على الباحث «أن يبحث عن الانسجام من خلال فاعلية التأويل، وآية ذلك أن الانسجام أعم من الاتساق، كما أن البحث عن الانسجام يتجاوز يدل على عقلية تتحرك في فضاء واسع، بينما يغدو البحث عن الاتساق في لغة الإبداع الأكثر حداثة نوعاً من الاحتواء الذي يقيد من حرية التفكير، ويلزم البحث عن معطيات مفروضة سلفاً»<sup>4</sup>. مما يدل أن الاتساق جزء من الانسجام وهذا الأخير أعم وأشمل، بل إنه نظرية لسانية لها مبادئها وقواعدها.

## ب- أدوات الاتساق النصي:

يعتبر المنهج اللساني النصي حلقة من حلقات التطور الموضوعي والمنهجي للسانيات المعاصرة، إذ انتقل بالدراسة اللغوية من المجال الجملي إلى المجال النصي الواسع، واتخذ لنفسه مفاهيم مركزية توطر المنهج، كما تفرعت عنها إجراءات منهجية تتعامل مع النص منها ما هو لغوي شكلي ومنها ما هو غير لغوي أي تداولي سياقي، وسيتم إبراز ذلك في هذا الفصل، «ومن أجل وصف اتساق الخطاب/النص يسلك المحلل-الواصف - طريقة خطية..، راصداً الضمائر والإشارات المحيلة إحالة قبلية أو بعدية، مهتماً أيضاً بوسائل الربط المتنوعة كالعطف والاستبدال والحذف والمقارنة والاستدراك.. كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص/الخطاب (المعطى اللغوي بصفة عامة) يشكل كلاً متآخذاً»<sup>5</sup>، ومنه فإن أدوات الاتساق تتمثل فيما يلي:

<sup>1</sup> - تون فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، ص74.

<sup>2</sup> - إبراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، ص145.

<sup>3</sup> - محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص89.

<sup>4</sup> - بسام موسى قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص66.

<sup>5</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص5.



## 1- الإحالة:

الإحالة عملية تربط بين الجمل والعبارات والنصوص فهي تعني العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها أو متأخرة إذ اعتبرها "غريباس": «علاقة تعرّف جزئية تكون مثبتة في خطاب ما على المحور التركيبي بين عبارتين وتستعمل للجمع بين ملفوظين أو بين فقرتين»<sup>1</sup> فهي تربط بين البنى النصية الصغرى ببعضها البعض لتجعلها تتعلق فيما بينها لتنتج لنا نصاً مترابطاً، ويعرفها "دي بوجراند": «بأنها العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يُدّلُّ عليه بالعبارات ذات الطابع البدائي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إليه نفس عالم النص أمكن أن يقال عن هذه العبارات إنها ذات إحالة مشتركة»<sup>2</sup>، فهي ذات وظيفة اتساقية تجعل من النص كلا واحداً، كما أنها لا تكتفي بذاتها كيفما كان نوعها من حيث التأويل إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، ولا تخضع الإحالة للقيود النحوية حتى تؤسس علاقات دلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، وتطلق تسمية العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب فشرط وجودها هو النص<sup>3</sup>.

للإحالة ألفاظها التي يعتد بها، حيث تتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة وهي عموماً: الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة و(ال) التعريف، وأدوات المقارنة، وتتميز الإحالة بأنها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه<sup>4</sup>.

يعرف "هاليداي" و"رقية حسن" الإحالة بأنها علاقة دلالية تتحقق بواسطة ارتباط عنصرين هما المحيل والمحال إليه<sup>5</sup>، حيث يمثل المحيل نقطة انطلاق عملية الربط الإحالي وهو دائماً عنصر سياقي سياقي ذو طبيعة لغوية، أما المحال عليه فهو نقطة وصول عملية الإحالة، وقد يكون عنصراً لغوياً مثل المحيل أو عنصراً غير لغوي من عناصر المقام، ومن هذا المنطلق يقسم الباحثان الإحالة إلى قسمين:

### 1-1- الإحالة النصية:

<sup>1</sup> - نوال لخلف: الانسجام في القرآن الكريم، ص 118.

<sup>2</sup> - روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 320.

<sup>3</sup> - الأزهر الزناد: نسيج النص بحث فيما يكون الملفوظ به نصاً، ص 118.

<sup>4</sup> - أنظر: محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 17.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 21.

وتكون بين عنصرين لغويين من داخل النص نفسه وتتفرع إلى:

- إحالة قبلية: عندما يسبق المحال إليه المحيل، وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به، وفيها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمير.
- إحالة بعدية: وهي عكس القبلية حيث يتأخر فيها المحال إليه عن المحيل، وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها، من ذلك ضمير الشأن في العربية<sup>1</sup>.

## 1-2 - الإحالة المقامية:

وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي أي خارج النص، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم فهي تعمل على إفهام النص وتأويله، وتُخرج النص من حالة الانغلاق إلى حالة الانفتاح على عالم السياق والتداولية فهي «تساهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بالسياق والمقام، إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر»<sup>2</sup>.

## 2- الضمائر:

تكتسب الضمائر أهمية بصفتها نائبة عن الأسماء والعبارات والجمل المتتالية، «فالتعيين الاسمي البديل هو إعادة نصية لاسم ما من خلال الضمير، وعادة ما تتعاون في النص الضمائر مع الأسماء المتكررة وتشكل معا شبكة إحالية، وحين يحيل إلى نص ما عدة شبكات اسمية فإن واحدة منها في الغالب هي موضوع النص»<sup>3</sup>. هذا الأخير يعتمد في انزياحه عبر النص من أوله إلى آخره لبحث الترابط الموضوعي على الضمير، فتشكيل المعنى أو إبرازه يعتمد على وضع الضمائر داخل النص. إذ أن هذه الضمائر من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي، ومن ثم أكد علماء النص أن «للضمير أهمية في كونه يحيل إلى عناصر سبق ذكرها في النص، وأن الضمير (هو) له ميزتان الأولى: الغياب عن الدائرة الخطابية، والثانية: القدرة على إسناد أشياء معينة، وتجعل هاتان الميزتان من هذا الضمير موضوعا على قدر كبير من الأهمية في دراسة تماسك النصوص»<sup>4</sup>. فالضمير ليس له وظيفة شكلية فقط بل وظيفة دلالية كذلك، لأن الدلالة تكون في كثير من الأحيان غامضة وكذلك الجمل تبقى متناثرة ولا رابط يربطها إلى أن تظهر الضمائر لتمثل ذلك الجسر الذي يوصل

<sup>1</sup> - الأزهر الزناد: نسج النص بحث فيما يكون الملفوظ به نصا، ص118.

<sup>2</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص17

<sup>3</sup> - زتسيسلاف و ارزيناك: علم النص مدخل إلى مشكلات بناء النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص125.

<sup>4</sup> - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص161.

بين هذه المتناثرات ويربط بينه، فالضمائر مع غيرها من الوسائل تُكوّن مستوى نصيا عاليا من الاتساق، لذا فإن الضمائر مثل: "they", "this", "them" لا تشير إلى أناس أو إلى أشياء فقط، بل ترجع أو تشير إلى فقرات مذكورة فيما سبق<sup>1</sup>.

### 3- الاستبدال:

هو عملية من عمليات الترابط النصي التي تتم في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات أو عبارات من النص، «الاستبدال عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر»<sup>2</sup>، ويستخلص من كونه عملية داخل النص أنه نصي، على أن «معظم حالات الاستبدال في النص قبلية»<sup>3</sup>، أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم، فهو يعد مصدرا أساسيا من مصادر اتساق النصوص، وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع<sup>4</sup>:

#### 3-1 - استبدال اسمي:

ويتم باستخدام عناصر لغوية اسمية (آخر، آخرون، نفس،...)، كقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الثَّقَاتِ فِتْنَةُ تُفَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ آل عمران 13.

#### 3-2 - استبدال فعلي:

ويمثله استخدام الفعل (يفعل) مثل: (هل تظن أن المتنافس التزبه يحترم خصومه؟ نعم أظنه يفعل)، الفعل (يفعل) استبدل جملة (يحترم خصومه)، التي كان من المفروض أن تحل محله.

#### 3-3 - استبدال قولي:

باستخدام (ذلك) مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ أَثَرِهِمَا قَصَصًا﴾ الكهف 64، فكلمة (ذلك) جاءت بدلا من الآية السابقة عليها مباشرة: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الكهف 63.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 162.

<sup>2</sup> - أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 123.

<sup>3</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 19.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 124.

إن الاستبدال بهذا المعنى شكل بديل في النص وهو وسيلة هامة لإنشاء الرابطة بين الجمل، وشرطه أن يتم الاستبدال وحدة لغوية بشكل آخر يشترك معها في الدلالة، حيث ينبغي أن يدل كلا الشكليين اللغويين على الشيء غير اللغوي نفسه، ومن هذه العلاقة يستمد قيمتها الاتساقية.

#### 4- الحذف:

هو علاقة داخل النص، يشكل فيها العنصر المحذوف أو المفترض علامة دلالية مع العنصر السابق عنه في النص<sup>1</sup>، أي أنه عادة علاقة قبلية في النص تحدث اتساقا ما بين أجزاءه، حيث تكون الجمل المحذوفة أساسا للربط بين المتتاليات النصية من خلال المحتوى الدلالي، «فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم بيانا إذا لم تبين»<sup>2</sup>، ويعتمد الحذف عند "دي بوجراند" على السياق والمقام، حيث يقول: «إنه استبعاد العبارات السطحية لحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن ومن هذا الاستبعاد يستطيع القارئ أن يتلمس المعاني التأويلية الصحيحة للنص معتمدا على السياق اللغوي والسياق الموقف، فوجود الحذف بدرجات مختلفة يتلاءم كل منها مع النص والموقف مثال آخر من أمثلة ضوابط الاطراد والاستعمال»<sup>3</sup>.

ولقد قسم "هاليداي" و"رقية حسن" الحذف إلى ثلاثة أنواع هي<sup>4</sup>:

#### 4-1- الحذف الاسمي: ويقصد به حذف اسم داخل المركب الاسمي مثل:

أي قميص ستشتري؟ هذا هو الأفضل، أي هذا القميص.

#### 4-2- الحذف الفعلي: أي أن المحذوف يكون عنصرا فعليا مثل:

ماذا كنت تنوي؟ السفر الذي يمتعنا برؤية مشاهد جديدة، والتقدير أنوي السفر.

#### 4-3 الحذف داخل شبه الجملة: مثل: كم ثمن هذا القميص؟ خمسة جنيهات.

يتضح مما سبق أن الحذف يقوم بدور معين في اتساق النص، وإن كان هذا الدور مختلفا من حيث الكيف عن الاتساق بالاستبدال والإحالة، وأن المظهر البارز الذي يجعل الحذف مختلفا عنهما هو عدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص.

#### 5- الوصل:

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 21.

<sup>2</sup> - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 155.

<sup>3</sup> - روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 345.

<sup>4</sup> - أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 127.

لعل التصور القائم على أن النص: «عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطياً، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء نص»<sup>1</sup>، يعطي إشارة واضحة على أهمية الوصل والعطف في بناء اتساق النص وتماسكه .

يعرف "هاليداي" و"رقية حسن" الوصل بأنه: «تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم»<sup>2</sup>، و معنى هذا أن النص عبارة عن متتالية جميلة متعاقبة خطياً ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر متنوعة تصل بين أجزاء النص.

ويقدم علماء النص تصوراً دقيقاً لصورة الرابط النصي، فيذكرون أن التماسك خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى، ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها الترابط على المستوى السطحي للنص، وما يتمثل في مؤشرات لغوية، مثل علامات العطف والوصل والفصل والترقيم وكذلك أسماء الإشارة وأدوات التعريف والأسماء الموصولة، والزمان والمكان، وغير ذلك من العناصر الرابطة التي تقوم بوظيفة إبراز العلاقات السببية بين العناصر المكونة للنص في مستواه الخطي<sup>3</sup>.

وانطلاقاً من هذا التعريف يتشكل النص من عدة قضايا مرتبطة ارتباطاً متتالياً من خلال صورة الترابط المختلفة، كأنواع الوصل التشريكي (العطف) سواء منها المنسوقة أو الدالة على الفرعي من الجمل مثل حرف (الواو) وحرف (أو) وأداة التعليل (لأن)، وكذلك (من أجل أن)، ووظيفتها هو تكوين جمل مركبة من جمل بسيطة، وعلى ذلك فعمل هذه الروابط هو حصول الإجراء الثنائي، وفتحة من الروابط تؤخذ من أبواب الظروف الاسمية والمعرفية وما تتركب من شبه جمل من مثل (مع أن) وكذلك (بالرغم من أن)، و(نتيجة لذلك)، وتدل هذه الروابط أيضاً على عوامل الإجراء لأنها تخرج جملاً من أخرى، وتميزها عنها<sup>4</sup>.

يتبين مما سبق أن أدوات الوصل بكل أنواعها تسهم في اتساق النص وبصور مختلفة، حيث يقسم "هاليداي" و"رقية حسن" الوصل إلى ثلاثة أنواع<sup>5</sup>:

<sup>1</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص23.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص23.

<sup>3</sup> - سعيد حسن بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص123.

<sup>4</sup> - تون فان دايك: النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، دبط، 2000، ص83.

<sup>5</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 23.

- 5-1- الوصل الإضافي: يتم الربط بالوصل الإضافي بواسطة الأداتين (الواو) و (أو) وتندرج ضمن المقولة العامة للوصل الإضافي علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي المتحقق بكلمات نحو: بالمثل، وعلاقة الشرح المتمثلة في عبارات مثل: أعني، وعلاقة التمثيل المتجسدة في تعابير مثل: نحو، مثلاً.
- 5-2- الوصل العكسي: ويعني عكس ماهو متوقع، وتتم بتعابير مثل: لكن، غير أن.
- 5-3- الوصل السيي: يمكننا إدراك العلاقات المنطقية بين جملتين أو أكثر، يعبر عنها بعناصر مثل: بالتالي، لهذا السبب، إذا، من أجل هذا، سبب ذلك... وهي كما نرى علاقات منطقية ذات علاقة وثيقة بعلاقة عامة هي السبب والنتيجة.

فإذا كانت وظيفة هذه الأنواع المختلفة من الوصل متماثلة، فإن معانيها داخل النص مختلفة، فقد يعني الوصل تارة معلومات مضافة إلى معلومات سابقة أو معلومة مغايرة للسابقة أو معلومة (نتيجة) مترتبة عن السابقة (السبب)، ولأن وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة فإنه لا محالة يعتبر علاقة اتساق أساسية في النص.

## 6- التوازي:

يقوم مفهوم التوازي من منظور لسانيات النص على التقطيع المتساوي لأقسام الخطاب الأدبي، من خلال تجزئة جملة إلى مقاطع متساوية بغض النظر عن توافقها أو اختلافها المعنوي، على أن تكون هذه الأبنية المتوازية متتالية في البناء النصي للمساهمة في اتساق النص، «وقد يكون من الغريب الحديث عن التوازي في النصوص الشعرية المعاصرة التي تظهر مشتتة مبعثرة أو متراكمة بعضها فوق بعض، وخصوصاً إذا ما أخذنا في الاعتبار التعريف الشائع للتوازي أي تشابه البنيان واختلاف في المعاني»<sup>1</sup>.

ويبدو أن التوازي خاصية بنوية ونصية تحقق سمة الارتباط والتناسق بين أجزاء الخطاب ومبانيه مساهمة في اتساقه، حيث يتخذ التوازي مظهرات نصية مختلفة فيكون أحد النوعين الآتين<sup>2</sup>:

6-1- التوازي التماثل: وهو ما تماثلت بنيته واختلف بعض معناه ويكون بالتطابق على المستوى النحوي أفقياً أو عمودياً.

6-2- التوازي المتشابه: وهو ما اختلفت بعض بنيته وبعض معناه ويكون قائماً في النص أفقياً وعمودياً كذلك، ويحدث هذا النوع نتيجة عمليات التحويل النحوي بالزيادة أو النقصان.

<sup>1</sup> - محمد مفتاح: المفاهيم معالم، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997، ص161.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص161.

## 7- الاتساق المعجمي:

يشكل الاتساق المعجمي مظهرًا من مظاهر اتساق النص إذ يتخذ وسائل أخرى غير الوسائل النحوية، ففيه تتجدد الكلمات المتشابهة أو المرادفة في النص فتتسج خيطًا من المفردات المتشابهة تحقق بفضل الترابط النصي، ويتخذ الأشكال التالية:

### 7-1- التكرير (إعادة اللفظ):

حتى يكون نص في بنيته الصغرى أو في بنيته الكبرى منسجمًا يجب أن يشتمل في نموه الخطي على عناصر ذات تكرير دقيق، وتحقق قاعدة التكرير في النص بواسطة الضمائر، التعريفات، الاستبدال، الاستبدال المعجمي، الإحالة السياقية، الافتراضات المسبقة، والتكرير هو شكل من أشكال التماسك المعجمي التي تتطلب وجود مرادف أو إعادة عنصر معجمي<sup>1</sup>، ويتم بإعادة لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، «ومن شأن إعادة اللفظ من الناحية النفسية أن تركز الانتباه، فإن العناصر المكررة ينبغي أن تنطبع في الذاكرة، ومن ثم ينبغي للعملية الإجرائية أن تكون سهلة، إذ أن نقطة الاتصال في نموذج العالم ذي الاستمرار النصي أن تكون واضحة»<sup>2</sup>، لتؤدي وظيفة الإفهام و الإفصاح والكشف والتأكيد والتقريب والإثبات، ويتمظهر التكرير في النص بشكلين<sup>3</sup>:

- التكرير التام: هو إعادة اللفظة نفسها بمرجع واحد، أو بتعدد المراجع.

- التكرير الجزئي: ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه ولكن في أشكال وفئات مختلفة.

### 7-2- الكلمات العامة:

وتشمل الكلمات الصغيرة التي لها حالة معمة ومرتبطة باسم جامع، مثل اسم إنسان: (الناس، الشخص، الرجل، المرأة، الطفل، الولد، البنت...)

### 7-3- التضام:

يعد التضام من وسائل التماسك النصي المعجمي وهو «توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك»<sup>4</sup>، وتلك العلاقة الحاكمة للتضام متنوعة فقد تتخذ شكل التضاد أو التنافر أو علاقة الجزء بالكل كاليد والجسم.

<sup>1</sup> - أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 106.

<sup>2</sup> - روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 304.

<sup>3</sup> - أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 106.

<sup>4</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 25.

كل هذه العلاقات بين الكلمات تخلق في النص ما يسمى بالتضام، «ويكون للقارئ دوراً في وضع هذه الأشكال في سياق ترابطي معتمداً على حدسه اللغوي»<sup>1</sup>، وعلى معرفته بمعاني الكلمات وتمددي ارتباط هذه الكلمة بهذه المجموعة أو تلك.

## ثانياً - الانسجام وأدواته:

### أ - تعريف الانسجام النصي:

لغة: جاء في لسان العرب: «سجمت العين الدمع والسحابة الماء وسجمه سجماً وسجوماً، وسجماناً: وهو قطرات الدمع وسيالانه، قليلاً كان أو كثيراً وانسجم الماء والدمع فهو منسجم إذا انسجم والانسجام هو الانصباب»<sup>2</sup>.

اصطلاحاً: ظهر مصطلح الانسجام عند الغرب بلفظ "Cohérence"<sup>3</sup>، ومعناه هو «الالتحام، ويتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص، معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم»<sup>4</sup>.

يعرفه "جون ماري سشايفر Jean Marie Schaeffer": «يضمن الانسجام التابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام، وهذا يفترض قبولاً متبادلاً للمتصورات التي تحدد صورة عالم النص المصمم بوصفه بناءً عقلياً»<sup>5</sup>.

ويرى "ديتر فيهفيجر" و"فولفجانج هاينه مان" أن الانسجام يتعلق بفهم النص وقدرة المتلقي على تفسير ما كان غامضاً مبهماً، بتوظيف خبراته ومعارفه، «إنه عند فهم النص تستخدم المعارف على نحو استراتيجي»<sup>6</sup>، ولذلك فإن «مفسر النص يدخل بتطبيقه استراتيجيات متباينة النظام إلى المعلومات المأخوذة من النص، ويملاؤها بمعرفة قائمة من قبل»<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد عفيفي: نحو النص، ص 113

<sup>2</sup> - ابن منظور: لسان العرب، مج3، ج22، ص1947 (مادة سجم).

<sup>3</sup> - أزوالد ديكر و جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، ص16.

<sup>4</sup> - روبرت دي بو جراند: النص والخطاب والإجراء، ص103.

<sup>5</sup> - جون ماري سشايفر: النص ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، ص133.

<sup>6</sup> - فولفجانج هاينه مان وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، ص118.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص118.



ويرى الدكتور "محمد خطابي" أن الانسجام أعم وأعمق من الاتساق، فهو يتطلب من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده، ويتجاوز رصد المتحقق أو غير المتحقق أي الاتساق إلى الكامن<sup>1</sup>.

وهذه التعريفات كلها تشير إلى الأفكار والمعلومات والمعاني التي يصممها كاتب النص، والقارئ يسعى إلى إيجاد خيط رفيع يربط تلك الأفكار بتوظيف معرفته القبلية والاتكاء على التأويل والقياس وغيرها من الآليات.

ومن ثم فإن محلل النص وهو يتناول الانسجام عادة ما يلجأ إلى تأويله «يستضيف النص ويعقد معه صلات حميمة ليتعاوننا معاً على إنجاز مهمة الفهم والتأويل»<sup>2</sup>، ولكي لا يقع في الشطط يجب عليه أن يتسلح بتلك الخلفية المعرفية المتراكمة في ذاكرته فهو «لا يذهب إلى عالم النص وهو عبارة عن صحيفة بيضاء، وإنما تكون له معلومات مختزنة في ذاكرته تسمح له بالتعميم اعتماداً على مبدأ النظرير كما تسمح له بإعادة الرأي في قياسه وتصحيح بعض أجزائه»<sup>3</sup>.

وفي الواقع لا توجد نظرية موحدة تسمح ببناء تصور واحد لمفهوم الانسجام، ولا تعدو المسألة أن تكون مقارنة لمجموعة من الإسهامات يمثل كلا منها منحى مستقلاً بعينه، ومع أنها تشترك في حد أدنى من الاهتمامات الأساسية، إلا أنه من الصعب القيام بتعميمات ملائمة لعدد كبير من الدراسات.

إضافة إلى أن استعمال كلمة (انسجام) يأتي للدلالة على مفهومين متقابلين تماماً، الأول يتعلق بمجموع الخصائص التي تجعل نصاً ما ملائماً للنصية وينظر إليه على أنه كل يؤدي إلى فعل تواصل ناجح، والثاني أكثر تقنية وهو يلامس كثيراً حدود الاتساق، فهو ينظر إلى النص على أنه تتابع جمل ويتجاوز حدود التعامل مع الروابط الشكلية بين الجمل إلى روابط غير شكلية تتأسس على نظرة لهذه الجمل على أنها وقائع أو أحداث تتعالق فيما بينها كالعلاقات السببية وعلاقات التتابع الزمني.

## ب- آليات الانسجام النصي:

<sup>1</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 5-6.

<sup>2</sup> - محمد مفتاح: دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط2، 1990، ص 42.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 42.

مثلما أن حشداً من المورفيمات غير المترابطة لا يشكل جملة سليمة عند علماء التركيب، فإن حشداً من الجمل غير المترابطة لا يشكل نصاً منسجماً أيضاً، لذلك اعتبر علماء النص الانسجام مفهوماً مركباً في مجال نحو النص وعملوا على ضبط الآليات والقوانين التي تحكمه.

وتشتغل آليات الانسجام في النص على المستوى الدلالي والتداولي وهي عبارة عن مقاربات سياقية تركز على العوامل اللغوية التي توجد داخل النص نفسه يستعين بها المتلقي للحكم على انسجام النص، ومقاربات مقامية إذ النص لا يحتوي على مقومات انسجامه، بل يقوم القارئ بعمليات عقلية معقدة مرتكزا على العوامل غير اللغوية الخارجة عن النص لإعادة بناء انسجام النص، ومقاربات سياقية مقامية تعتمد على المعطيات اللغوية وغير اللغوية في تحديد الانسجام وهي تتحقق كلها في النص من خلال وسائل الاتساق<sup>1</sup>.

إن الكلام عن آليات الانسجام، يقودنا إلى الحديث عن دور القارئ وجهده التأويلي الذي يبذله لربط أجزاء النص دلالياً، وذلك بالتدرج في بنية معرفية كلية، تكون بدايتها رصد العلامات الخفية التي تجعل من النص متماسكاً الوحدات، فالمتلقي المبدع له دور كبير في الحكم على انسجام النصوص وترباطها، خصوصاً إذا كان السياق الذي جاء فيه هذا النص بارزاً ومعلوم لدى هذا المتلقي، ولعل هذا ما يلفت نظرنا إلى افتراض أن ثمة شروطاً خاصة بمتلقي الخطاب، منها أن يمتلك معارف وثقافات وأدوات تؤهله للقيام بهذا الدور المهم، لا سيما أن كثيراً من الخطابات بحاجة إلى إحالة فكر وتشكيل رؤيا وإمعان نظر، للوصول إلى استخراج العلاقات الخفية التي تجعل منه وحدة دلالية<sup>2</sup>.

وجهود كل من "فان دايك" و"براون ويول" حول الانسجام، أخذت أمرين بعين الاعتبار: الأول هو السياق الذي أنتج فيه النص، والثاني: هو أهمية المتلقي في التعامل مع النص لأنه هو الذي يحكم على انسجام النص من عدمه<sup>3</sup>، وهما أمران لا يمكن الفصل بينهما للوصول إلى انسجام نص معين، كما أن بنية الخطاب والتغريض والمناسبة من الآليات التي تعمل على كشف تماسك النص دلالياً، والتي قد تكون نتيجة علاقات خفية تربط وحدات النص.

## 1- مبدأ الإشراف:

<sup>1</sup> - محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001، ج1، ص296.

<sup>2</sup> - فتحي رزق خوالدة: تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، دار أزمنة، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص32.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص90.

كما يجري العطف بين الكلمات يجري بين الجمل، ومعلوم أن الواو حرف عطف يشرك الثاني مع الأول في الحكم الإعرابي، و«حرف نسق يقتضي أن يكون بين سابقة ولاحقة مناسبة وهو ما يسميه بالجهة الجامعة»<sup>1</sup>.

وقاعدة العلامة "عبد القاهر الجرجاني" في مبدأ الإشراف أن «لا يتصور إشراف بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك فيه»<sup>2</sup>، والإشراف يتم إما بين عنصرين متعاطفين أو أكثر أو بين جملتين متعاطفين:

### 1-1- الإشراف بين العناصر:

ويتم ذلك بعطف عنصرين غالبا ما تكون المسافة المعنوية بينهما بعيدة للوقوف على الجامع بين الاثنين، وهذه الطريقة «تفاجئ القارئ لما لا ينتظره حرفيا، أي تستبعد المتوقع وتحل محله غير المتوقع»<sup>3</sup>، فيكثر الغموض والمفارقات والجوامع الوهمية بين العناصر.

### 1-2 الإشراف بين الجملتين:

المحمولات في النحو الوظيفي تدل على واقعة، وتنقسم الوقائع إلى أربعة أصناف: أعمال وأحداث وأوضاع وحالات، وعطف الجمل يخضع للقيود نفسها التي تحكم المحمولات وهي<sup>4</sup>:

- قيد تناظر الوقائع: يجب أن تكون الجمل المتعاطفة دالة على الصنف نفسه من الوقائع.
- قيد تناظر الوظائف التداولية: يجب أن تكون الجملة المعطوفة تحمل الوظيفة التداولية نفسها.
- وحدة الحقل الدلالي: يجب أن تكون الجمل المتعاطفة دالة على وقائع منتمة للحقل الدلالي ذاته شريطة ألا تكون متناقضة أو مترادفة.

مما تقدم فإن مبدأ الإشراف بكل أشكاله الإفرادية والجمالية يؤدي دورا تماسكيا بإشارته إلى إمكانية اجتماع العناصر والصور وتعلق بعضها ببعض في عالم النص.

### 2- العلاقات:

ينظر عادة إلى العلاقات التي تجمع أطراف النص أو تربط بين متوالياته دون وسائل شكلية تعتمد في ذلك على أنها علاقات دلالية<sup>5</sup>، مثل علاقات العموم والخصوص، السبب/المسبب، الجمل/المفصل، وهي علاقات متواجدة عبر مساحة النص محققة تماسكا دلاليا بين بنياته، كما لها دور

<sup>1</sup> - أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص175.

<sup>2</sup> - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص223.

<sup>3</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص229.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص266.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص268.

الإخبار من أجل تحقيق درجة معينة من التواصل، «بيد أن النص الشعري قد يوحي بعدم الخضوع لهذه العلاقات، ولكنه ما دام نصا تحكمه شروط الإنتاج والتلقي فإنه لا يتخلى عن هذه العلاقات»<sup>1</sup>، لأن بنيته الدلالية التي تربط أجزاء النص قائمة عبر هذه العلاقات المعنوية.

### 3- موضوع الخطاب:

هو نواة مضمون النص التي يقوم عليها مسار أفكار هذا النص، وقد يتحقق موضوع النص في جزء معين منه أو عن طريق العبارة المفسرة الموجزة المختصرة لمضمون النص<sup>2</sup>.

إن موضوع الخطاب يعد مركزا أساسيا تدور حوله الأقوال التخاطبية التي تستمد منه عملية الامتداد عبر كامل النص، «ونستطيع أن نحدد مفهوم الموضوع عبر حدسنا اللغوي الذي يمكننا من وصف ذلك المبدأ الجامع الذي يجعل من مقطع خطابي ما حديثا عن شيء ما»<sup>3</sup>.

ولقد أضاف الدارسون إلى موضوع الخطاب مفهوم التخاطب الذي يقتضي اثنين في العملية التخاطبية وبخاصة في النص الشعري باعتباره خطابا متعدد الأصوات، ويظهر ذلك من خلال حوارية مقطعية داخلية، بحيث يساهم كل مقطع في علاقته بسائر المقاطع في بناء موضوع الخطاب، لأن المواضيع لا توجد في الجمل، بل لدى المتكلمين<sup>4</sup>.

ويطلق لفظ (الحوارية) على البعد التفاعلي للغة، أكان شفويا أو مكتوبا، و«الحوارية التفاعلية تحيل كذلك على التجليات المتنوعة للتبادل الكلامي»<sup>5</sup>، فالمشاركون يعبر عنهم بالأسماء أو الضمائر الضمائر والأحوال والصفات والأماكن والأزمنة.

وقد اقترح الباحثان "بروان" و"يول"<sup>6</sup> مفهومين فعالين في تقييد موضوع الخطاب، وفي جعله أكثر ارتباطا بإطاره العام وهما: قاعدة الوجهة وإطار الموضوع، هذا الأخير يتمثل في الملامح السياقية التي تنعكس على النص بوصفه البناء الشكلي الذي يتمثل فيه القول، وتُستمد من داخل الخطاب نفسه أو من السياق المادي كتبديل الشفرة والعلاقات القائمة على توزيع الأدوار في العملية التواصلية، والأدوات الإشارية مثل: "أنا" و"أنت" و"هنا" و"الآن" لأنها تقع خارج النص.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 269

<sup>2</sup> - كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص72.

<sup>3</sup> - براون و يول: تحليل الخطاب، ص85.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 86.

<sup>5</sup> - دومنيك مونفاكو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005، ص33.

<sup>6</sup> - أنظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص244.

أما قاعدة الوجهة فهي مبدأ تداولي ينضبط به التخاطب، وهي في المعنى اللغوي مقابلة الوجه للوجه، وفيه يعتمد المتخاطبان على مبادئ كالتعاون والتعفف لتخفيف حدة الخطاب التهديدي حتى تسهل عملية التبادل التخاطبي وهو يقابل مبدأ التأدب عند "لاكوف Lakoff" من جهة أخذه بالجانب العملي من التهذيب<sup>1</sup>، وعليه فإن العملية التخاطبية تبني أساسا على السياق الذي يحرص الموضوع في إطار محدد وواضح والجانب التأديبي الذي يجعل الخطاب يأخذ طابعا تفاعليا بين المشاركين.

#### 4- البنية الكلية:

يهتم التحليل النصي بالبنية الكبرى المتحققة بالفعل وهي «بنية مجردة تقارب بموضوع الخطاب الذي يعتبره فان دايك مفهوما عمليا»<sup>2</sup>، أي أنها كامنة وحاضرة في البنية الموضوعية للنص «وهي تتسم بدرجة من الانسجام والتماسك وهذا التماسك ذو طبيعة دلالية»<sup>3</sup>.

أما كيفية تحديد البنية الكبرى للنص، فإن الملاحظ أن القراء يختارون من النص عناصر مهمة تتباين باختلاف معارفهم واهتماماتهم وآرائهم، وعليه يمكن أن تتغير البنية الكبرى من شخص إلى آخر باختلاف المرجعية الثقافية والنقدية والمنهجية، أما قواعد الوصول لهذه البنية الكبرى للنصوص فهي كما يشرحها "فان دايك" تتمثل فيما يلي<sup>4</sup>:

-الحذف أو الانتقاء: تحذف من متتالية قضايا جميع القضايا التي ليست شروطا لتفسير القضايا اللاحقة في النص.

-التعميم: استبدال متتالية قضايا بالقضية التي تنطوي عليها كل واحدة من القضايا متتالية.

-التركيب أو البناء: استبدال متتالية قضايا بقضية تحيل إجمالا إلى الحدث ذاته الذي يحيل إلى قضايا المتتالية برمتها.

هذه العمليات لا يمكن أن تعمل إلا على أساس معرفتنا للعالم، حيث يتم إدراكنا الذهني للنص وفق الخلفية الثقافية والمعرفية، فالبنية الكبرى للنص ترتبط بموضوعه الكلي إذ تتجلى في ضوئها تلك الكفاءة الجوهرية لتكلم ما، والتي تسمح له بأن يجيب عن سؤال مثل: عمّ كان الكلام؟ أو: ماذا كان هدف هذا الحوار؟ والذي يحدد إطار البنية الكلية هو المتلقي، لأن مجال

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 245.

<sup>2</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 283.

<sup>3</sup> - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 328.

<sup>4</sup> - تون فان دايك: النص، بناؤه ووظائفه، ترجمة جورج أبي صالح، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، لبنان، العدد 05، 1989، ص 65.

التماسك ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضيفه القارئ ولا يعتمد فحسب على استرجاع البيانات الدلالية التي يتضمنها هذا النص، بل يقتضي أيضا إدخال عناصر القراءة التي يملكها المتلقي.

## 5- التغيريـض:

يعرفه "براون" و"يول": «بأنه نقطة بداية قول ما»<sup>1</sup>، ويقوم التغيريـض بالبحث في العلاقة التي تربط موضوع الخطاب بعنوانه، ذلك أن العنوان وسيلة تعبيرية ممكنة عن الموضوع وأداة قوية للتغيريـض، ففي الخطاب مركز جذب يؤسسه منطلقه وتحوم حوله أجزاءه، «فلو وجدنا اسم رجل مبرز في عنوان النص توقعنا أن يكون ذلك الشخص محور الحديث، والعناصر المبرزة لا تمدنا فقط بنقطة انطلاق نبي حولها كل ما يمكن أن يصب في صلب الخطاب بل إنها تمدنا كذلك بنقطة انطلاق تحد من إمكانيات فهمنا لما يلحق»<sup>2</sup>.

فالتغيريـض والبناء يتعلقان بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، مع اختلاف فيما يعتبر نقطة بداية.

«فالتغيريـض كإجراء خطابي يُطوّر وينمى به عنصر معين في الخطاب، وقد يكون هذا العنصر اسم شخص أو قضية أو حادثة، أما الطرق التي يتم بها التغيريـض فمتعددة نذكر منها: تكرير اسم الشخص، واستعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية»<sup>3</sup>.

وعلى هذا الأساس فالتغيريـض يربط بين العنوان وموضوع الخطاب، ويجعل الخطاب متماسكا عموديا والعنوان معبرا عن الموضوع، لأن العنوان هو أول ما يدهم بصيرة القارئ، وهو عمل في الغالب عقلي يتولد من النص، وكثيرا ما يكون اقتباسا محرفا لإحدى جمل النص أو آخر الحركات إذا كان النص قصيدة مثلا، فالعنوان يرتبط دلاليا بالنص وإليه يتجه تأويل الخطاب.

## 6- التناص:

<sup>1</sup> - براون و يول: تحليل الخطاب، ص 161.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 162 .

<sup>3</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 59.

تهدف الدراسات المتصلة بالتعلق النصي إلى إبراز عدم اقتصار النص على حدث واحد، إذ ربما تداخلت فيه مجموعة من الأصوات الناجمة عن تداخل النصوص ضمن الجنس الأدبي الواحد، فلكل نص تناس تتمثل فيه نصوص أخرى على مستويات مختلفة سواء مما سلف أو مما حضر، فكأن كل نص هو نسيج جديد من شواهد معادة<sup>1</sup>، ومن هنا يظهر أن النص تنتظم فيه مجموعة من النصوص سواء جاءت عن طريق وعي أو غير وعي لأن المؤلف اجتمعت لديه كثير من النصوص كان صداها قائما في النص الجديد، بحيث تشكل هذه النصوص نسيجا نصيا واحدا يتعلق بعضها مع بعض محدثة بناءً مترابعا.

ومن هذا المنطلق تعرف "جوليا كريستيفا" النص بأنه: «جهاز عبر لساني قادر على إعادة توزيع نظام اللغة، جاعلا الكلمة المبلغة التي تسعى إلى بث المعلومة في علاقة حميمية مع اختلاف أنماط الكلام ما سبقها وما تأين، فليس النص إلا إنتاجية وهو ما يعني:

- 1- أن علاقته باللغة التي يتموقع فيها هي علاقة تقوم على إعادة توزيع اللغة توزيعا بنائيا.
- 2- أن النص عبارة عن استبدال للنصوص، لأن في حيز النص مجموعة من العبارات مأخوذة من نصوص أخرى»<sup>2</sup>.

وحين يستفيد النص من التأثير الواقع عليه من تلك النصوص يقع ذوبان وتلاشي تلك النصوص في النص الجديد ويبنى بناء مفتوحا على الآداب والثقافات المختلفة، ويكون فضاء غنيا بالدلالات والمواضيع، وهذا التداخل النصي يظهر في مستوى الموضوع والمضامين، كما يبرز بنيويا يظهره التماثل اللساني للمقاطع في مستوى البنية السطحية.

## 7- السياق:

أولى اللغويون اهتماما متزايدا منذ بداية السبعينات بدور السياق في فهم النص، أبرزهم العالم اللغوي "فيرث" الذي يرى أن «كل كلمة عندما تستخدم في سياق جديد تعد كلمة جديدة»<sup>3</sup>. فهو ينظر إلى النصوص في اللغات المنطوقة على أنها تحمل في طياتها مقومات القول، بحيث تحيل على مشاركين نموذجيين في سياق عام، يقول: «لدى أهل المنطق نزعة إلى القول بأن للكلمات والأطروحات معنى في حد ذاتها يمكن بطريقة أو بأخرى تحديده بمعزل عن المشاركين في الخطاب

<sup>1</sup> - عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ص 283.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 277.

<sup>3</sup> - جون إي جوزاف، نايجل لف، توليت جي تيبيلر: أعلام الفكر اللغوي، ترجمة أحمد شاكر الكيلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص110.

والظروف والمناسبات التي وقع فيها الحدث الكلامي، أما أنا فأقترح أنه لا يمكن الفصل فصلا تاما بين الأصوات (الكلمة) وبين السياق الاجتماعي الذي تلعب فيها دورها..<sup>1</sup>

فلكل رسالة مرجع تحيل عليه، وسياق معين مضبوط قيلت فيه، ولا نفهم مكوناتها الجزئية أو نفكك رموزها إلا بالإحالة على الملابس التي أنجزت فيها هذا الرسالة قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب، «وهكذا نجد أن اهتمام فيرث كان منصبا على إحلال القول محله ضمن السياق الاجتماعي، ومن ثم الخروج بتعميمات حول أنماط المعاني التي تفرزها سياقات اجتماعية محددة»<sup>2</sup>، لأن السياق تبرز أهميته في الفهم بأنه يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة التي ينتجها الخطاب وأنه يساعد على تحديد المعنى المقصود، بل كثيرا ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين، وفي رأي اللغوي "هايمس Hymes" أن عناصر السياق قابلة للتصنيف إلى ما يلي<sup>3</sup>:

- (أ) - المرسل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.
  - (ب) - المتلقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.
  - (ج) - الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.
  - (د) - الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.
  - (هـ) - المقام: وهو مكان وزمان الحدث التواصل، والإشارات والإيماءات، والمناسبة.
  - (و) - القناة: كيف تم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، كتابة..
  - (ز) - النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي.
  - (ح) - شكل الرسالة: دردشة، جدال، عظة..
  - (ط) - المفتاح: ويتضمن التقديم لقيمة ونوع الرسالة.
  - (ي) - العرض: هو ما يقصده المشاركون وينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصل.
- فهذه الخصائص على محلل الخطاب أن يختار منها ما هو ضروري لمعرفة الحدث التواصل، ولا يمكن أن تكون مجتمعة في فهم خطاب واحد، فقد يوجد هناك عنصر أو عنصرين غالبين في

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص111.

<sup>2</sup> - بروان و يول: تحليل الخطاب ، ص46.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص48.



إنتاج ذلك الخطاب وتأويله، والباقي غير موجود وعليه يقول "هايمس": «بقدر ما يعرف المحلل أكثر من خصائص السياق بقدر ما يحتمل أن يكون قادرا على التنبؤ بما يحتمل أن يقال»<sup>1</sup>.

إن الخطاب القابل للفهم والتأويل هو القابل لأن يوضع في سياقه، إذ كثيرا ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط من حيث لغته لكنه قد يتضمن قرائن (ضماير أو ظروف) تجعله غامضا غير مفهوم دون الإحاطة بسياقه، ومن ثم فإن للسياق دورا فعالا في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس، وقد يستعين القارئ بمبدأ التأويل المحلي الذي يرتبط بالسياق، بحيث يجعل طاقته التأويلية مقيدة باعتماده على خصائص السياق، كما أن المبدأ التأويلي متعلق بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤثر زمني مثل (الآن)، أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم كاسم "محمد" مثلاً، «فالتأويل المحلي يعلم المستمع بأن لا ينشئ سياقاً أكبر مما يحتاجه من أجل الوصول إلى تأويل ما»<sup>2</sup>، فيكون هذا التأويل سليماً وصحيحاً ومؤيداً للمعنى.

## 8- المعرفة الخلفية:

اللغة هي الوسيط بين المستعملين إذ بواسطتها يتم التفاعل الاجتماعي والثقافي والمعرفي بوجه عام، ويتحقق علمنا بالعالم الخارجي، وهذا العلم يشكل للقارئ ذخيرة غنية يستطيع بفضلها أن يواجه بها النص في عملية القراءة والتأويل، «فالمعروف أن معالجته للنص المعين تعتمد من ضمن ما تعتمد على ما تراكم لديه من معارف سابقة تجمعت لديه كقارئ متمرس قادر على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للتجارب والنصوص السابق له قراءتها»<sup>3</sup>. فالقارئ الذي يواجه نصاً حدثاً عليه أن يكون ملماً بالتيارات الأدبية والنقدية الحديثة، وبدايات الشعر الحر ورواده وتأثير الأدب الغربي ومدارسه على شعراء القصيدة الحرة، والتغيرات الحديثة على مستوى الشكل والمضمون في القصيدة، كل هذا يعتبر زاداً يشكل الإطار الذهني والمعرفي الذي يقرأ به القارئ نصه.

فعلى القارئ أن ينظم معرفته الخلفية في أطر ومدونات لكي يجعل أدواته وإجراءاته التحليلية منظمة وموجهة توجيهها سليماً وصحيحاً، وأن يواجه أي نص بما تملّيه خلفيته الخاصة به، ويذهب اللغوي "مينسكي" إلى أن معرفتنا مخزنة في الذاكرة على شكل بنيات ومعطيات، يسميها "الأطر" تمثل وضعيات جاهزة وقد حدد الطريقة إذ يقول: «حين يواجه شخص ما وضعية جديدة،

<sup>1</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص53.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص56.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص61.

فإنه يختار من الذاكرة بنية تسمى إطاراً، وهو إطار متذكر للتكيف مع الواقع عن طريق تغيير التفاصيل حسب الضرورة»<sup>1</sup>.

## 9- المستوى التداولي:

التداولية هي أحدث فروع العلوم اللغوية، حيث تنطرق إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية، يعرفها "آن ماري دير" و"فرانسوا ريكاناتي" كالتالي: «التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية»<sup>2</sup>، وتعني بتحليل عمليات الكلام ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام، فهي «تعالج قيود صلاحية أفعال كلامية وقواعدها بالنسبة لسياق معين، وبعبارة أكثر إيجازاً تدرس التداولية العلاقة بين النص والسياق»<sup>3</sup>.

## 9-1- الأفعال الكلامية:

نظرية أفعال الكلام تعني بالخطاب كأفعال لغوية وتدرس علاقتها بالسياق، وتأسست هذه النظرية على يد اللغويين "ج.ل. أوستن" و"سيرل"، فقد ميز "أوستن" بين العبارات الإنجازية وبين الأحداث الكلامية البيانية<sup>4</sup>، وصنف الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أفعال:

- 1- فعل القول: يتفرع إلى ثلاثة أفعال فرعية الصوتي والتركيب والخطابي.
- 2- الفعل الإنشائي أو الإنجازي: يتمثل في إنجاز عمل ما من خلال إنتاج فعل القول ويتعلق الأمر هنا بتحقيق قصد المتكلم، ولا يمكن أن يكون هذا الفعل ناجحاً تاماً دون أن يحدث تأثير على المخاطب<sup>5</sup>.

3- الفعل التأثيري: والذي بواسطته أحدث وجوباً رد فعل وتأثير لدى المخاطب.

يبدأ "أوستن" في تجسيد فكرة "القول يعني الفعل" بالاهتمام بالأفعال الإنجازية أو الإنشائية مثل: أقسم، عمد... أفعال تمثل الصيغة الإفرادية لتحقيق ما يقوله المخاطب لإقامة حقيقة جديدة انطلاقاً من لفظة تلفظها (تأدية الفعل)<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 62.

<sup>2</sup> - آن ماري دير وفرانسوا ريكاناتي: المقاربة التداولية إلى اللغة، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د.ط، 1989، ص 08.

<sup>3</sup> - تون فان دايك: علم اللغة مدخل متداخل الاختصاصات، ص 141.

<sup>4</sup> - الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1988، ص 24.

<sup>5</sup> - ذهيبه حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 126.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 126.

ويعرف الفعل الكلامي على أنه «كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول»<sup>1</sup>.

إن المقصود عادة بالقول إننا نفعل شيئا ما، هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي، كأن نعدّ وعدا ما، أو ننصح أو نفرح، وتم تحديد الأفعال الكلامية في خمسة هي:

1- **الحكميات:** وهي «الأفعال التي تقوم على إطلاق حكم مبني على شهادة أو تعليل»<sup>2</sup>، وهي في جوهرها إطلاق أحكام على واقع، أو قيمة مما يصعب القطع بها، ومن أمثلتها: قيم، حكم، وصف، حلل، صنف..

2- **التوجيهات:** تقوم على «محاولة توجيه المخاطب إلى فعل سلوك ما في المستقبل، وشرطها الإرادة والرغبة الصادقة وتمثلها الصيغ: الاستفهام والأمر والنهي والرجاء والنصح، والاستفسار والسؤال»<sup>3</sup>، ويدخل في هذا القسم كثير من أفعال القرار، كما تندرج فيه ما سماها أوستين السلوكيات التي تعبر عن رد فعل سلوك الآخرين (تعاطف، اعتذار...) وأفعالها مثل: أمر، قاد، دفع عن، ترحى، طلب، تأسف، نصح.

3- **الوعديات:** هو أن كل فعل إلزامي هو تعمد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل الممثل في المحتوى الخبري وتتوفر نماذج الوعديات في المواعيد والنذور والرهون والعقود والضمانات»<sup>4</sup> والسمة المميزة المميزة لهذا النوع عن سابقة كونه لا يبتغي التأثير في السامع.

4- **التعبريات:** هي «رد فعل وتعبير عن مواقف اتجاه سلوك ومصير الآخرين»<sup>5</sup>، والنماذج على التعبريات هي الاعتذارات والتشكرات والتهاني والترحيبات والتعزيات<sup>6</sup>، والغرض من هذا الصنف الصنف التعبير عن مواقف نفسية تعبيرا صادقا.

5- **التبيينات:** وهي «تستخدم للمحاجة وللإبانة عن التطورات وتوضح استعمال الكلمات»<sup>7</sup>، إذ إذ في سياق الكلام يكون المتكلم في حاجة إلى طرائق شتى لبيان عن رأيه حتى يقتنع المخاطب

<sup>1</sup> - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص40.

<sup>2</sup> - جيل بلان: عندما يكون الكلام هو الفعل، ترجمة جورج كنورة، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، لبنان، العدد5، 1989، ص49.

<sup>3</sup> - المرجع السابق، ص49.

<sup>4</sup> - جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006، ص218.

<sup>5</sup> - جيل بلان: عندما يكون الكلام هو الفعل، ص49.

<sup>6</sup> - جان سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ص219.

<sup>7</sup> - جيل بلان: عندما يكون الكلام هو الفعل، ص49.

بصحة ما أورده، وما يحتاج إلى مجموعة من الحجج والبراهين حتى تنتقل من مستوى العرض إلى مستوى الإقناع والتسليم بها.

وخلاصة القول: إن الأفعال الكلامية تحقق الانسجام النصي، إذا استطاعت أن تكون تماسكا بأغراضها التخاطبية المتوازية والتي تؤدي في النهاية إلى المشاركة في بناء البنية الكلية للخطاب.

### 9-2- دور المتلقي:

لا يعتبر "براون" و"يول" أن انسجام الخطاب شيء معطى موجود في الخطاب ينبغي البحث عنه للعثور عليه وإنما هو شيء يبنى، أي ليس هناك نص منسجم بذاته ونص غير منسجم بذاته باستقلال عن المتلقي، بل إن المتلقي (السامع أو القارئ) هو الذي يحكم على نص بأنه منسجم وعلى الآخر بأنه غير منسجم، حيث يقوم بإدماج النص أو المقطع اللغوي ضمن عمليات عقلية معقدة تشبه عمليات الحاسوب، تقوده في نهاية المطاف إلى الحكم على انسجام النص من عدمه، أي أن الخطاب يستمد انسجامه من فهم وتأويل المتلقي ليس غير<sup>1</sup>.

وعلى سبيل المثال: إذا اطلع طالب من جامعة باتنة بتاريخ 2011/04/01 على إعلان معلق بلوح الإعلانات بذات الجامعة فيه ما يلي: (محاضرة، 2011/04/04، 09.00، لسانيات النص، د. محمد خطابي، القاعة الكبرى للمحاضرات)، يلاحظ أن هذه المقاطع اللغوية تفتقر للروابط الشكلية ورغم ذلك يستطيع فهمها وتأويلها أي أنها نصوص منسجمة رغم تفككها الظاهر، حيث أن المتلقي يفترض أن هذا الخطاب منسجم كيفما قدّم ثم يبحث عن العلاقات المتطلبة لبناء انسجامه، معتمداً على كون هذه السلاسل اللغوية متجاورة فيؤولها كما لو كانت مترابطة، ثم يرجع إلى معرفته وما تراكم لديه من تجارب سابقة في مواجهة مثل هذا الخطاب، وهو بذلك يستعمل عمليات عقلية للوصول إلى المقصود من هذه الرسالة، وهو أنه ستلقى محاضرة يوم الاثنين 04 أبريل 2011 في الساعة التاسعة صباحاً بعنوان لسانيات النص من طرف الدكتور محمد خطابي بالقاعة الكبرى للمحاضرات بجامعة باتنة.

### 9-3- النمو الموضوعاتي:

حتى يكون النص منسجماً يجب أن تتحقق فيه قاعدة النمو الموضوعاتي وذلك بإدراج معلومات جديدة وباستمرار، أي أن يكون نموه مصحوباً بإسهام دلالي متجدد<sup>2</sup>، وقد ظهرت فكرة

<sup>1</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 51.

<sup>2</sup> - مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص 122.

النمو الموضوعاتي في رحاب حلقة "براغ" اللسانية حين وصفت الجملة بمنظور وظيفي على أنها تتكون من عنصرين ديناميين يسهمان في مضمونها الإخباري هما الموضوع وهو ما نتحدث عنه والمحمول وهو ما نقوله عن الموضوع بحيث يقدم أكبر قدر من المعلومات داخل الجملة<sup>1</sup>، وإذا انتقلنا بهذا المفهوم من الجملة إلى النص فإن النص يتحقق نموه بسلسلة من الموضوعات المخبر عنها بواسطة سلسلة من المحمولات المتلاحقة، وعلى هذا النحو ينقسم النمو الموضوعاتي إلى ثلاثة أقسام<sup>2</sup>:

- 1- الخطي: عندما يتحول محمول جملة سابقة إلى موضوع جملة لاحقة في النص.
  - 2- ذو الموضوع ثابت: عندما يحتفظ النص بالموضوع نفسه ويخبر عنه مع كل جملة جديدة بمحمول جديد.
  - 3- ذو الموضوعات والمحمولات المشتقة: عندما يشتمل النص على موضوع كبير يتفرع إلى موضوعات جزئية، أو يشتمل على محمول كبير يتفرع إلى محمولات جزئية.
- 9-4- عدم التعارض:

من شروط انسجام النص خلوه من التعارض، وهو نوعين: تعارض لفظي بين المفردات والعبارات، وتعارض استدلالي بين العناصر الدلالية، كما يجب أن يخلو المقام الذي ينتج فيه النص من تعارض العالم الواقعي المحسوس وتعارض العالم الممثل المجرد للمفاهيم والأفكار<sup>3</sup>، ويتحقق ذلك بالترابط الحسي والمنطقي لعناصر العالم الواقعي.

حاولنا فيما سبق أن نحدد أدوات الاتساق النصي والتي بفضلها تتحقق نصية النص، فأبرزنا كيف تعمل هذه الأدوات في تشكيل البنى النصية وعلاقتها التركيبية والدلالية على مستوى الجمل المتتالية، وتطرقنا إلى الأدوات النحوية والمعجمية ودورها في عملية الاتساق، كما تناولنا آليات الانسجام في النص فركزنا على المفاهيم الدلالية والتداولية كالعلاقات والتغريض والتناص والسياق ومعرفة العالم والأفعال الكلامية، ودور المتلقي وشرط النمو الموضوعاتي وعدم التعارض، وهنا يخرج النص من الدراسة الداخلية إلى ما هو سياقي تداولي يتطلب التأويل والتفسير من قبل القارئ.

إن الاتساق وحده لا يكفي في دراسة النص، بل إنه مقدمة لا بد منها في الانتقال بالدراسة النصية من الانغلاق إلى الانفتاح لكي نوضع النص في سياق إنتاجه، كما يتطلب أن نفهمه في إطار ذلك، ولا يتحقق ذلك إلا بربط النص بآليات الانسجام.

<sup>1</sup> محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج2، ص811.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص812.

<sup>3</sup> مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص124.

### ثالثاً - الفرق بين الاتساق والانسجام:

في ضوء ما سبق فإن الانسجام أعم وأشمل من الاتساق ويفرض على القارئ تجاوز المعطيات البارزة في النص إلى البحث عن الجانب الدلالي وحتى التداولي الغائرين في عمق النص. وإذا كان مصطلحا الانسجام والاتساق يسيران معا في الدراسات اللسانية المعاصرة، فإن الجانب التاريخي فيهما يضعنا أمام حقيقة مفادها أن الكلام عن الانسجام سابق، فمع نهاية الستينات وبداية السبعينات لم يكن مصطلح الاتساق موجودا لا كمفهوم ولا كمجال للدراسة، ولبيان الفرق بين الاتساق والانسجام أكثر يجدر أن نتمعن المثالين الآتين:

1- يحب أحمد المطالعة وهو مولع بتصفح كل كتاب.

2- هل بإمكانك أن تعيرني هذا الكتاب؟

- أسبوع من الزمن؟

يشكل المثالان وحدتين خطائيتين يتقبلهما المتلقي مع الحكم عليهما بأنهما منسجمتان، المثال الأول تتحقق فيه الاستمرارية عن طريق عنصر لغوي شكلي هو الضمير (هو)، بينما لا توجد علاقة شكلية بين جزئي المثال الثاني، فالظاهر ينبئ عن علاقة انفصال، غير أن المتلقي في هذه الحالة لا يوظف معرفته اللغوية بل معرفته الموسوعية أو ما يسمى بمعرفة العالم. ولئن تم تحديد هاتين الظاهرتين المحققتين للاستمرارية الدلالية في النص الأولى تمس الجانب اللغوي والثانية تمس الجانب التداولي، فالذي يُلَفَت الانتباه إليه أنهما كانتا تدرسان تحت تسمية واحدة هي الانسجام ومع مرور الزمن وتطور البحث في المجال النصي أدى إلى تخصص تدريجي لدراسة هذين النوعين من العلاقات.

وأهم ما أُلِفَ في مسألة الاتساق هو ما قدمه "هاليداي" و"رقية حسن" من خلال مؤلفهما الشهير "الاتساق في الإنجليزية Cohesion in English" سنة 1976، ويعتبر هذا المؤلف نقطة فصل بين ظاهرتي الانسجام والاتساق، فقد وضعت هذه المساهمة الأسس النظرية والمنهجية لما يعرف اليوم بتحليل الاتساق.

غير أن مسألة التداخل بين مفهومي الاتساق والانسجام بقيت مستمرة وعادة ما كان يعبر عن الأول بالثاني<sup>1</sup>، ويلاحظ هنا أن المقابلة بين الاتساق والانسجام تتأسس على مقابلة أخرى بين

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص125.

النص والخطاب وتفرع عن هذه المقابلة مقابلات أخرى تشكل محورين متدرجين من الأعلى إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى هكذا:

| نص                            | خطاب                               |
|-------------------------------|------------------------------------|
| جملة                          | قول                                |
| مورفيم                        | كلمة                               |
| مستوى الدالية                 | مستوى المدلولية                    |
| الاتساق                       | الانسجام                           |
| نظام القواعد اللسانية الشكلية | مجموع المعايير الاجتماعية الملموسة |

إن تعلق الجمل بعضها ببعض يعني أن كل جملة تستند على سابقتها، والاهتمام بهذا التعلق يظهر بوضوح مع "فان دايك" حينما يقول: «من غير المؤكد بل من غير المحتمل أن يكون النص مجموعة من الجمل،... مثلما أن الجملة ليست تتابعا للكلمات فقط»<sup>1</sup>.

فهناك إذن ما يجعل من هذه الجمل نصا أي وحدة، وإذا كان النحو يسعى إلى تحديد مجموعة القواعد التي تحكم الوحدات المكونة للجملة وإبراز أنواع العلاقات التي تقيمها هذه الوحدات مع بعضها لتشكيل من هذه العناصر هذه الوحدة التي نسميها الجملة، فليس من الصعب إذا نحن أثبتنا أن النص يتميز بالوحدة وأنه في التكوين ليس مجرد رصف لجمل، أن نتكلم عن نحو للنص.

مسألة الانسجام متشعبة في المعالجة فأحيانا ينظر إليها انطلاقا من النص، وأحيانا ينظر إليها انطلاقا من علاقة النص بالمتلقي، والنظرة الموسعة للانسجام تمثلها الباحثة "لينا لاندكيسست" ويأتي مسوغ التوسيع فيها من منطلق نظرية أفعال الكلام<sup>2</sup>، فكما أن الجملة فعل يتكون من مجموعة من الأفعال (فعل الإسناد وفعل الإحالة وفعل الإنجاز) فكذلك يمكن توسيع هذا التحليل إلى النص باعتباره فعلا ومن ثم فهو يقول شيئا ليحقق شيئا، وهذا يعكس وجود ترابط في النص من حيث التكوين، وترابط بين النص والمتلقي.

#### رابعا - الروابط وتصنيفها:

<sup>1</sup> - تون فان دايك: النص والسياق، ص 45.

<sup>2</sup> - مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص 124.

استفادت الاجتهادات اللغوية الغربية من الروح العلمية التي قدمتها البنيوية في تحليل اللسان وفهم الخطاب والنص، وجاءت في سياق نظري وعملي متطور أعطى لمفاهيم البنية النصية أبعاداً جديدة في النص المترابط فرضت نفسها في الواقع اللغوي العربي، وأصبحنا أمام ضرورة الاهتمام بالنص المترابط والبحث فيه، وإلا فإنه يستحيل التنظير والتقعيد لهذا النص أو إنتاجه وتلقيه، أو قراءة ما يتجاوزه من الدلالة والتأويل<sup>1</sup>.

فالنظام اللغوي في العربية يقوم على مجموعة من الأنظمة الفرعية والظواهر اللغوية التي تحتاج إلى الدراسة والبحث، ومنها نظام الربط فهو عنصر مهم من عناصر النظرية النحوية العربية، وعامل أساسي في فهم المعنى وانتظام المفردات والجمل<sup>2</sup>.

نحاول هنا اكتشاف مختلف الروابط في النص التي تربط الجمل والفقرات بعضها ببعض، على أن نقوم بكشف دور هذه الروابط في نصية الحديث القدسي وتماسكه في الفصلين المواليين. فالحديث النبوي يمثل إحدى المنطلقات النحوية في التقعيد بعد القرآن الكريم، إذ هي نصوص قديمة يفترض أنها تعكس صورة التنظير النحوي، وعليه لا يمكننا مبدئياً أن نعارض صورة الربط في نصٍ كان يحتكم إليه في استخلاص القاعدة، ومن منطلق هذه السمة لنصوص الحديث القدسي فإن استيعابها لصور الربط الحديثة يبقى ضئيلاً، خصوصاً أنه عبارة عن خطاب عام موجه للناس وبالتالي فهو أقرب إلى تمثيل الواقع العام للغة، وأنه متنوع فهو يشتمل على خصائص لغة قريش مضافاً إليها لغات مختلف القبائل المجاورة، وهذا التنوع في الانتماء اللغوي لهذه النصوص زادها خصوصية أخرى.

وسنقف قليلاً لإيضاح مفهوم الربط والترابط والروابط إيضاحاً موجزاً، ثم ننتقل إلى وقفة أخرى فيها شيء من رصد نظرة القدماء والمحدثين لأنواع الروابط وأهميتها في الدراسات اللغوية عامة، ودراسات لسانيات النص على وجه الخصوص؛ ليكون ذلك بمثابة الخطوة الأولى الضرورية للانتقال إلى اختيار تصنيف واحد للروابط ودراسته في نص الحديث القدسي.

## 1- تعريف الربط:

جاء في لسان العرب: «رَبَطَ الشيءَ يربطه ويربطه رَبْطاً، فهو مربوط وربيط، أي شدّه، والرباط ما رُبط به، والجمع: رُبطٌ»<sup>1</sup>، ولم يتعد القاموس المحيط عن هذا الشرح حيث جاء فيه:

<sup>1</sup> - سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، الـ مركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص187.

<sup>2</sup> - جمعه عوض الخباص: نظام الربط في النص العربي، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص20.



«ربطه يربطه ويربطه شدة فهو مربوط وربط، والمربطة: أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغره، وكل معد لصاحبه»<sup>2</sup>، فالربط في اللغة ينصرف إلى العملية الميكانيكية أو الآلية للشد والتلاحم ولا يكون الربط إلا بوسيلة ما يطلق عليها الرباط، أما في الاصطلاح اللساني فالربط هو العملية التي تتصل بها جمل النص من أجل إقامة علاقة دلالية بينها، ويبدو أن هذا الاصطلاح أفاد من المفهوم اللغوي الذي يقصد به اجتماع وتلاحم عنصرين لغويين.

وقد يفهم من الترابط شدة الربط فقط، غير أن الترابط في الحقيقة هو ما ينتج من عملية الربط، وفيه يتمثل التماسك الشكلي والتماسك الدلالي تمهيداً للوصول إلى التماسك الكلي الذي يتحقق بعوامل داخل النص وأخرى خارج النص، فالترابط هو عملية أخرى تختلف عن الربط، وهي عملية ثابتة تمثل محصلة لعملية الربط السابقة، ويفرق بين المفهومين الدكتور "مصطفى حميدة" بقوله: «..فأما الارتباط فهو نشوء علاقة نحوية سياقية وثيقة بين معنيين دون اللجوء إلى واسطة لفظية تُعَلِّق أحدهما بالآخر، فهي أشبه بعلاقة الشيء بنفسه، وأما الربط فهو اصطناع علاقة نحوية سياقية بين معنيين باستعمال واسطة تتمثل في أداة رابطة تدل على تلك العلاقة، أو ضمير بارز عائد، ويكون الربط إما لأمن لبس الانفصال أو لأمن لبس الارتباط، وأما الانفصال فهو انعدام العلاقة الدلالية والنحوية بين معنيين»<sup>3</sup>.

إن تراصف الكلمات في النص دون تلاحمها وترابطها، يجعل منها مجرد ألفاظ لغوية يجاور بعضها بعضاً لا تؤدي أي معنى أو هدف لغوي، ولا يمكن للغة متقطعة الأوصال متنافرة التراكيب أن تحقق هدف التواصل وتحظى بالتناسق والمقبولية، فعلاقات الربط تساهم في بناء التركيب السليم للغة و«إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائط اللفظية التي تعين على الوصول إلى هذه الغاية»<sup>4</sup>، وهذه الوسائط اللفظية هي الروابط.

## 2- تعريف الروابط:

هي الأدوات أو الوسائل التي يتم بها الربط للوصول إلى الترابط النصي، ومفرداتها رابطة أي أداة الربط، وقد أطلقت كتب الفلسفة العربية على الأدوات التي يتم بها الربط (الرباطات)، وقد آثرنا نحن استعمال لفظ (روابط) لشيوع اللفظ في دراسات اللغة العربية خاصة المعاصرة.

<sup>1</sup> - ابن منظور: لسان العرب، مج3، ج18، ص1560 (مادة ربط).  
<sup>2</sup> - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ): القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط3، 1978، جذر (رب ط)، ج2، ص360.  
<sup>3</sup> - مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، شركة لونغمان، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص203.  
<sup>4</sup> - تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2000، ج1، ص128.

إن الروابط هي وسائل التلاحم في جسد اللغة التي يولد منها النص المتناسك، « فالعريية تلجأ إلى الربط بواسطة لفظية حين تخشى اللبس في فهم الانفصال بين معنيين، أو اللبس فهم الارتباط بين معنيين، والواسطة اللفظية إما أن تكون ضميراً بارزاً منفصلاً أو متصلاً وما يجري مجراه من العناصر الإشارية، كالاسم الموصول واسم الإشارة، وإما أن تكون أداة من أدوات الربط»<sup>1</sup>. وقد تلجأ إلى روابط معنوية أهمها السياق، «وما يجعل السياق سياقاً مترابطاً إنما هو ظواهر في طريقة تركيبه ورصفه، لولاها لكانت الكلمات المتجاورة غير آخذ بعضها بحجز بعض في علاقات متبادلة تجعل كل كلمة منها واضحة الوظيفة في هذا السياق»<sup>2</sup>، أي أن التماسك السياقي يبنى على العلاقات المتشابهة بين أجزاء السياق.

إن الروابط قد تكون علامات لغوية محسوسة كالحروف والأسماء والأفعال والعبارات وقد تكون علامات لغوية مجردة كالرابط السياقي، وحركات الوجه واليدين، للدلالة على الأمر أو النهي أو التهديد أو الترحيب مثلاً.

### 3- تصنيف الروابط العربية:

رغم أن موضوع الربط كان محط الدرس النحوي لدى القدماء والمحدثين، إلا أنه لم يكن لهم الاهتمام الكبير به، فالنحاة المتقدمين لم يشيروا إلى الربط إلا إشارات عابرة في مواضع متفرقة، أما المتأخرون فقد نبه قليل منهم إلى أهمية هذه الظاهرة التركيبية فحاولوا حصر مواضعها في مباحث خاصة<sup>3</sup>.

#### أ- نظرة القدماء في تصنيف الروابط:

لم يدرس القدماء الروابط في مؤلف مستقل، وإنما جاء الحديث عنها عاماً في بعض البحوث البلاغية وكتب حروف المعاني، وفي أبواب نحوية مختلفة، ولم يخصصها بنظرة منهجية مستقلة تحلل أثرها في الترابط النصي أو التماسك العام للنص، كما لم يكونوا نظرية خاصة بها، وإن كان تناولهم للروابط في إطار دراساتهم يدل على استقصاء تام لتلك الروابط في اللغة العربية ودراسة جادة لأثرها، وللفروق الدقيقة فيما بينها.

ويعدُّ "ابن السراج" (ت 316هـ) أول من تناول الروابط وأشار إلى مسألة الربط بالحرف، يقول في باب مواقع الحروف: «اعلم أن الحرف لا يخلو من ثمانية مواضع: إما أن يدخل على الاسم

<sup>1</sup> - مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 195-196.

<sup>2</sup> - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1986، ص 237.

<sup>3</sup> - مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط، ص 190.

وحده مثل: للرجل، أو الفعل وحده مثل سوف، أو الربط اسماً باسم، أو فعلاً بفعل، أو فعلاً باسم، أو على كلام تام، أو ليربط جملة بجملة، أو يكون زائداً... أما ربطه الاسم بالاسم فنحو قولك: جاء زيد وعمرو، فالواو ربطت عمراً بزيد، وأما ربطه الفعل بالفعل فنحو قولك: قام وقعد، وأكل وشرب، وأما ربطه الاسم بالفعل فنحو قولك: مررت بزيد، ومضيت إلى عمرو، وأما ربطه جملة بجملة فنحو قولك: إن يقيم زيد يقعد عمرو، وكان أصل الكلام: يقوم زيد، يقعد عمرو، ليس متصلاً بيقعد عمرو ولا منه في شيء، فلما دخلت إن جعلت إحدى الجملتين شرطاً والأخرى جواباً<sup>1</sup>.

ويشير "الرضي" (ت 686هـ) بعد ذلك إلى أهمية الضمير في الربط بين الجمل قائلاً: «الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدت جعلها جزء الكلام، فلا بد من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير، إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرض»<sup>2</sup>، ثم يفصل بعد ذلك في أحوال حذف الضمير العائد.

وخص النحويون بعد ذلك أدوات الربط بكتب مستقلة، ويعتبر "ابن هشام الأنصاري" (ت 761هـ) أول من فصل الحديث في الروابط، حيث تناولها بطريقة تحليلية في مبحثين ذكر في الأول روابط الجملة بما هي خبر عنه، وحصرها في عشرة روابط هي: الضمير، الإشارة، إعادة المبتدأ بلفظه، إعادة المبتدأ بمعناه، عموم يشمل المبتدأ، العطف بفاء السببية جملة ذات ضمير خالية منه أو بالعكس، العطف بالواو، شرط يشتمل على ضمير مدلول على جوابه بالخبر، أل النائية عن الضمير، كون الجملة نفس المبتدأ في المعنى، ثم ذكر في المبحث الثاني أحد عشر موضعاً يحتاج إلى رابط، وهي: الجملة المخبر بها، الجملة الموصوف بها، الجملة الموصول بها الأسماء، الجملة الواقعة حالاً، الجملة المفسرة لعامل الاسم المشتغل عنه بدل البعض والاشتغال، جواب اسم الشرط المرفوع بالابتداء، العاملان المتنازعان في باب الاشتغال، ألفاظ التوكيد الأول، كما خص العطف بتحليل مستقل قبل الحديث عن تلك الروابط ذاكراً أقسام العطف، وعطف الخبر على الإنشاء والعكس،

<sup>1</sup> - ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (ت 316هـ): الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتيلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1996، ص59.

<sup>2</sup> - الاسترأبادي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت 686هـ): شرح كافية ابن الحاجب، تقديم إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1، ص91.

وكذلك عطف الجملة الفعلية على الاسمية والعكس<sup>1</sup>، وكرر "السيوطي" في كتابه (الأشباه والنظائر في النحو) ما أورده "ابن هشام"<sup>2</sup>.

وقد تناولت كتب إعراب القرآن وعلوم القرآن تلك الأدوات بالدرس التطبيقي في النص القرآني، ولم يقتصر الاهتمام بها على النحويين والمعرّبين فقد تناولها الأصوليون، والفلاسفة، أما البلاغيون، فقد تحدثوا عن قضايا الربط في مبحث الوصل والفصل، وأفاضوا في دراسة تتابع الجملتين المتعاطفتين، خصوصاً بحرف العطف (الواو) لا بغيره؛ لأنها تدل على مطلق الجمع، والعطف بها غير واضح الغرض كبقية أدوات العطف، فضلاً عن كونها أداة العطف الرئيسة في اللغة العربية.

ولعل "عبد القاهر الجرجاني" أبرز من تناول قضية الربط من البلاغيين القدماء، إذ خصها بنظرية مستقلة، هي نظرية التعليق أو النظم التي يرد إعجاز القرآن الكريم إليها، فهو يجعل النظم منوطاً بالمعنى، فيقول عن نظم الكلم: «إنك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو -إذن- نظمٌ يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق»<sup>3</sup>، ولكنه لا يغفل النحو في نظريته فهي تقوم على النحو أيضاً حيث يجعل النظم «توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم»<sup>4</sup>.

وقد تناول "عبد القاهر" بعض أدوات الربط كالواو، والفاء، وثم، وأو، ولكن، وبل، كما تناول بعض الأدوات النحوية كـ لا، ما، إن، إذا، كما تطرق إلى مسألة التقديم والتأخير، ويبدو أن نظريته في النظم هي جمع بين الدلالة والنحو والأسلوب، والذي يميزها أنها تهتم بالمعنى وباللفظ على حدٍ سواء، ولا تهتم بناحية واحدة فقط، هذا إضافة إلى اهتمامه بمسألة التواصل والسياق. وعلى الرغم من أن "عبد القاهر" كان على بعد خطوة واحدة من النصية -مفهوم الدراسات المعاصرة- إلا أن عمله هذا لم يؤد إلى تكوين نظرية خاصة بالنص، وشبيهة بخطوته خطوة "حازم

<sup>1</sup> - ابن هشام الأنصاري ، عبد الله جمال الدين بن يوسف (708-761هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، 2005، ص647-663.

<sup>2</sup> - أنظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت911هـ): الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج227/1-228.

<sup>3</sup> - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص85.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص102.

القرطاجي" في تماسك القصيدة الشعرية واعتماده على تقسيم القصيدة إلى فصول تتربط عن طريق بعض العلاقات المعنوية كالجُزء والكل، والعام والخاص، كما أشرنا في الفصل الأول.

وقد اعتمد الوصل والفصل في البلاغة العربية القديمة على الدلالة ثم جرى ربطها بالنحو، ولكن المحدث في تلك النظرية هو وجود أداة ربط أو عدم وجودها، أي أنه انطلاقاً من الشكل إلى الدلالة، أو من الخارج إلى الداخل، وعلى الرغم من اقتصرها في العموم على الرابط (و)، فقد تناول البلاغيون القِيم الرابطة لأدوات ربط أخرى، إضافة إلى أنهم درسوا خلوة الجمل في تتابعها من الرابط، ويمكن اختصار نظرة القدماء من علماء العربية في مسألة الربط بين الجمل، وما يُقترح أن يضاف إليها من رابط بياني يعتمد على الإعراب فيما يلي:

الوصل (الربط بأداة ربط): بالواو، بحروف العطف غير الواو، الاشتراك في الحكم الإعرابي قصد الارتباط، الاشتراك في معنى من المعاني، كمال الانقطاع عند الإيهام، كمال الاتصال عند الإيهام، التوسط بين الكمالين مع وجود جهة جامعة.

الفصل (الربط البياني): كمال الانقطاع بلا إيهام، كمال الاتصال، الروابط البيانية الإعرابية، شبه كمال الانقطاع، جمل مركبة أو جمل مترابطة، شبه كمال الاتصال، التوسط بين الكمالين مع المانع من العطف، مع إضافة مقترح الربط البياني الإعرابي.

فأما الوصل بحرف العطف سواء بالواو أم بغيره، فلا بد فيه من جهة جامعة بين الجملتين المتعاطفتين، والجامع بين الجملتين يكون باعتبار المسند فيهما أو المسند إليه فيهما، ويفهم من كلام "القزويني" عند حديثه عن المناسبة بين الطرفين، أن ذلك الجامع قد يكون مما يتعلق بسياق الحديث، وهو ينقسم إلى عقلي ووهمي وخيالي: أما العقلي، فهو أن يكون بينهما اتحاد في التصور أو تماثل أو تضاف كما بين العلة والمعلول، والسبب والمسبب، والسفل والعلو، والأقل والأكثر، فإن العقل يأبى ألا يجتمعا في الذهن، وأما الوهمي، فهو أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل أو تضاد أو شبه تضاد، والخيالي أن يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال<sup>1</sup>.

فما يدل على أن الخيال لا حد له، وبذلك يكون أوسع جامع للوصل، ويبدو أن كمال الاتصال والاشتراك في المحل الإعرابي يخص (الجمل المركبة) التي صنف في هذا البحث أي عندما تكون الجملة الثانية من التوابع كأن تكون تأكيداً، أو بدلاً، أو عطف بيان أو صفة، أما كمال الانقطاع فيرجع إلى أمر يخص الإسناد أو إلى طرفيه كاختلاف الجملتين خبراً أو إنشأً، وكعدم

<sup>1</sup> - أنظر: محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج1، ص320.

وجود جامع، ويبدو أن عدم وجود الجامع هو السبب الرئيس في كمال الانقطاع بدليل جواز عطف الخبر على الإنشاء عند "سيبويه" وكثير من النحويين<sup>1</sup>.

ولكن اختلاف الإسناد يكون لاشك سبباً في الانقطاع، وأما الاستئناف، فلا يخص شبه كمال الاتصال الذي يكثر في إجابة الأسئلة الظاهرة والمقدرة بل له عدة صور، كما أن عدم الإيهام أو وجود الإيهام يعدُّ من الأمور المهمة في العطف بين الجمل، إذ لو أدّى الوصل أو الفصل إلى إيهام، عُذِل عن أحدهما إلى الآخر حتى مع اكتمال شروطهما، والإيهام أمر يتعلق بقصد المتكلم من كلامه، وبسياق كلامه أيضاً.

واللافت للنظر في تقسيمات القدماء رغم دقتها اهتمامهم بالفصل أكثر من الوصل، ولكن ذلك الفصل لا يعني عدم الاتصال بين أجزاء الكلام بل هو فصل رابطي إن صح الكلام، أو ربط بياني، يؤدي إلى تماسك الكلام وانسجامه، وقد يفضي استعمال أداة العطف في حالة الفصل إلى اختلال الكلام، كما أن اختلال الكلام ينتج أيضاً عن حالتين لم يشر إليهما القدماء، ولكنهما واضحتان، وهما: نقص كمال الاتصال، وزيادة كمال الانفصال.

ولا ريب أن أحوال الفصل متعددة، فمن أحواله الأخرى الفصل السياقي حيث يمكن أن يؤدي سياق التحدث أو سياق المقام إلى الفصل بين العبارات بواسطة استعمال بعض الإشارات أو حركات الجسم التي هي في الحقيقة مصاحبة للنص، وليست جزءاً منه، كما قد يكون الفصل بسبب اضطراري كحدوث علة طارئة من سعال، أو التفتات، أو تشتت ذهن، أو مقاطعة، ونحو ذلك، وهذه الأمور هي واردة الحدوث في نص شفاهي، وقد يحدث الفصل أيضاً بسبب من النوع النصي، مثلما يحصل كثيراً في بعض القصائد الحديثة والمعاصرة.

ويحتل الربط موقعاً متميزاً في تشكيل النص، ولكنه يتحقق على مستويات مختلفة، ولعل الأساس الأول في الربط في اللغة العربية هو أدوات الربط الشكلية؛ لاعتماد كثير من صور الربط الأخرى عليها، وهي عبارة عن روابط جمالية جاءت في كتب النحاة العرب مثل: الكتاب لسبويه (ت180 هـ)، والمقتضب للمبرد (ت285 هـ) والإيضاح العضدي للفارسي (ت377 هـ). والفصل للزمرشي (ت538 هـ)، ومغني اللبيب لابن هشام (ت761 هـ). لأنها تمثل اتجاهات نظر متنوعة وتستغرق التراث النحوي القديم.

<sup>1</sup> - أنظر: سبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان (ت180هـ): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ج2، ص122.

## ب- نظرة المحدثين في تصنيف الروابط:

إن مسألة الربط في نحو الجملة لا تزال تُعالج في الاتجاه التقليدي، كمعالجة القدماء تماماً وليس هناك أي إضافة جادة سوى الشرح أو التحقيق، بيد أنه يمكن أن يجد المرء تطوراً وتعديلاً وإضافة لما كان عند القدماء في نظرية (تضافر القرائن) عند الدكتور "تمام حسان"، حيث ذكر قرائن التعليق اللفظية والمعنوية في النظام النحوي وعد قرينة الربط من القرائن اللفظية<sup>1</sup>، وقد خرج من رحم هذه النظرية نظرية الارتباط والربط لدى الدكتور "مصطفى حميدة" الذي يفرّق بين الربط والارتباط بقوله: «فأما الارتباط فهو نشوء علاقة نحوية سياقية وثيقة بين معنيين دون واسطة لفظية تُعلّق أحدهما بالآخر فهي أشبه بعلاقة الشيء بنفسه، وأما الربط فهو اصطناع علاقة نحوية سياقية بين معنيين باستعمال واسطة تتمثل في أداة رابطة تدل على تلك العلاقة، أو ضمير بارز عائِد، ويكون الربط إما لأمن لبس الانفصال، أو لأمن لبس الارتباط، وأما الانفصال فهو انعدام العلاقة الدلالية والنحوية بين معنيين»<sup>2</sup>.

وتناول "مصطفى حميدة" علاقات الارتباط في تركيب الجملة العربية، كالإسناد، والتعديّة، والإضافة، وعلاقات الربط في تركيب الجملة العربية، كالربط بالضمير وما يجري مجراه، ويفرّق بين الربط بالضمير وما شابهه، وبين الربط ببقية الأدوات باعتبار أن الربط بالضمير هو ربط ناشئ مما في الضمير من إعادة الذكر، في حين أن الأدوات النحوية يكون الربط فيها ناشئاً عن تلخيصها لمعنى نحوي كالعطف والاستثناء<sup>3</sup>.

وفصل بعض اللغويين المحدثين أنواع الروابط في أبحاث مستقلة، فقد تناول الباحث "عادل زغير" في دراسته (الربط في الجملة العربية) الربط بالإسناد، وبالضمير، وبالاسم الظاهر، وباسم الإشارة، وبإذا الفجائية النائية عن فاء الجواب، وبعض الأدوات مثل الفاء، والواو، وحرف الشرط، والأدوات الواقعة في جواب القسم<sup>4</sup>.

وتحدث الباحث "حامد علي منيفي" في دراسته (الرابط اللفظي في لغة الحديث الشريف، مختصر البخاري للزبيدي أنموذجاً) عن الربط بالضمير العائد، والربط ببعض الأدوات، مثل فاء

<sup>1</sup> - تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 213-216.

<sup>2</sup> - مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 203.

<sup>3</sup> - انظر: المرجع نفسه، ص 195-202.

<sup>4</sup> - عادل زغير: الربط في الجملة العربية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، العراق، 1988، ص 76.

جواب الشرط والفاء الواقعة في جواب أما، والواقعة في خبر المبتدأ، وواو الحال واللام الرابطة لجواب القسم وجواب لو ولولا<sup>1</sup>.

وعمل الدكتور "جمعة عوض الخباص" في مؤلفه (نظام الربط في النص العربي) على توضيح أنماط الروابط وأدواتها لدى النحاة العرب من خلال عينة من كتب التراث النحوي، وحصرتها في الضمير العائد، واو الحال، اسم الإشارة، الاسم الموصول، أدوات العطف، أدوات الاستئناف، أدوات الشرط الجازمة وأدوات جوابها، أدوات جواب القسم، أدوات التفسير، وتقديم هذه الأنماط في عينة من نصوص الاستعمال الجاري من قصص القرآن الكريم والقصص العربية القديمة، ثم المقارنة بين صورتها هاته الأنماط<sup>2</sup>.

بعض الدارسين تناولوا أدوات رابطة محددة مثل الدكتور "شرف الدين علي الراجحي" في دراسته (الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم) ومنها الفاء العاطفة والفاء الاستئنافية والفاء حرف جواب<sup>3</sup>، وأفرد الدكتور "محمد عبد الله جبر" في كتابه (الضمائر في اللغة العربية) فصلاً تناول فيه الضمير الرابط في جملة الخبر، والحال، والصفة، والصلة، وضمير الفصل، وضمير الشأن، وضمير الاشتغال<sup>4</sup>، وعقد الدكتور "عبد الفتاح الحموز" في كتابه (المبتدأ والخبر في القرآن الكريم) فصلاً بعنوان رابط الجملة التي في موضع الخبر، تناول فيه الضمير الرابط وما يغني عنه في الربط كاسم الإشارة والاسم الظاهر، وإعادة المبتدأ بلفظه، ومثل على ذلك من القرآن الكريم<sup>5</sup>.

ويبدو أن لغويينا في دراستهم للروابط استفادوا إلى حد ما من المدارس اللسانية الغربية، فقد درس الدكتور "حسام البهنساوي"، في مؤلفه (أنظمة الربط في العربية) نظرية الربط في التراكيب اللغوية العربية السطحية في ضوء المدرسة التوليدية والتحويلية، وألمح إلى وضع الأنظمة والقوانين والأسس العامة لمبادئ الربط الملائمة للتراكيب العربية كالضمائر الحرة والمقيدة والتعابير الإحالية الحرة، وخصص مبحثاً للربط على مسافة بعيدة والشروط اللازمة لهذا الربط<sup>6</sup>، كما سار الدكتور

<sup>1</sup> - حامد علي منيفي: الرابط اللفظي في لغة الحديث الشريف، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1999، ص42.

<sup>2</sup> - جمعه عوض الخباص: نظام الربط في النص العربي، ص12.

<sup>3</sup> - شرف الدين علي الراجحي: الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، دط، 1995، ص46.

<sup>4</sup> - أنظر: محمد عبد الله جبر: الضمائر في اللغة العربية، دار المعارف، مصر، ط1، 1983، ص123-149.

<sup>5</sup> - أنظر: عبد الفتاح الحموز: المبتدأ والخبر في القرآن الكريم، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 1986، ص265-300.

<sup>6</sup> - حسام البهنساوي: أنظمة الربط في العربية، دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص04.



"عبد القادر الفاسي الفهري" في كتابه (اللسانيات واللغة العربية) في ركاب نظرية الربط العاملي عند "شومسكي" التي تركزت حول الربط في إطار نحو الجملة<sup>1</sup>.

فقد اهتم لسانيو النص في اللغة العربية بالروابط باعتبارها الأساس الأول في علم اللغة النصي، يتم الوصول بواسطتها إلى التماسك الكلي للنص، وقد تأثر بعضهم بالنظريات الغربية المتعددة في لسانيات النص، إلا أنه يمكن أن يُعدّ من البحوث المؤسسة في علم النص خصوصاً في قضية الربط بحث الدكتور "الأزهر الزناد" في كتابه نسيج النص، وهو ينحو نحو الاهتمام بالروابط الشكلية، ويعدّها العنصر الأهم في تكوين النص، وكذلك بحث (لسانيات النص، مدخل في انسجام الخطاب) لمحمد الخطابي الذي يمكن عدّه أنموذجاً للاتجاه المتكامل في دراسة النص. بما في ذلك روابطه المختلفة.

جاء النصيون بصور جديدة للروابط داخل النص سميت بالروابط النصية وهي عبارة عن عبارات رابطة بين الجمل وعناصرها وبين الفقرات أضيفت للروابط الواردة من النحاة العرب، مثل عبارات: (من جهة.. ومن جهة أخرى، في النهاية، بالإضافة إلى ذلك، بسبب،..)، وسميت باصطلاحات عديدة منها: الروابط الاستنتاجية، السببية، الإضافية..، غير أن هذه الصور تقوم على الروابط النحوية والبلاغية ولا نلمحها ولا نقف عليها في نصوص الأحاديث القدسية، وهو ما كان منتظراً من البداية، فنصوص الحديث القدسي توافق ما جاء عليه التنظير النحوي القديم، لأن كتب التراث النحوي تمثل عينة دالة لما جاء عليه الربط في اللغة كما صورته كتب التراث بعامة.

أما الربط بالأداة فيوجد بين الجمل كما أن حضور أداة الربط مشروط بالخلاف بين الجملتين أو القطعتين المتصلتين أو المتباعدين، ومصطلح الخلاف يجمع عدداً من الوجوه كما يلي:<sup>2</sup>

1- تعاقب في الذكر: وتدخل تحت هذا الصف بعض أحرف العطف كـ (الفاء) و (ثم) اللتان تفيدان أن الثاني يعقب الأول ويرتبط به ارتباطاً ترتيبياً تعاقبياً، مع اختلاف في الزمن الفاصل بين الأسلوبين إذ (الفاء) تفيد الترتيب والتعقيب دون مهلة زمنية، أما (ثم) فتفيد الترتيب والتعقيب مع وجود مهلة زمنية.

<sup>1</sup> - أنظر: عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، دبط، 1985، ص35-42

<sup>2</sup> - الأزهر الزناد: نسيج النص، ص56.

2- تعاقب على أساس السببية: ويدخل تحته في العربية أدوات الشرط نحو: إن تخرج أخرج، فالخروج الذي يفترض أن يقع من المتكلم في هذا المثال، مرتبط بسببية الخروج الذي يقع من المخاطب في المثال.

3- تعاقب على أساس إضافة عنصر إخباري جديد: ويدخل تحته أحرف الجر فقولك: صلى المسلمون صلاتهم في المسجد، فإضافتك الحرف (في) كان مفترضا أن تضيف عنصرا إخباريا جديدا.

4- تعاقب على أساس التردد والذكر: يدخل تحته الحرف العاطف (أو).

أما وظيفة الأداة في الربط فناشئة من تلخيصها لمعنى نحوي، كالعطف والشرط والاستثناء وغيرها من المعاني<sup>1</sup>، وتفيد الأدوات في تماسك النص لما تلعبه من دور في التضام بين مفرداته، ذلك أن بعضا منها ليس له مدخول إلا على نوع واحد من العناصر اللغوية، كأن يكون الاسم فقط كأحرف الجر، أو أن يكون الفعل فقط كأحرف النصب أو الجزم، فإذا كان الأمر كذلك سمي ذلك اختصاصا، فالأداة «إما أن تدخل على نوع معين من الكلمات لا تتعداه إلى غيره فتسمى مختصة كاختصاص إن وأخواتها بالدخول على الأسماء واختصاص حروف الجر بذلك أيضا»<sup>2</sup>، وإما أن لا تختص بالدخول على أي نوع من الكلمات ويبقى دخولها عليها عاما، بعض الحروف تتصل بنوع واحد من الكلمات لكنها لا تعمل فيه، مثل أداة التعريف (الـ) فهي لا تتصل إلا بالاسم، ومنها أيضا السين وسوف فهما حرفان لا يتصلان إلا بالفعل المضارع، ومنها نونا التوكيد، لكن هذه الحروف لا تعمل، وعلة ذلك أنها كانت بالنسبة إلى ما اتصلت به كالجزء من الكل وهذا هو الذي منعها من العمل لأن «كل ما لزم شيئا وهو خارج عن حقيقته أثر فيه وغيره غالبا»<sup>3</sup>.

وكل هذه الحروف جاءت سابقة لما دخلت عليه إذ لا يجوز لها أن تتأخر عليه، ولو تأخرت لوجدنا للغة نشازا واهتزازا، ولو وجدنا أن المعنى لم يصل إلى المتلقي؛ فهذه الرتبة المحفوظة التي راقبها التركيب اللغوي في الآية، وفي أمثالها إنما تشير إلى اتساق التركيب وانسجام المعاني.

للأدوات في العربية أهمية كبيرة كما أن لها مواقع يجب التزامها بحسب وظائفها، فمنها ما له الصدارة كحروف الجر ونواصب وجوازم المضارع وأدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة ولام

<sup>1</sup> - مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص196.

<sup>2</sup> - تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج1، ص896.

<sup>3</sup> - السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد (ت626هـ): مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص242.

الابتداء وألف الاستفهام وأحرف التنبيه، ولا النافية للجنس، وكم الخبرية والاستفهامية، وإن ومعمولاتها، وما النافية، رب التي بمتزلة (ما) النافية و(إن) المؤكدة<sup>1</sup>، و«الحروف التي لها صدور الكلام عاملة أو غير عاملة لا يجوز أن يقدم ما بعدها على ما قبلها»<sup>2</sup>، «فمن ذلك حروف الجر، لا يجوز أن يقدم عليها ما عملت فيه، ولا يجوز أن يفرق بينها وبين ما تعمل فيه»<sup>3</sup>، ومنها ما له التوسط إذا كان له دور الربط بين الجملتين أو اللفظين كحروف العطف، فكل أداة في اللغة الفصحى تحتفظ برتبة خاصة، و«تعد قرينة لفظية تعين على تحديد المعنى المقصود بالأداة»<sup>4</sup>.

وتقسم الروابط عموماً إلى قسمين:

- روابط إحالية: مهمتها الإحالة في النص مثل: الضمير، اسم الإشارة، اسم الموصول، آل المشبهة للضمير، وأل العهدية، أدوات المقارنة، اللفظ المكرر، بعض الظروف الزمانية والمكانية.. الخ.
- روابط لا إحالية: مهمتها وصل أجزاء النص ونسج تراكيبه، وهي كثيرة لا يمكن حصرها بسهولة؛ إذ إنها تتجه نحو الزيادة كمظهر من مظاهر التطور اللغوي، ويدخل فيها ما يلي: أدوات الشرط وجوابه، أدوات التوكيد ومنها أدوات القسم، أدوات النفي، أدوات النداء، أدوات الاستفهام، أدوات العطف، أدوات الجر، نواصب وجوازم المضارع، حروف التسوية، التوابع (التوكيد، البدل، النعت)، النواسخ،.. الخ

والبحال لا يتسع لتناول جميع هذه الروابط وإنما سيتم الاكتفاء بالأهم منها والذي ارتكزت عليه نصوص الأحاديث القدسية في بناء اتساقها وانسجامها بشكل واضح، فتناول الجزء بالتعمق وإحصاء جميع شواهد ثم إلحاقها بالتفصيل والتحليل، فيه الإفادة خيرٌ من تناول الكثير بطريق العموم والسطحية.

#### خامساً- دور الروابط في اتساق وانسجام النص:

الروابط عناصر لغوية لا تخلو منها أية لغة من لغات العالم، ويمكن عدّها الوسيلة الأهم للتماسك في النص، أو بين متواليات الجمل، فعلى سبيل المثال حينما يستقبل متلقي هذا النص: (ذهب الطالب إلى المكتبة جاء إلى القسم)، سوف يشعر ذلك المتلقي أن العلاقة الدلالية في هذا

<sup>1</sup> - الهروي، أبو الحسن علي بن محمد النحوي (ت415هـ): الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ط2، 1993، ص259.

<sup>2</sup> - ابن السراج: الأصول في النحو، ج2، ص234.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص230.

<sup>4</sup> - أبو السعود حسنين الشاذلي: الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1989، ص42.

النص غير واضحة، أي إن فيها شيئاً من اللبس لا يمكن أن يرتفع إلا بقولنا مثلاً: (ذهب الطالب إلى المكتبة ثم جاء إلى القسم)، أي بإضافة الرابط (ثم) بين الجملتين المشكلتين لهذا النص. ولكن الروابط لا تحقق دورها على الصعيد النحوي-الدلالي فحسب، وإنما تحققه أيضاً بين مجموعة متواليات قضايا النص، فعلى سبيل المثال حينما يستقبل متلقي هذا النص:

أ- نام أحمد وغيّرت الحرباء لون جلدها.

فإن هذا النص يتضمن قضيتين معبر عنهما بجملتين يربطهما الرابط (الواو)، غير أن الروابط المتوفرة في هذا النص (الواو والضمير المتصل "ها") حققت الربط النحوي إلا أن الربط الدلالي في النص مازال ملبساً، لذا يجب وجود روابط أخرى تضمن الربط بين القضيتين الواردتين في النص وتوضح العلاقة بينهما في إطار دلالي خاص يختلف عن الإطار النحوي-الدلالي السابق، أو في إطار سياقي تداولي يسهم في إيضاح تلك العلاقة، ويتم ذلك بإحدى الطرق الآتية:

1أ- نام أحمد وغيّرت الحرباء لون جلدها، بعد أن كُسِرَ فرع الشجرة التي نام عليها أحمد، ففرع أحمد لما استيقظ وأبصر تلك الحرباء.

فقد اتضح الترابط بواسطة الربط بين القضيتين الواردتين في (أ) بقضيتين أخريتين لهما مفهوم دلالي يرتبط في صحته أو بطلانه بالقضايا الواردة في (1أ)، وقد يتم الربط بالآتي:

2- كما تشاهدون في هذا الفيلم السينمائي: نام أحمد وغيّرت الحرباء لون جلدها.

فالسّياق يسهم في الربط، وإن لم يتضح الربط بين القضايا بشكل جليّ، وهو سياق داخل النص، ولكن قد يكون السياق سياقاً خارجياً كما في:

3أ- قال ضاحكاً: نام أحمد وغيّرت الحرباء لون جلدها.

فبداية العبارة السابقة تستدعي إيضاحاً سياق خارجي ما، وربما يسأل سائل عن ذلك السياق، فيكون الجواب أن أحمد طفل ذهب إلى زيارة معرض للزواحف، ونام وهو يمشي في الوقت الذي غيّرت الحرباء لونها.

وقد يكون الربط عن طريق المجاز أو التداخي أو الأسطورة مثلما نجد في القصائد الشعرية والقصص الرمزية؛ فيصير لنوع النص ومقتضيات ذلك النوع أثر في كيفية الربط.

فالروابط إما أن تكون لفظية نحوية تركيبية كالضمائر وحروف العطف أو الجر أو معنوية كالسياق الداخلي والخارجي أو الرابط المجازي وكلها تحقق الترابط النصي (التماسك الشكلي والدلالي) بين جمل وقضايا النص، وبدونها يتعذر التواصل بين المرسل والمتلقي.

وفي إطار رصد أنواع الروابط اللغوية ننوه إلى أن مراقبة لغة الأطفال تمكننا من استنتاج أن الروابط تطورت في اللغات الإنسانية مروراً بثلاث مراحل كما يلي:

المرحلة الأولى: رصف الجمل إلى جانب بعضها من دون أية روابط لغوية، وتكون العلاقات بين الجمل في هذه المرحلة مما يمكن للمتلقي فهمها بسهولة.

المرحلة الثانية: ربط الجمل بعضها ببعض، ولكن مع بقاء كل جملة مستقلة عن الأخرى، فلا تكون إحدى الجملتين مكوناً من مكونات الجملة الأخرى.

المرحلة الثالثة: الربط عن طريق إدماج إسناد في إسناد آخر.

هذا التقسيم هو ما يؤيده عمر يوسف عكاشة، ويسمي الروابط في المرحلة الثانية روابط توفيقية؛ لأنها توفق بين إسنادين أو أكثر، ويرتبط أحدهما بالآخر دون أن يفقد أحدهما استقلاله، وأهم الروابط التوفيقية أدوات العطف.

أما الروابط في المرحلة الثالثة، فيسميها الروابط الإدماجية، وهي تدمج الإسناد الثاني ليصبح جزءاً من مكونات الإسناد الأول، وفي هذه الحالة يكون الإسناد المدمج حاملاً لوظيفة دلالية ما كالزمان، أو الحال، أو السبب، أو الشرط، وتتصدره أداة الربط التي تم عن طريقها الدمج<sup>1</sup>.

ولئن كانت تلك المراحل صحيحة من حيث الوصف، فإنها من حيث الترتيب لا تستقيم تماماً في المرحلتين الأخيرتين خصوصاً، اللتين تتداخلان وتختلفان باختلاف اللغات في كفيتهما، وفي تعقد أدواتهما وتنوعها، فتقسيم الجمل في اللغة الإنجليزية الذي يتأثر به هذا الترتيب لا يتوافق حتماً مع لغات أخرى كالعربية مثلاً، ثم إن في العربية نمطاً من الجمل المستقلة لا يربط بينها أي رابط، ويكون الرابط في حال وجوده مخلاً بتركيب الجمل، وذلك مبسوط في كتب البلاغة العربية في مبحث الفصل، إضافة إلى ما يكون للإعراب من دور في الربط.

وتتمثل أهمية الروابط في إطار النصية في أن النص لا يمكن أن يكون نصاً من غير ربط، أو من دون علاقات بين جملته، فالنص هو بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات، وقد تربط هذه العلاقات بين جملتين (الربط المشنوي)، أو بين أكثر من جملتين (الربط

<sup>1</sup> - محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج2، ص914.

(الجمعي)، كما قد تربط الجمل فيما بينها ربطاً مباشراً (الربط القريب)، أو ربطاً تتوسطه علاقات أخرى تتصل بين جمل أخرى (الربط البعيد).

والحقيقة أن الروابط السابقة منها مالا يربط إلا أجزاء الجملة، ومنها ما يربط أجزاء الجملة ويربط الجمل بعضها ببعض، وهو الذي يعني هذا البحث، فقد تكون بعض حروف الجر المختصة بالربط بين أجزاء الجملة أكثر من غيرها رابطة بين الجمل كلام التعليل، في قولك: ذهبت إلى الحجاز لأنني أحب مكة.

تجدر الإشارة إلى أن بعض آليات الاتساق والانسجام كالتقديم والتأخير والإحالة لا يمكن عدها من الروابط لأنها عبارة عن علاقات رابطة في النص أما موضوع البحث فهو يقتصر على الأدوات والوسائل التي تصنع بعض هذه العلاقات وتؤدي في الوقت نفسه إلى اتساق وانسجام النص، تفادياً لأي خلط بين مصطلح رابطة ومصطلح علاقة، فالزمان والمكان اللذان يجعلهما الدكتور "مصطفى حميدة" علاقات ارتباط ويخصها بأنها تكون من غير واسطة لفظية؛ يصنفهما الدكتور "عمر يوسف عكاشة" تحت مسمى الروابط المدمجة، ويميزها عن الروابط الموقفة من حيث إن الروابط الموقفة تتموضع بين الجمل التي تضطلع بربطها، أما الروابط المدمجة فلا تتوافر لها هذه الميزة في كثير من الأحيان<sup>1</sup>.

غير أن ذلك أمر ملبس؛ فأدوات الشرط تكون في بداية الجملة، وهي لا تختلف عن أدوات العطف التي عدها الدكتور "عمر يوسف عكاشة" روابط موقفة، والعلاقات الزمانية، وغيرها من العلاقات قد تكون بواسطة لفظية مثل: السين، وسوف، وبغير ذلك من الظروف، ثم ما الفرق بين: حضر محمد ثم حضر عمر، وحضر محمد بعد أن حضر عمر؟ أليس هناك واسطة، وهناك تشريك في الحضور، وهناك ترتيب زمني؟ إن الفرق الوحيد هو أن (بعد) يركز معناها على الترتيب الزمني منذ البداية، بخلاف (ثم) التي يركز معناها على التشريك في الحدث بطريقة الترتيب الزمني، وعلى ذلك فإن الأولى أن تضاف بعض الروابط الأخرى، ويعاد النظر في تصنيف بعض الروابط التي هي في الأصل علاقات أو عمليات رابطة كإحالة ناتجة في الأساس عن رابط لفظي أو معنوي.

من وظائف الروابط أيضاً تحقيق الأفعال الإنجازية وهي المرحلة الثانية من أفعال الكلام وتتضمن مثلاً فعل الإخبار، الأمر، النهي، التوكيد، التهديد، الترحيب، الشكر، الاستفهام،

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 920.

التمني،.. وهي كلها مقاصد المتكلم من فعل القول، ومن هذه الروابط: أدوات القسم والنفسي والنداء والاستفهام والشرط، مما يبين أن دورها يتجاوز الدور الواسلي المحقق اتساق النص إلى دور تدعيم انسجام النص من خلال تحقيق الأفعال الكلامية، وسيتم تناول هذ النوع من الأدوات بشيء من التفصيل في الفصل التطبيقي الأخير من البحث.

فالروابط بدايةً تقوم بدور الربط بين أجزاء النص وتركيب مقاطعه ونسج خيوطه ثم الوصل بين قضاياه إلى أن يبدو النص للقارئ أنه في أتم درجات التماسك والاتساق، وفي نفس الوقت تحقق مبادئ نصية أخرى كمبدأ التغريض واستشارة المعرفة الخلفية للمتلقي، وهيئة الوسط المناسب لمشاركة المقام وتحقيق الأفعال الإنجازية، والتأثير في عواطف المتلقي حتى يتواصل مع النص، وتلك هي المبادئ التي يبنى عليها انسجام النص.

### خلاصة:

الاتساق هو مظهر التماسك للبنية السطحية للنص، والتلاحم للعناصر المشكلة لهذا النص من بدايته إلى نهايته، ويقوم على الوسائل الشكلية النحوية والمعجمية التي تعمل على ربط وتقوية جمل ومتتاليات النص للقول بأنه يشكل كلا واحدا متآخذاً، وأهمها: الإحالة، الضمائر، الاستبدال، الحذف، الوصل، التوازي، الاتساق المعجمي (التكرير، الكلمات العامة، التضام).

أما الانسجام فهو الالتحام والترابط المفهومي بين النص والمتلقي، ويقوم على وسائل وعناصر منطقية وهي كثيرة منها: الإشراف، العلاقات (العموم والخصوص، الحمل والمفصل، السبب والمسبب)، موضوع الخطاب، البنية الكلية، التغريض، التناص، السياق، المعرفة الخلفية، الأفعال الكلامية، النمو الموضوعاتي، دور المتلقي، الخ، حيث تشغل هذه الآليات على المستوى الدلالي والتداولي وهي عبارة عن مقاربات سياقية تركز على العوامل اللغوية التي توجد داخل النص نفسه، ومقاربات مقامية حين يقوم القارئ بتوظيف خبراته لتفسير ما كان غامضاً، وبعمليات عقلية معقدة مرتكزا على العوامل غير اللغوية الخارجة عن النص لإعادة بناء انسجامه، أي أن الانسجام أعم وأعمق من الاتساق، غير أن مسألة التداخل بين مفهوميهما بقيت مستمرة وعادة ما كان يعبر عن الأول بالثاني.

والروابط اللغوية هي وسائل التلاحم في جسد اللغة التي يولد منها النص التماسك، ولها دور هام في بناء التركيب السليم للنص، وتساهم في ترابط أجزائه ومقاطعته حتى يحظى بالاتساق والتناسق والمقبولية، ثم تصل بين قضايا النص وتثير آليات انسجامه ليحقق هدف التواصل بين المرسل والمتلقي، وأهمها الروابط اللفظية، وهي كثيرة وتعدد تصنيفاتها غير أنه يمكن تقسيمها من حيث علاقتها بالاتساق والانسجام إلى:

روابط إحالية مثل: الضمير، اسم الإشارة، اسم الموصول، وأل التعريف، أدوات المقارنة، بعض الظروف الزمانية والمكانية.. الخ،

وروابط غير إحالية وهي كثيرة منها: أدوات الشرط وجوابه، أدوات التوكيد ومنها أدوات القسم، أدوات النفي، أدوات النداء، أدوات الاستفهام، أدوات العطف، أدوات الجر، نواصب وجوازم المضارع، حروف التسوية، التوابع (التوكيد، البدل، النعت)، النواسخ.. الخ

ووفق هذا التقسيم للروابط سنتناول في الفصلين المواليين دور هذه الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي.



# الفصل الثالث:

دور الروابط الإحالية في اتساق وانسجام الحديث القدسي

أولا - الضمائر

ثانيا - "أل" التعريف

ثالثا - الموصولات الاسمية

رابعا - أسماء الإشارة

## تمهيد:

بعدما قدمنا في الفصلين النظريين السابقين مفاهيم عامة حول لسانيات النص ودور الروابط اللفظية في نظرية الاتساق والانسجام النصي، وقسمنا الروابط إلى قسمين: روابط إحالية وغير إحالية، نحاول أن أن نجيب في هذا الفصل التطبيقي الأول عن السؤال التالي: ما دور الروابط الإحالية في اتساق وانسجام الحديث القدسي؟ وسنحاول تناول أهم الروابط الإحالية وهي كل أدوات الربط التي من شأنها أن تحيل عنصراً لغوياً موجوداً في النص إلى عنصر لغوي موجود داخل النص وهو ما يسمى بالإحالة الداخلية، أو إلى عنصر غير لغوي موجود خارج النص وهو ما يسمى بالإحالة الخارجية، وسنركز في هذه الأدوات على أهمها وأقواها عملاً في الأحاديث القدسية وهي: الضمائر، أداة التعريف "أل"، الأسماء الموصولة، أسماء الإشارة.

## أولاً - الضمائر:

### 1- مفهوم الضمائر:

الضمير اسم موضوع ليشير إلى مسماه الذي سبق تعيينه وذكره يعرف "السكاكي" الضمير بقوله: «اعلم أن الضمير عبارة عن الاسم المتضمن الإشارة إلى المتكلم أو إلى المخاطب أو إلى غيرهما بعد سابق ذكره»<sup>1</sup>، وعرفه "المرادي" بقوله: «الضمير هو الموضوع لتعيين مسماه مشعراً بتكلمه أو خطابه أو غيبته»<sup>2</sup>.

تستخدم الضمائر عوضاً عن الأسماء والصفات التي لا لزوم لتكرارها، فالربط بالضمير بديل لإعادة الذكر في الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار<sup>3</sup>، فمثلاً جملة: (شرح الطبيب العملية ثم بدأ في تنفيذ العملية) هي جملة مطولة ركيكة، الأخرى أن تختصر بجملة (شرح الطبيب العملية ثم بدأ في تنفيذها).

اعتبرت الضمائر من المعارف، واختلف النحاة في عددها من المبهمات فقد عد "المبرد" جميع الضمائر من المبهمات<sup>4</sup>، في حين نص "سيبويه" على اعتبار ضمائر الغياب فقط من المبهمات<sup>5</sup>،

<sup>1</sup> - السكاكي: مفتاح العلوم، ص 116.

<sup>2</sup> - المرادي، أبو محمد الحسن بن قاسم (ت749هـ): توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ج1، ص358.

<sup>3</sup> - تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج1، ص 137.

<sup>4</sup> - المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ): المقتضب، تحقيق حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ج4، ص277-278.

<sup>5</sup> - سيبويه: الكتاب، ج2، ص77-78.

وقد عبروا عن هذا الإبهام في الضمائر بالكناية: «فالمضمر أو الضمير اسم يكتنّى به عن الظاهر من متكلم أو مخاطب أو غائب»<sup>1</sup>.

ولأنك بالضمير تستر الاسم الصريح فلا تذكره، فإنك إذا قلت (أنا)، فأنت لم تذكر اسمك وإنما سترته بهذه اللفظة<sup>2</sup>، فالضمير اسم غير صريح يدلّ على شخص متكلم أو مخاطب أو غائب<sup>3</sup>.

وخالف "الرضي" في حمل جميع الضمائر على الكناية ولم يعتبر منها سوى ضمير الغائب بخلاف المتكلم والمخاطب، قال: «أنا وأنت ليس بكناية لأنه تصريح بالمراد وضمير الغائب كناية إذ هو دال على المعنى بواسطة المرجوع إليه غير صريح بظاهره فيه»<sup>4</sup> وقد أقام هذا الحكم على أن المرجوع إليه في الغائب هو مفسر ذكرّي وليس حضوري، أما المرجوع إليه في المتكلم والمخاطب فهو مفسر حضوري تشهد عليه حال التخاطب.

ولئن كانت المضمرات من المبهمات المفتقرة إلى مفسر، فإن هذا الإبهام يتصور فيها قبل دخولها التركيب، فإذا استعملت أصبحت من أشد الأسماء تعييناً، وأخذت قيمة الاسم الذي عوضته بها.

## 2- تقسيمات الضمائر:

وضع النحاة العرب نظريتهم في وصف نظام الضمائر وضعاً مستقلاً عن النظرية التي وضعها نحاة بلاد الهند واليونان، فضمائر النحو العربي ثلاثة أنواع: المتكلم، المخاطب، الغائب، يقابلها في النحو الهندي: الشخص الأخير، الشخص الأوسط، الشخص الأول، وفي النحو اليوناني، الشخص الأول، الشخص الثاني، الشخص الثالث، على الترتيب<sup>5</sup>، حيث جاء تصنيف النحاة العرب للضمائر معتمداً على ما تدل عليه من دور في عملية التخاطب ولا أثر لمفهوم الأشخاص فيها، وهو ما يؤكد أنهم ليسوا مدينين في كبيرة ولا صغيرة إلى غيرهم بشأن وضع نظام الضمائر في اللغة

<sup>1</sup> - ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 291 هـ): مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، دبت، ص332-333.

<sup>2</sup> - فاضل صلاح السامرائي: معاني النحو، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 2003، ج1، ص39.

<sup>3</sup> - الفاكهي، عبد الله بن أحمد: شرح كتاب الحدود في النحو، تحقيق المتولي رمضان الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط2، 1993، ص139.

<sup>4</sup> - الرضي الاسترأبادي: شرح كافيّة ابن حاجب، ج2، ص93.

<sup>5</sup> - محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج2، ص1083.

العربية، وهذا دليل على عدم تأثرهم وأخذهم عن غيرهم من النحاة الذين سبقوهم في الزمن، على أن عدم التأثر والأخذ لا يعني بالضرورة عدم الإطلاع على ما وجد عند غيرهم.

تتفرع الضمائر في العربية حسب وجودها في المقام إلى: ضمائر الحضور وضمائر الغياب، ثم تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه وهو المتقبل<sup>1</sup>، والمعروف أن ضمائر المتكلم تفتقر إلى متكلم، وضمائر الخطاب تفتقر إلى مخاطب، فيكون المتكلم بمثابة المرجع لضميره، ويكون المخاطب كذلك، أما ضمير الغيبة فيفتقر في العادة إلى مذكور يعد مرجعاً فلا يتضح معنى الضمير إلا بواسطة ذلك المرجع<sup>2</sup>.

وهناك من يقسمها حسب البروز إلى: ضمائر ظاهرة (منفصلة ومتصلة)، وضمائر ضمنية (مستترة)، فالضمائر المنفصلة فيها: ضمائر الرفع: (هو، هي، هما، هم، هنّ، أنت، أنت، أنتما، أنتم، أنتن، أنا، نحن)، وضمائر النصب: (إياه، إياها، إياهما، إياهم، إياهن، إياك، إياك، إياكما، إياكم، إياكن، إياي، إيانا)، أما الضمائر المتصلة ففيها: (تاء الفاعل، ألف الاثنين، واو الجماعة، نون النسوة، ياء المخاطبة، ياء المتكلم، كاف الخطاب، هاء الغيبة، نا الفاعلين أو المفعولين)، أما الضمائر المستترة فتقدر بـ: (هو، هي، أنا، نحن)<sup>3</sup>.

وبناءً على محلها الإعرابي تقسم إلى ضمائر رفع ونصب وجرّ، وباعتبار الموضع في التركيب تقسم إلى ما يسمى بضمير الفصل أو العماد وضمير الشأن والقصة.

ويقسم بعضهم الضمائر إلى ضمائر وجودية مثل: أنا، أنت، هو، هو، هم... إلخ، وإلى ضمائر ملكية مثل كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه، كتابنا... إلخ، وإذا نظرنا إلى الضمائر من زاوية الاتساق، أمكن التمييز فيها بين ضمائر محيلة خارج النص بشكل نمطي وهي الدالة على المتكلم والمخاطب، وضمائر اتساقية محيلة داخل النص وهي ضمائر الغائب<sup>4</sup>.

### 3- دور الضمير في الربط والإحالة:

إذا ذكرنا دور المعارف القائم على العهد المقالي في تحقيق الترابط النصي، وما يشترط في استعمال المبهمات من توفر رافع الإبهام عنها، أمكن أن نتساءل عن حظ الضمائر باعتبار جمعها بين التعريف والإبهام من تحقيق الترابط بين أجزاء نص الخطاب؟

<sup>1</sup> - الأزهر زناد: نسيج النص، ص117.

<sup>2</sup> - تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج1، ص138.

<sup>3</sup> - أنظر: سيبويه: الكتاب، ج2، ص350-351.

<sup>4</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص18.

الضمير إذا اعتبرته خارج الخطاب الفعلي الحقيقي ليس سوى صيغة فارغة لا يمكن أن تتعلق بشيء و. بمتصور، فهو لا يكتسب حقيقته و طبيعته إلا من الخطاب.

يمنع الإضمار تجدد الدلالة في الخارج، فإذا قال القائل: (جاء زيدٌ وأكرمت زيداً) جاز أن يكون الزيدان شخصين مختلفين أو شخصاً واحداً، فإذا أضمرت ولم تظهر ارتفع اللبس لأن تكرار اللفظ المذكور يوهم أنه غير الأول.

كشف "الرجاني" عن الدور الرابطي للإضمار في سياق تفريقه بين الإظهار والإضمار بقوله: «الإظهار للقطع والاستئناف ووضع الكلام وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله، والإضمار وضع الكلام وضعاً يحتاج فيه إلى ما قبله»<sup>1</sup>

والربط بالضمير العائد في التركيب يقوم على المعنى وليس على الإعراب، يدلك على ذلك تنوع المواضع والمخالات التي يحتلها فيما يربطه، فقد يكون رفعاً ونصباً وجراً، وهو ما يؤهله لأن يكون رابطاً بين أجزاء الجملة الواحدة، وكذا بين الجمل المستقلة في النص حيث لا تشترط وحدة البنية العائلية<sup>2</sup>.

ويرى الدكتور "مصطفى حميدة" أن الضمير البارز قرينة لفظية تتعلق بالربط، أما الضمير المستتر فهو قرينة معنوية تؤدي إلى نشوء علاقة ارتباط لا ربط، وأن الربط علاقة تصطنعها اللغة بطريق الأداة، وحين يُستخدم الضمير البارز للربط فإنه يصبح في حكم الأداة، فهو يؤدي وظيفته في الربط كما تؤديها أدوات المعاني الرابطة، وما يميز الضمير البارز عن الأداة أنه يعتمد على إعادة الذكر في الوقت الذي تعتمد فيه أدوات الربط على معانيها الوظيفية<sup>3</sup>.

يتصل مفهوم الضمير بمفهوم الإضمار باعتباره ضرباً من الكناية والحذف بتغيب اللفظ دون المعنى، فالضمائر تعوض بعض عناصر المقال وتنوب مناهجاً مستجيبة بذلك إلى مبدأ الاقتصاد اللغوي بتعويض جزء أكبر في الخطاب بعنصر آخر أكثر طواعية.

تسعى اللغات الطبيعية إلى الخفة والاختصار، لذلك يرغب دائماً مستعمل اللغة في اقتصاد الجهد اللغوي باستعمال الضمائر، فهي تغني عن التكرار وإعادة الذكر، وهذا الأمر قد وضحه لغويونا القدماء، حيث يقول "السيرافي": «اعلم أن الاسم الظاهر متى احتجج إلى تكريره في جملة

<sup>1</sup> - الرجاني: دلائل الإعجاز، ص183.

<sup>2</sup> - سبويه: الكتاب، ج1، ص135.

<sup>3</sup> - أنظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص152.

واحدة كان الاختيار ذكر ضميره، نحو: زيدُ ضربتهُ وزيدُ ضربت أباهُ وزيدُ مررتُ به»<sup>1</sup>، كما تكلم عنه هاليداي ورقية حسن من خلال التمثيل له بجملة: (اغسل وانزع نوى ست تفاحات، ضعها في صحن يقاوم النار)<sup>2</sup>، حيث نلاحظ إمكانية إعادة صوغ هذه الجملة على النحو التالي: (اغسل وانزع نوى ست تفاحات، ضع التفاحات في صحن يقاوم النار)، مما يدل على أن الضمير المتصل في الفعل (ضعها) أغنى عن إعادة ذكر المحال إليه (ست تفاحات)، فناب عن اللفظ المكرر. كما يحقق الضمير أمن اللبس، لأن إعادة ذكر اللفظ قد يفضي إلى الالتباس في فهم المقصود، حيث يقول الرضي: «..ولو كرّر اللفظ المذكور مكان ضمير الغائب فرما تُوهّم أنّه غير الأوّل»<sup>3</sup> ويوضح ذلك الجرجاني بقوله: «ألا ترى أنك لو قلت: أخواك قام أخواك، ورجلان ضرب الرجلان، جاز أن يُظنّ أن الثاني غير الأوّل»<sup>4</sup>، غير أن الضمير لا يؤدي هذه الوظيفة دائماً؛ بل قد يتسبب هو في هذا الالتباس، وهنا يجوز للمتكلم الإظهار بدل الإضمار أمناً للبس، ففي قولنا: (جاء إخوة علي وهو)، قد يُتوهّم أن الضمير (هو) شخص آخر غير (علي) وهنا يكون التكرار وإعادة الذكر هو من يؤمّن به اللبس فيقال: (جاء إخوة علي وعلي).

تعتبر الضمائر من أدوات الإحالة إلى مراجع موجودة داخل النص أو خارجه، ومثلها في الإحالة أسماء الإشارة وأسماء الموصول لذلك يطلق بعض اللغويين صفة الضميرية على هذه الأسماء المبنية<sup>5</sup>.

فالدور الأساسي للضمائر هو الإحالة التي تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه<sup>6</sup>، حيث تعد الضمائر أفضل الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة على كيانات معطاة، فضمير المفرد الغائب "هو" ليس له معنى خاصاً يتفرد به إذا أخذ منعزلاً، بل يتضح معناه إذا ارتبط بلفظ آخر هو المرجع الذي يشير ويعود عليه، وقد أدى هذا بالعديد من اللغويين إلى القول بأن صيغة اسمية مثل "هو" ليست في الواقع أداة محيلة بذاتها، وأنها لا تستعمل إلا في الإحالة داخل نص يحتوي كذلك على صيغة اسمية كاملة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - سيبويه: الكتاب، ج1، ص62.

<sup>2</sup> - انظر: محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص14.

<sup>3</sup> - الرضي الاسترأبادي: شرح كافية ابن حاجب، ج3، ص11.

<sup>4</sup> - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص175.

<sup>5</sup> - تمام حسان: الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2005، ص91.

<sup>6</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص17.

<sup>7</sup> - براون ويول: تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، ص256.

غير أن الباحث "محمد الشاوش" يرى أن الربط النصي بالضمائر يتحقق بضمائر الغائب دون ضمائر المتكلم والمخاطب، أن ضمائر الغائب هي وحدها من بين الضمائر الأخرى التي تلعب دور الإحالة<sup>1</sup>.

للربط الإحالي بالضمير البارز يشترط أن يكون له مرجعاً يعود ويحيل إليه، ويكون ملفوظاً به سابقاً ومطابقاً له أو متضمناً له<sup>2</sup>، نحو: (لقي إبراهيم أباه آزر)، "الهاء" في (أباه) ضمير متصل بارز يحيل على مرجع سابق ومطابق له من حيث العدد والجنس هو (إبراهيم)، والإحالة تنقسم إلى أشكال متعددة هي:<sup>3</sup>

- من حيث العلاقة بالنص تنقسم إلى داخلية وخارجية.
  - من حيث رتبة الضمير من المرجع تنقسم إلى قبلية وبعدية.
  - من حيث قرب الضمير من المرجع تنقسم إلى قريبة وبعيدة.
- فالاتساق والانسجام في النصوص لا يستغني عن الأدوار المهمة للضمير في النص وهي الربط، والإحالة، وأمن اللبس، والاقتصاد اللغوي.

ويتقدم المفسر لفظاً وأصلاً عن المضمّر، وله أربع حالات<sup>4</sup>:

- التقدم لفظاً وتحقيقاً، مثال: ضرب زيد غلامه.
  - التقدم تقديرًا، مثال: ضرب غلامه زيد. حيث أُبدل المضمّر بالمظهر.
  - التقدم معنىً، مثال: اعدلوا هو أقرب للتقوى، فإن مفسر الضمير هو العدل المفهوم من (اعدلوا).
  - التقدم حكماً إذا ثبت في الذهن، كما في ضمير الشأن والقصة الذي يؤتى به قبل تقدم ذكره قصد تعظيم القصة بذكرها مبهمة فيعظم وقعها في النفس، وهو ضمير غائب يتقدم الجملة ويعود إلى ما في الذهن من الشأن والقصة، فإن اعتبر مرجعه مذكراً سُمّي ضمير الشأن، وإن اعتبر مؤنثاً سُمّي ضمير القصة رعاية للمطابقة<sup>5</sup>، نحو: (إنه يوم يسير)، وتفسير ذلك الجملة المذكورة بعده.
- وقد يتقدم المضمّر لفظاً ورتبة لا حكماً وتقديراً كما في المثل المشهور (في بيته يؤتى الحكم)، وهي الحالة التي سماها النحاة الإضمار على شريطة التفسير<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أنظر: محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج2، ص595.

<sup>2</sup> السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص597.

<sup>3</sup> الأزهر الزناد: نسج النص، ص118.

<sup>4</sup> محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج2، ص1127.

<sup>5</sup> سبويه: الكتاب، ج2، ص176.

<sup>6</sup> الرضي الاسترأبادي: شرح كافي ابن حاجب، ج1، ص206.

فالأصل أن يعمد المتكلم إلى الإظهار في مفتتح خطابه وإلى الإضمار في درجه، ولكن متى أظهر في موطن الإضمار فقد قصد قوة الكلام وبيانه.

فالإضمار شأنه شأن سائر مظاهر التعريف مشروط بعلم المخاطب بما أضمر وبعلم المتكلم بعلم المخاطب بذلك، حتى يتحقق انسجام الخطاب، وهو ما عبر عنه "سبويه" بقوله: «وإنما صار الإضمار معرفة لأنك إنما تضرر اسماً بعدما تعلم أن من يُحدث قد عرف من تعني وما تعني وأنت تريد شيئاً يعلمه»<sup>1</sup>، أي أن الإضمار لا يكون إلا بعد حصول التعريف والتعيين والتخصيص، ويرى ابن جني أن الضمائر في حاجة إلى المفسر لتعيين الشخص وتخصيصه فيقول: «لا يُضمَرُ ما لا دليل عليه ولا تفسير له»<sup>2</sup>، والأصل في المفسر الذي يرفع الإبهام عن معنى المضمَر أن يكون مقامياً حضورياً قائماً على شهادة الحال في ضمائر المتكلم والمخاطب، ومقالياً قائماً على التقدم في الذكر في ضمائر الغائب.

ولئن كان الإضمار يحدثه المتكلم خلال عملية الكلام فإن للمخاطب دوراً محورياً فيه يتمثل في سابق معرفته بالشيء المضمَر، وإلا خرج الكلام إلى الألبان والإبانة المقتولة، «وإنما صار الضمير معرفة لأنك لا تضرره إلا بعدما يعرفه السامع، وذلك لأنك لا تقول: (مررت به) ولا (ضربتته) ولا (ذهب) ولا شيئاً من ذلك حتى تعرفه وتدرى إلى من يرجع هذا الضمير»<sup>3</sup>.

ويمكن للضمير أن يحيل إلى غير ماهو معتاد أن يحيل إليه تجاوزاً في النص، لأن اللغة قادرة على تعويض المتكلم والمخاطب بالغائب في عملية الخطاب لتحقيق أغراض أخرى مثال: (هل يريد سيادة الرئيس أن يتفضل بالجلوس) استعملت صيغة الغائب للدلالة على المخاطب لتحقيق غرض التعظيم، (العبد اللئيم يطمع في مغفرة الرحمان الرحيم) استعملت صيغة الغائب للدلالة على المتكلم، لتحقيق غرض الدعاء، مع الإشارة إلى أن ضمير المتكلم يمكن أن يكون محدثاً أو متحدثاً عنه، أما ضمير المخاطب فيكون محدثاً أو متحدثاً عنه، أما ضمير الغائب فيكون متحدثاً عنه فقط.

فظاهرة تركيب النص وبساطته ليست رهينة ظهور الصيغ اللغوية الدالة على المتخاطبين إنما هي رهينة ما يحدث فيها من تغير في أدوار التخاطب بصيرورة المتكلم مخاطباً والعكس أو باختلاف ما تحيل عليه، أنظر المثال: «أنا جائع - وأنا أيضاً»، واضح أن المخاطب والمتكلم

<sup>1</sup> - سبويه: الكتاب، ج2، ص6.

<sup>2</sup> - ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت792هـ): الخصائص، تحقيق عبد الحميد هندائي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2002، ج1، ص104.

<sup>3</sup> - المبرد: المقتضب، ج4، ص280.



يمكنهما تبادلاً الدور في الاتجاهين، أما الانتقال من أحدهما إلى الغائب فلا يقوم على تبادل الأدوار إنما يقوم على تبديلها وتحولها في نقل الكلام على الحكاية، مثال: (قلت لفاطمة ادخلي ولا تتردي) استطاع الغائب أن يفارق دوره ويصبح مخاطباً، فيتمكن المتكلم أن يتوجه بالكلام إلى المخاطب مخبراً من الغائب<sup>1</sup>.

وفي هذا السياق وجدنا في مدونتنا هذا المثال: عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة -رضي الله عنهما- قالوا: قال رسول الله ﷺ: {الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ}<sup>2</sup>، ومعناه أن العز والكبرياء يختص بهما المولى سبحانه وتعالى ومن ينازعه فيهما يعذبه في النار، وقد استعمل الله عز وجل في البداية ضمير الغائب (الهاء) لوصف نفسه، ثم استغنى عن هذا الضمير وعوضه بضميري المتكلم (الياء والتاء) عند حديثه عن الذي ينازع الله في العز والكبرياء، لأن هذا المقام يناسبه الحضور أكثر من الغياب لبيان قوة الله وعظمته، فهذا التبادل في الدور ينقل النص إلى حالة من الحركة تؤثر في المتلقي وتجعله يتواصل مع النص وينسجم معه، وأنت إذ تقرأ هذا النص تجد أن الله عز وجل مُحَدَّثٌ ومُحَدَّثٌ عنه في نفس الوقت ولا تشعر بانفكاك تراكيبه رغم ذلك التبادل في الضمائر.

والضمير يلعب دوراً هاماً في الربط بين المسند والمسند إليه إذا كان المسند جملة مثل: الخبر، الحال، الصفة، الصلة، وذلك عن طريق عودته وإحالاته إلى المسند إليه حين يأخذ الضمير موقعاً في جملة المسند في النص كما يلي:

### 3-1- الضمير في جملة الخبر:

الأصل في الخبر أن يأتي مفرداً لا يحتاج إلى رابط لفظي يربطه بالمبتدأ، وقد يرد هذا الخبر جملة نائبة عن المفرد وتحتوي على معنى المبتدأ الذي سبقت له، ولا يتحقق هذا الاحتواء المعنوي إلا بوجود عائد أو رابط في جملة الخبر يعود على المبتدأ ويربطها به، وهذا الرابط جعله "ابن هشام" لا يخرج عن واحد من عشرة روابط سمّاها (روابط الجملة بما هي خبرٌ عنه)، وهذه الروابط هي: الضمير، الإشارة، إعادة المبتدأ بلفظه، إعادة المبتدأ بمعناه، عموم يشمل المبتدأ، أن يعطف بفاء السببية جملة ذات ضمير على جملة خالية منه أو العكس، العطف بالواو، شرطٌ يشتمل على ضمير

<sup>1</sup> - محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج2، ص 1087.

<sup>2</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص184.

مدلول على جوابه بالخبر، (أل) النابتة عن الضمير، أن يكون معنى الجملة هو ذاته معنى المبتدأ، وجعل الضمير هو الأصل في الربط<sup>1</sup>.

حيث تستعين جملة الخبر برابط حتى لا يفهم أنها مستقلة عن المبتدأ، وهذا الرابط بينهما هو ضمير المبتدأ نفسه<sup>2</sup>، ففي جملة "زيدٌ أبوه قائم" الضمير "الهاء" المتصل بلفظ (أبوه) يعود على المبتدأ (زيد)، وربط جملة الخبر (أبوه قائم) بالمبتدأ، ويوظف ضمير الفصل أو ضمير العماد للتفريق بين النعت والخبر، وذكره دليل على أن اللفظ الوارد بعده خبر وليس نعت<sup>3</sup>.

ويؤكد "الرضي" حاجة الجملة الواقعة خبراً إلى الضمير الرابط بقوله: «... وإنما احتاجت إلى الضمير لأن الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدت جعلها جزء الكلام، فلا بد من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير، إذ هو موضوع لمثل هذا الغرض»<sup>4</sup>.

وقد ورد الضمير في جملة الخبر من الأحاديث القدسية في أزيد من مئة وعشرين موضعاً، وليبيان دور الضمير الوارد في جملة الخبر في الاتساق النصي اخترت النماذج التالية من مدونة البحث:

النموذج الأول: عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ}<sup>5</sup>، في هذا الحديث نجد الجملة الاسمية (المتحابون في جلالِي) هي المبتدأ، وشبه الجملة (لهم منابر من نور) متكونة من جار ومجرور متعلقين بخبر محذوف للمبتدأ تقديره (كائنٌ) ويتضمنان ضمير متصل للغائب الجماعة "هم" يعود على المبتدأ ويحيل إليه إحالة قبلية في النص، وهو الضمير نفسه في الجملة الفعلية (يغبطهم) يحيل إلى المرجع نفسه، وهو مطابق له نوعاً وعدداً، فهذا الضمير الموجود في جملة الخبر جعل كل الجمل مترابطة متماسكة في النص تؤدي معنى فضل الحب في الله، ولولاه لبدا الكلام متنافراً ومفككا يحتاج إلى بيان مقصوده بتركيب أخرى.

النموذج الثاني: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: {يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ؟

<sup>1</sup> - يُنظر تفصيل ذلك في : ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، ص573 وما بعدها.

<sup>2</sup> - محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، مصر، د.ط، 2003، ص106.

<sup>3</sup> - أنظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، 1980، ص114.

<sup>4</sup> - الرضوي الاسترأبادي: شرح كافيّة ابن حاجب، ج1، ص208.

<sup>5</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص57.

مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟<sup>1</sup>، أداة الاستفهام (مَنْ) في الحديث هي المبتدأ في كل مرة تكررت فيها، وخبرها هو الجمل الفعلية (يدعوني)، (يسألني)، (يستغفري)، وهذه الجمل تتضمن ضميراً مستتراً تقديره "هو" الذي يربط هذه الجمل الخبرية بمبتدئها ويحيل إليه إحالة قبلية داخلية ثلاث مرات اتسق بفضلها النص، ودل على معنى واحد هو فضل العبد يدعو الله في خوف الليل، وبفضل هذه الإحالة الداخلية لم نحتاج إلى البحث خارج النص لمعرفة المراد بالضمير المستتر، والإحالة من أهم العوامل المؤدية إلى الاتساق النصي.

النموذج الثالث: عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: {حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ تَجَاوَزُوا عَنْهُ}<sup>2</sup>، الضمير إن لم يكن مذكوراً في جملة الخبر فهو محذوف مقدّر فالجملة الفعلية (يخالط الناس) هي خبر للفعل الناسخ (كان)، وهي مشتملة على ضمير مستتر تقديره "هو" يعود على اسم الفعل الناسخ الذي هو مبتدأ في الأصل وهو ضمير مستتر نفسه في اللفظ والقصد "هو"، وهذا من الشروط التي ينبغي أن تتوفر في الضمير الرابط وإلا وقع اللبس، فشرط الربط بالضمير «أن يكون بين الضمير ومرجعه مطابقة في اللفظ والقصد بحيث لو عدنا بالإضمار إلى الإظهار لحصلنا على اللفظ نفسه وعلى المدلول نفسه»<sup>3</sup>، وقد تم الربط بالضمير العائد "هو" على مستويين، على المستوى التركيبي من خلال ربطه الجملة المشتمل عليها بما قبلها، وعلى المستوى الدلالي من خلال المطابقة بين الضمير الرابط والمرجع الذي يعود عليه داخل البنية اللغوية، فجاء الترابط في النص متيناً والتّسج محكماً.

والكلام نفسه يقال على جملة (يأمر غلماناً) إلا أن هذه الجملة إلى جانب الضمير المستتر "هو" في الفعل (يأمر) فهي تتضمن ضميراً متصلاً آخر "الهاء" المضافة إلى (غلماناً) وكلاهما يعودان على اسم كان الذي أصله مبتدأ، والضمير المتصل للغائب المفرد "الهاء" تلاحظ أنه ظاهر في مواقع أخرى من النص غير جملة الخبر مثل (له)، (منه)، (عنه)، وعمل على تخليص التركيب من التفكك وزيادة تحصيل الترابط في النص واتساقه من خلال الإحالة إلى مرجع واحد موجود في صدر النص هو (الرجل)، وفي هذا النص نجد ضمير الغائب هو الذي ساهم في تحقيق الإحالة، ومن ثمّ كان

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص155.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص53.

<sup>3</sup>- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج1، ص137.

دوره بارزا في اتساق النص أكثر من بقية الضمائر، وهو ما أكدّه "هاليداي" و"حسن" في قولهما: «حين نتحدث عن الوظيفة الاتساقية لإحالة الشخص (أي الضمير المحيل إلى الشخص أو الشيء) فإن صيغة الغائب هي التي نقصد على الخصوص»<sup>1</sup>.

النموذج الرابع: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: {يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرٌ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، يَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ يَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُعْتُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدَ؟ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا نَحْتُ رَجُلِيكَ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيحٍ مُلْتَطِحٍ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ}<sup>2</sup>، يتحدث النص عن خطر الشرك، في حوار بين إبراهيم وأبيه، ثم بين إبراهيم وربّه، ففي جملة الخبر الفعلية (وَعَدْتَنِي) تجد الفاعل ضمير المفرد المتصل "التاء" يعود إلى ضمير "الكاف" المتصل بالناسخ (إن) وهو اسمها أصله مبتدأ، كما تحيل إلى طرف الحوار الأول المخاطب وهو الله عز وجل، وضمير المفرد المتصل "الياء" تحيل إلى طرف الحوار الثاني المتكلم وهو إبراهيم عليه السلام، لاحظ كيف يُبنى الخطاب وتتحدد أطرافه ويتماسك نصه بالضمائر المتصلة الواقعة في جمل الخبر، والتي تتطابق في عددها وجنسها، حيث لا يمكن أن يتم الربط بالضمير في غنى عن المطابقة، فهي تساهم في الربط إلى جانب الضمير وفي أمن اللبس وجلاء المعنى.

وفي الجملة الخبرية (حَرَمْتُ) تجد الفاعل ضمير المتكلم المتصل "التاء" تعود إلى ضمير متصل آخر هو "الياء" في (إِنِّي) وهي اسم الناسخ (إن) أصلها مبتدأ، وبهذه العودة ارتبطت جملة الخبر بمبتدئها، وواضح أن جملة (حَرَمْتُ) جملة مستقلة قائمة بذاتها؛ ولولا اتصال (تاء الفاعل) بها لما صحَّ أن تكون خبراً لـ (إن)، ومن هنا ندرك قيمة هذا الضمير المتصل في ربط ووصل جملة الخبر بما كان أصله مبتدأ، ولولا هذا الضمير لكانت هذه الجملة أجنبية وغريبة عما قبلها لعدم وجود ما يربطها به، ولكان الخلل في التركيب بيّناً، والذي دلّنا على ذلك هو سياق الحال، فالله عز وجل قد حرّم الجنة على الكافرين قاصداً أنها حرام أيضاً على آزر والد إبراهيم الذي تقدم ذكره في الحوار السابق، فقد أحال كل من الضميرين المتصلين (التاء والياء) إلى المتكلم وهو الله سبحانه وتعالى،

<sup>1</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 18.

<sup>2</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 20.

وهي إحالة داخل النص من حيث سبق الذكر، وإحالة إلى مرجع خارج النص هو أحد طرفي الحوار (المتكلم).

وإذا كانت جملة الخبر ليست المبتدأ نفسه في المعنى، فإنها تشترط الضمير رابطاً لها بالمبتدأ، حيث يقول المبرد: «واعلم أن خبر المبتدأ لا يكون إلا شيئاً هو الابتداء في المعنى؛ نحو: زيد أخوك، وزيد قائم، فالخبر هو الابتداء في المعنى، أو يكون الخبر غير الأول فيكون له فيه ذكر، فإن لم يكن على أحد هذين الوجهين فهو محال. ونظير ذلك: زيد يذهب غلامه، وزيد أبوه قائم، وزيد قام عمرو إليه، ولو قلت: زيد قام عمرو - لم يجوز، لأنك ذكرت اسماً ولم تُخبر عنه بشيء، وإنما خبرت عن غيره»<sup>1</sup>.

أي أن أصل الخبر أن يُبدأ به في المعنى وإذا لم يكن كذلك فيجب أن يتضمن رابطاً يرجع على المبتدأ، فجملة (قام عمرو) في مثال: (زيد قام عمرو) خالية من الضمير العائد الذي يرجع إلى المبتدأ، فصارت أجنبية عن المبتدأ وليست من تمامه، وأصبح الكلام لا معنى له لانقطاع الصلة بين أجزائه، فكون جملة الخبر غير مستقلة بمعناها فإنها تحتاج إلى رابط يربطها بغيرها.

واعتبر الدكتور "مصطفى حميدة" الضمير المستتر رابطاً معنويًا وليس لفظيًا مهمته تحقيق الارتباط وليس الربط، لأن اللغة في رأيه تنشئ الربط بواسطة اللفظ، وتنشئ الارتباط بدون لفظ، حيث يقول: «..والذي أرتضيه وأطمئن إليه أن تقدير الضمير المستتر إنما هو قرينة معنوية على نشوء ارتباط، وأن وجود الضمير البارز إنما هو قرينة لفظية على نشوء ربط»<sup>2</sup>.

غير أن الضمير في رأينا مهمًا كان شكله هو الوسيلة والأداة التي من شأنها ربط أجزاء النص والإحالة بين عناصره تحقيقاً لاتساقه، أما الارتباط فهو الصورة النهائية التي تُظهر العلاقة الحاصلة بين هذه الأجزاء بعد أن يفعل الضمير فعله، وتقدير الضمير هو ضرورة يحتملها التحليل النصي ككل وليس التحليل النحوي الجملي فقط كما اعتقد الدكتور حين قال: «إن تقدير الضمير المستتر ضرورة يُحتملها التحليل النحوي للجملة العربية؛ ففي قولنا: (خذ)، يصبح تقدير الضمير ضرورياً من الناحية الدلالية، وإلا كان الفعل حدثاً دون مُحدث، وكان الإسناد مفتقراً إلى مسند إليه، كما أن تقدير الضمير هنا يُحتمل القياس النحوي ويشير إليه»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المبرد: المقتضب، ج4، ص127-128.

<sup>2</sup> - مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص155.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص154.

### 3-2- الضمير في جملة النعت:

النعت هو أحد التوابع الخمسة (النعت، التوكيد، البدل، عطف البيان، وعطف النسق)، والتابع هو «الاسم المشارك لما قبله في إعرابه مطلقاً»<sup>1</sup>، فإذا جاء مفرداً فهو لا يحتاج إلى واسطة لفظية تربطه بمنعوته، أما إذا وقع النعت جملة شأنه في ذلك شأن الخبر؛ فلا بد من أن تشتمل جملته على رابط لفظي يربطها بالمنعوت، وهذا الرابط هو الضمير دون غيره، فيؤدي إلى اتصال الكلام والمعنى وتماسكهما.

قال "المرادي": «الجملة المنعوت بها لا بد من اشتغالها على ضمير يربطها بالمنعوت»<sup>2</sup>، وقال "ابن عقيل": «لا بد للجملة الواقعة صفة من ضمير يربطها بالموصوف»<sup>3</sup>، وقال الإمام "السيوطي": «جملة الصفة لا يربطها إلا الضمير»<sup>4</sup>، ويرى "ابن هشام" أن هذا الرابط الذي يربطها بالموصوف يكون إما ملفوظاً به أو مقدراً<sup>5</sup>.

وردت الجمل التي وقعت نعتاً في الأحاديث القدسية أربع وثلاثين مرة، نورد منها هذه النماذج:

النموذج الأول: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: {إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ وَعُنُقُهُ مُنْتَنٍ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِباً}،<sup>6</sup> جاءت لفظة (ديك) نكرة ونعتت بثلاث جمل هي: الجملة الفعلية (قد مرق رجليه الأرض) تضمنت ضمير الغائب المتصل "الهاء" المضاف إلى الفاعل في (رجلاه)، الجملة الاسمية (عنقه منتن تحت العرش) اتصل بها ضمير الغائب أيضاً "الهاء"، وكلا الضميرين عاد على منعوته وهو (الديك) وأحال إليه إحالة داخلية قبلية، جملة (وهو يقول) بدأت بواو الحال وتضمنت ضمير بارز "هو" وآخر مستتر تقديره أيضاً "هو" في (يقول) يحيلان إلى المنعوت نفسه، ويتطابقان معه في الإفراد والتذكير، وهي أيضاً إحالة داخلية لأن المرجع

<sup>1</sup> ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن (ت769هـ): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1998، ج2، ص199.

<sup>2</sup> المرادي: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج3، ص953.

<sup>3</sup> ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج2، ص206.

<sup>4</sup> السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج1، ص216.

<sup>5</sup> ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص78.

<sup>6</sup> مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص201.

كان متواجداً في النص ولم نحتاج إلى أن نخرج خارجه، وهي قبلية لأن المرجع سابق للضمير، وقريبة لأن المرجع والضمير متواجدان في تركيب لغوي واحد وغير بعيدين عن بعضهما.

النموذج الثاني: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: {يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ يُعْرَضُونَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَأْمُرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ قَدْ كُنْتُ أَرْجُو إِنْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ لَا تُعِيدَنِي فِيهَا، فَيَقُولُ: فَلَا تُعِيدُكَ فِيهَا} <sup>1</sup>، (أربعة) فاعل نكرة يدل على الجماعة، لكن لم نعرف حقيقتهم إلا حينما وُصف الفاعل بالجملة الفعلية (يعرضون على الله) الواقعة في محل رفع صفة للفاعل وجاء فيها ضمير جمع الذكور "الواو" يحيل إلى هؤلاء الأربعة، فتبين أنهم من عباد الله المعذنين في النار يخرجون منها لعرضهم على الله، فربط الضمير بين السابق باللاحق وبيّن المعنى وهذا الضمير كما هو ظاهر قد وافق العائد عليه في النوع والعدد، ولولا وجوده لانفصمت العلاقة بين النعت ومنعوتة وسجلنا حالة من الافتقار والخلل في النص، وجملة النعت بوصفها تابِعاً فأصلها أن تأتي بعد المتبوع، وهذا يعني أن الضمير المشتملة عليه يرجع إلى متقدّم، فالإحالة هنا نصية قبلية أو إحالة إلى سابق في النص، ولم نحتاج إلى المقام أو السياق الخارجي لتعيين المحال إليه، ومن حيث المدى هي إحالة قريبة بمعنى أن الاتساق تمّ على مستوى النص نفسه.

النموذج الثالث: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا ما أضحكك يا رسول الله! قال: {أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةً سُرُورَةً فَقَرَأْتُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فَصَلَّ لِلرَّبِّكَ وَأَنْحَرِ\* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ\*، أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ عَدَدُ الثُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُ بِعَدِّكَ} <sup>2</sup>، افتتح الحديث بذكر نزول سورة الكوثر على الرسول ﷺ وورد في نصه لفظ (الكوثر) وهو غريب نكرة عن الصحابة لذلك بينه النبي بعدة جمل منها الخبرية ومنها النعتية، فجملة (إنه نهرٌ وعدنيهِ ربي) تضمنت خبراً نكرة هو (نهر) ونعتاً له هو (وعدنيهِ ربي) هذا النعت اتصل به ضمير الغائب "الهاء" ليحيل إلى النهر ومن ثم إلى المرجع الأصل

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 105.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 119.

وهو الكوثر فالإحالة هنا متعددة من شأنها خلق صور كثيرة في ذهن المتلقي، وجملة (هو حوض ترد عليه أمتي) اشتملت على خبر نكرة هو (حوض) ونعت له هو (ترد عليه أمتي)، هذا النعت اتصل به ضمير الغائب "هنا" ليحيل إلى الحوض ومن ثم إلى المرجع الأصل وهو الكوثر. وهذه الإحالات المتعددة بواسطة الضمائر في جمل النعوت صورت في خيال المتلقي مشهداً فياضاً مغرياً في أعظم موقفٍ للحر والعذاب، أين ينتفع بالكوثر المؤمنون الذي اتبعوا دين محمد ﷺ، ويستثنى منه العبد الذي بدّل بعده، ولفظ (العبد) هو المرجع الأصل الذي أحال إليه ضمير الغائب المستتر "هي" دلت عليه "تاء" التأنيث المتصلة في (أحدثت) تجاوزاً لمبدأ المطابقة التي لم تحصل على مستوى اللفظ وإنما على مستوى المعنى، لما يظهر على الضمير المستتر "هي" من أنه يحيل إلى (الأمّة)، فطابق الضمير المحيل معنى المحال إليه (العبد) وليس لفظه، والغرض هو بيان أن ذلك العبد ليس فرداً واحداً بل ما هو في الحقيقة إلا أمة خالفت الرسول من بعده.

النموذج الرابع: عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: {أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ الْفُقَرَاءَ وَالْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ وَيَتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارَهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَّتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحْيُوهُمْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ وَخَيْرُكَ مِنْ خَلْقِكَ أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءَ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟!! قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَاداً يَعْبُدُونَنِي لَا يَشْرِكُونَ بِي شَيْئاً، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيَتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارَهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَّتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} <sup>1</sup>، استغربت الملائكة أمر الله تعالى بأن تُسَلِّمَ على هؤلاء العباد لأنهم لا تعرف صفتهم، لكنها نفذت أمره بمجرد أن عرفت ذلك من خلال الجمل الناعته لهم وهي: جملة (يعبدونني) وجملة (لا يشركون بي) وهما في محل نصب صفة للعباد، ويتصل بهما "واو" الجماعة الذي يحيل إلى هؤلاء العباد، وجملة (تسد بهم الثغور) وجملة (يتقى بهم المكاره) اللتان اشتملتا على ضمير جماعة الغائب "هم" المتصل بحرف الجر "الباء" فوصل النعت الجملة بالاسم النكرة المنعوت بها وعاد إليه وطابقه في الجمع والتذكير، فهو يحيل إحالة قبلية نصية إلى العباد الذين سبق ذكرهم وهم محل سلام الملائكة، ثم إلى المرجع الأول في النص وهو أول من يدخل الجنة، ولو لم يكن ذلك الرابط المحيل بين الموصوف والصفة لكان

<sup>1</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 196.



الظلام والضبابية في النص، فلا يفهم المتلقي قصد الكلام، واللغة إنما تتوخى الوضوح وتسعى إلى الفهم الصحيح للخطاب لتحقيق التأثير في المتلقي والانسجام معه.

### 3-3- الضمير في جملة الحال:

الحال الجملة تركيب لغوي يأتي بعد معرفة لبيان هيأتها حين ملاسة الفعل، ولا بد للحال الجملة من رابط يربطها بصاحبها، ورابطها إما الواو أو الضمير أو كلاهما<sup>1</sup>، ووظيفة هذا الرابط هو اتصال المعنى بين الجملتين وإلا كانتا منفصلتين لا صلة بينهما، ففي قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ البقرة 259، نجد أن الرابط هو الضمير البارز "هي" العائد على القرية ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ القصص 25، فالضمير المستتر في الفعل (تمشي) هو الرابط للحال بصاحبها (إحدهما)، وقد كان الضمير متأخراً عن المرجع ليقوم بربط آخر التركيب بأوله، ومن خلال هذا يتبين لنا كيف قام الضمير بارزاً ومستتراً بوظيفة الربط في النص.

وردت الجمل الحالية في المدونة ما يزيد عن خمسين مرة، نذكر منها النماذج التالية:

النموذج الأول: عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: {لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحْدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ، تَرَدُّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ..}<sup>2</sup>، الحال هنا في الجمل الفعلية (ترد أنهار الجنة)، (تأكل من ثمارها)، (تأوي إلى قناديل)، وهي كلها تبدأ بفعل مضارع فاعله ضمير مستتر تقديره "هي" دلت عليه تاء التأنيث في بداية الفعل وهو عنصر محيل في النص، معنى هذا أن الحال إليه يكون مفرداً مؤنثاً، فإذا بحثنا عنه في المتقدم من النص نجد لفظي (الأرواح والطير) كلاهما معرفةً وجمعٌ ويتطابقان مع الضمير المفرد المؤنث معنىً وليس لفظاً، وهنا يتعاقد الضمير المحيل مع قرينة الرتبة فيتبين أن الحال إليه هو (الأرواح) التي سبقت بالذكر أما (طير) فهي مضافة إلى جارٍ ومجرور متعلق بالحال إليه، و(الأرواح) بدورها تعود إلى المرجع الأول في النص وهو (إخوانكم)، وبعيداً عن هذا التحليل النحوي فإنه المتلقي في هذا له الدور الرئيس في فهم النص، حينما يدرك أن موضوع الحديث لا يتعلق بالطير وإنما بشهداء غزوة أحد الذين أنعم الله عليهم بالحياة في الجنة، ويبدو جلياً أن اتساق هذا النص بُنيَ على الإحالات وعلى مبدأ تعاضد الروابط ودور المتلقي.

<sup>1</sup> - السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج1، ص248.

<sup>2</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص82.

النموذج الثاني: عن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: {مَا مِنْ أَيَّامٍ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، هُنَّ أَفْضَلُ مِنْ عَدَدِهِنَّ جِهَاداً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمٍ عَرَفَةَ: يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَبَاهِي بِأَهْلِ الْأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: أَنْظَرُوا إِلَيَّ عِبَادِي جَاؤُوا شُعْتًا غُبْرًا حَاجِّينَ، جَاؤُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي، فَلَمْ يَرِ يَوْمٌ أَكْثَرَ عَتِيقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمٍ عَرَفَةَ} <sup>1</sup>، يتباهى الله عز وجل بعباده الحجيج وحالهم أنهم (جاءوا شعنا غبرا)، (جاءوا من كل فج عميق)، (يرجون رحمته)، (لم يروا عذابه)، وهي كلها جمل فعلية أفعالها مضارعة اشتملت على "واو" الجماعة، وهو الضمير الرابط لجمل الحال بصاحبها وهو العباد، وهذه الإحالة القبلية من عدة أحوال إلى صاحب حال واحد تفيدك بمدى وحدة وتساوي سلوك العباد في الحج وخصوصا حين وقوفهم بعرفة، وهذه الفائدة ناتجة عن وحدة النص وتماسكه واتساقه، والتي قامت بواسطة الضمير الذي شد ترابط أجزاء النص ومنعه من التفكك، فالجملة الحالية تحتاج إلى رابط يربطها بالاسم المعرفة الذي هو صاحب الحال، وهذا الرابط هو الضمير أو واو الحال أو الضمير وواو الحال معا، قال "ابن يعيش": «فإذا وقعت الجملة حالا فلا بدّ فيها ممّا يعلّقها بما قبلها ويربطها به لئلاّ يتوهم أنّها مستأنفة، وذلك يكون بأحد أمرين، إمّا الواو، وإمّا ضمير يعود منها إلى ما قبلها» <sup>2</sup>.

النموذج الثالث: عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ يُؤَذَّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّيُ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْظَرُوا إِلَيَّ عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ} <sup>3</sup>، تكرر صاحب الحال ثماني مرات كما يلي: (راعي غنم)، (ضمير مستتر في: يؤذن، يصلي، يقيم، يخاف)، (عبدي)، (الضمير المتصل في: أدخلته)، وتلاحظ كثيرا في الأحاديث القدسية أن الأحوال ارتبطت بتباهي الله بعباده المؤمنين، فهذا هو هنا أيضا يتباهى بعبده ويعجب من حاله الذي عرضه بالجمل (يؤذن)، (يقيم الصلاة)، (يخاف مني) وهي جمل فعلية فعلها مضارع فاعلها ضمير مستتر تقديره "هو" يحيل إلى العبد الذي أشار إليه الله عز وجل وهو في الأصل ذلك الراعي المذكور في صدر الكلام، والذي أعيد ذكره في عجز الكلام بأنه نال مغفرة الله، ورد العجز على الصدر هنا من المقومات التي

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 147.

<sup>2</sup> - ابن يعيش، موفق الدين بن يعيش بن علي (ت 643هـ): شرح المفصل، تحقيق محمد منير، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، مصر، د طبعت، ج 2، ص 66.

<sup>3</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 158.

دعمت دور الضمائر في اتساق وانسجام النص القدسي، وبواسطة الضمير العائد على صاحب الحال تم نسج العلاقة الترابطية بين عدة جمل حالية والجملة المشتملة على صاحب الحال مما أشاع الاتساق في كامل أجزاء النص، فدور الضمير تعدى أثره من مستوى الجملة الواحدة إلى مستوى النص.

النموذج الرابع: عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب فرجع من رجوع وعقب من عقب فجاء رسول الله ﷺ مسرعاً قد حفزه النفس، وقد حسر عن ركبتيه فقال: {أَبَشِّرُوا هَذَا رُبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ يَقُولُ: أَنْظَرُوا إِلَى عِبَادِي قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى} <sup>1</sup>، الجمل الحالية هي (قد قضوا فريضة)، (وهم ينتظرون أخرى)، المحيل هو "واو" الجماعة الذي اتصل في الجملة الأولى بفعل ماضٍ مسبوق بـ"قد" التي تفيد التحقيق، واتصل في الجملة الثانية بفعل مضارع مسبوق بضمير منفصل للجماعة الغائبة، وتحيل هذه الضمائر جميعاً إلى لفظ (عبادي) وحتى تعرف من هؤلاء العباد يجب أن تستعين بالمقام وسياق نزول الحديث وهو مجموعة المصلين التي قضت صلاة المغرب وبقيت في المسجد تنتظر صلاة العشاء ففتح لهم باب من أبواب السماء، وهو ما جعل الرسول يعود مسرعاً وقد حفزه النفس وحسر عن ركبتيه ليبشرهم بهذا الخبر، فالضمير أحال جمل الحال إلى صاحبها (عبادي) إحالة قبلية نصية قريبة، ولو لم يكن هذا الضمير موجوداً لحدث تفكك في التركيب وفقدت اللغة اتساقها، ونشير هنا إلى أن الضمير يجب أن يكون متأخراً عن المرجع ليؤدي وظيفة الربط والسبك بين أوصال التركيب، وفي هذا النص وجدناه يتعاقد مع المقام ليصنع اتساق وانسجام النص.

فجملة الحال هنا لا تختلف عن جملة النعت في شيء سوى أن الأولى تأتي مبيّنة هيئة الاسم المعرفة الذي يرد قبلها، حيث تقع الحال الجملة موقع المفرد فتنبو عنه، وتأتي من حيث الترتيب بعد معرفة، يقول المبرد: «وإنما تكون الجمل صفاتٍ للنكرة، وحالاتٍ للمعرفة» <sup>2</sup>، ومثّل لذلك بقوله: «..وتقول: مررت بعبد الله يبي داره، فيصير (يبي) في موضع نصب لأنه حال، كما تقول: مررت بعبد الله بانياً داره» <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 160.

<sup>2</sup> - المبرد: المقتضب، ج 4، ص 123.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 123.

### 3-4- الضمير في جملة الصلة:

جملة الصلة هي الجملة الواقعة بعد الاسم الموصول لإزالة الإبهام عنه، قال صاحب المقتضب: «واعلم أنّ الصلة موضحة للاسم، فلذلك كانت في هذه الأسماء المبهمة، وما شاكلها في المعنى، ألا ترى أنك لو قلت: جاءني الذي، أو مررت بالذي، لم يدلّك ذلك على شيء حتى تقول: مررت بالذي قام، أو مررت بالذي من حاله كذا وكذا، أو بالذي أبوه منطلق، فإذا قلت هذا وما أشبهه وضعت اليد عليه»<sup>1</sup>، فالصلة إذاً هي التي تحدّد مدلول الموصول الاسمي وتجعله واضح المعنى، ولا بدّ لهذه الجملة من أن تشتمل على ضمير يعود على الاسم الموصول، حيث يضيف المبرد: «وقد أعلمتك أنّ (الذي) يوصل بالفعل والفاعل، وبالاتداء والخبر، والظرف، ولا بدّ في صلة (الذي) من راجع إليه يوضّحه، فإذا قلت: رأيت الذي قام، فاسمه في قام..»<sup>2</sup>، فهذا الرّاجع إلى الموصول الاسمي (الذي) هو العائد على الاسم الموصول فيربطه بجملة الصلة.

وهذا الرابط لا يكون غالباً إلا ضميراً، وهو ما عبر عنه "ابن هشام" بقوله: «الجملة الموصول بها الأسماء لا يربطها غالباً إلا الضمير، إمّا مذكوراً نحو: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ يس:35، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ الزخرف:71، وإمّا مقدّراً نحو: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ مريم:69..»<sup>3</sup>، فالضمير العائد على الاسم الموصول في الآية الأولى هو (هاء الغائب) المتصل بالفعل (عمل)، والضمير الرابط صلة الموصول باسمها في الآية الثانية هو (هاء الغائب) المتصل بالفعل (تشتهي)، أمّا في الآية الثالثة فالضمير العائد محذوف على تقدير: أيهم هو أشدّ، وقد يغني عن الضمير في الرّبط اسم ظاهر يقع موقع ذلك الضمير وهو قليل.

وسمى "سبويه" الصلة حشواً وأشار إلى جواز حذف الضمير العائد في جملة الصلة مع نيّة التقدير بقوله: «وإن أردت الحشو قلت: مررت بمنّ صالح، فيصير صالحُ خبراً لشيء مضمّر، كأنك قلت: مررت بمنّ هو صالح»<sup>4</sup>، وينجح هذا الحذف حين يتحقّق أمن اللبس ويتضح المعنى بدونه، ومن أهم مظاهر أمن اللبس ألا يكون الباقي بعد حذفه صالحاً صلة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ج3، ص197

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص130.

<sup>3</sup> - ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، ص579.

<sup>4</sup> - سيبويه: الكتاب، ج2، ص107.

<sup>5</sup> - عباس حسن: النحو الوافي، ج1، ص359.

ورد الضمير في جملة الصلة في الحديث القدسي أزيد من سبعين مرة اخترت منها النموذج التالي:

- عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: {نَحْيِي نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا أَنْظُرُ أَيُّ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ، فَتَدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْتَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلُ فَلَاوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ نَنْظُرُ رَبَّنَا فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: حَتَّى تَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ -مُنَافِقٌ أَوْ مُؤْمِنٌ- نُورًا ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَاللَّيْلِ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُطْفِئُ نُورَ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يُلَوْنُهُمْ كَأَضْوَاءِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تُحَلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيَجْعَلُونَ بِنَاءَ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرْشُونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا} <sup>1</sup>، هذا النص على الرغم من طوله بالنظر إلى بقية نصوص الأحاديث القدسية، فإنه مختصر ومقتصد أشد الاقتصاد اللغوي، يدل على ذلك كثرة أسماء الموصول الموجودة فيه وتنوعها، وهي أربعة موصولات (أي، ما، مَنْ، الذين) ذكرت في مجملها ست مرات كما يلي:

"أي" وصلتها جملة (ذلك فوق الناس) وهو تركيب لا يستقيم إلا بتقدير ما حذف منه وهو الضمير المنفصل "هو"، فيكون أصل التركيب (ذلك هو فوق الناس)، والضمير المحذوف "هو" في جملة الصلة هو العائد والمحيل إلى الموصول "أي" إحالة قبلية قريية، وبهذا الضمير يُرفع الإيهام القائم على الموصول، كما اشتملت الصلة على اسم الإشارة "ذلك" الذي أحال إلى سابق في النص هو كذا وكذا أي مدى كثرة أمة محمد بين الناس يومئذ.

"ما" لغير العاقل تبعت بصلة في جملة (كانت تعبد)، التي أصلها (كانت تعبد) فحذف ضمير الغائب المتصل وهو "الهاء" وهو الذي ربط بين الصلة وموصولها من جهة، وأحال إلى مرجعه الأصلي وهي (الشيء المعبود) الذي يطابق اسم الموصول المشترك "ما" الدال في لفظه على المفرد

<sup>1</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 79.

المذكر، وفي مكان آخر تصلها جملة أخرى هي (يزن شعيرة) التي تضمنت ضميراً مستتراً تقديره "هو" يحيل إحالة قبلية قريبة إلى الموصول "ما".

"مَنْ" للعاقل وصلتها الجملة الفعلية (شاء الله) وأصلها (من شاءه الله)، وبالتالي إن الضمير الرابط بين الصلة وموصولها هو "الهاء" المحذوفة، وفي موضع آخر من النص نجد وصلتها الجملة الفعلية (قال لا إله إلا الله) وتشتمل على ضمير مستتر تقديره "هو" ينسج خيوط التركيب ويحيل إلى اسم الموصول "من"، وهي إحالة قبلية نصية قريبة جداً، ولولا هذا الضمير المحيل لحدث انكسار على مستوى التركيب، وانقطعت علاقة الاتساق بين جملة الصلة وموصولها.

"الذين" وصلتها الجملة الفعلية (يلوهم) التي رفعت الإبهام عن الموصول واحتوت ضميراً متصلاً يتعلق بالغائب الجماعة وهو يحيل إلى اسم الموصول الذي سبق ذكره "الذين" ويطابقه في الجمع والتذكير، وهي إحالة قبلية نصية قريبة جداً.

كما أن الضمير "هم" يطابق الموصول "الذين" في التذكير والجمع، وكانت هذه المطابقة كاملة لأنها تمت على مستوى لفظ الموصول ومعناه، والمطابقة التامة تُشترط في الضمير العائد على الموصول المختص، أمّا إذا كان عاماً فإنّ المطابقة قد تتم على مستوى اللفظ أو المعنى أو على مستوى اللفظ والمعنى معاً، باستثناء الموصول الاسمي المشترك "أل" لأنّ المطابقة فيه تتم على مستوى المعنى وحده، لخفاء موصوليتها بغير المطابقة.

وهنا يقول الدكتور "عباس حسن": «والضمير العائد يجب أن تكون مطابقته تامة، بأن يوافق لفظ الموصول ومعناه، وهذا حين يكون الموصول اسماً مختصاً، فيطابقه الضمير في الأفراد والتأنيث وفروعهما... أمّا إن كان الاسم الموصول عاماً (أي مشتركاً)؛ فلا يجب في الضمير مطابقته مطابقة تامة، لأنّ الاسم الموصول العام لفظه مفرد مذكر دائماً، مثل: (من، ما، ذو...). ولكن معناه قد يكون مقصوداً به المفردة أو المثنى أو الجمع بنوعيهما، ولهذا يجوز في العائد، أي: الرابط عند أمن اللبس وفي غير (أل) مراعاة اللفظ، وهو الأكثر، ومراعاة المعنى وهو كثير أيضاً»<sup>1</sup>.

تضافرت الضمائر الموجودة في هذا النص لتلخص مشهداً من مشاهد الآخرة، يتضمن مراجع عديدة لأحداث كثيرة وهي (تجمع البشر، تفويجهم وفق ما كانوا يعبدون، اتباع الله بعد انتظاره، المرور بجسر جهنم، الشفاعة)، وهذه الضمائر التي اشتملت عليها الجمل الصلات تحيل إلى

<sup>1</sup> - عباس حسن: النحو الوافي، ج 1، ص 343.

موصولاتها، وهذه الأخيرة تحيل بدورها إلى مراجعها، وهذا التعدد والتداخل الإحالي أضفى على كتلة النص خفة واختصاراً وعلى تركيبه تماسكاً واتساقاً وعلى معانيه تأثيراً وانسجاماً.

### 3-5- ضمير الفصل:

ضمير الفصل ضمير رفع منفصل يفصل بين ركني الجملة الاسمية ليُفيد أنّ ما بعده خبر لا نعت للمبتدأ أو ما أصله مبتدأ، وهي تسمية بصرية، ويُسمّى بعض الكوفيين عماداً<sup>1</sup>، لأنّه يعتمد عليه في بيان أنّ الثاني خبر لا تابع، وفي هذا المقام يقول "ابن يعيش": «ويقال له فصل وعماد، فالفصل من عبارات البصريين كأنّه فصل الاسم الأوّل عمّا بعده وآذن بتمامه وإن لم يبقَ منه بقية من نعت ولا بدل إلاّ الخبر لا غير، والعماد من عبارات الكوفيين كأنّه عمد الاسم الأوّل وقوّاه بتحقيق الخبر بعده»<sup>2</sup>.

وضمير الفصل عند النحاة ليس للربط وإنما لإفادة التوكيد أو القصر أو الإعلام بأنّ ما بعده خبر لا تابع، فيرفع بذلك الإبهام ويزيل اللبس، وهو يتوسط بين المبتدأ والخبر، أو بين اسم كان وخبرها، أو بين اسم إنّ وخبرها، أو بين مفعولي ظنّ وأخواتها، ويشترط فيه أن يكون مطابقاً لما قبله في المعنى وفي التّكلم، وفي الخطاب والغيبة، وفي الإفراد والتّذكير وفروعهما<sup>3</sup>.

أما المحدثون فاعتبروه من الروابط لأنّه يُوافق ما قبله في المعنى، وفي التّكلم والخطاب والغيبة، وفي النوع والعدد، ويشير إلى ما بعده بأنّه المقصود بالإخبار، وفي هذا الصدد يقول الدكتور "مصطفى حميدة": «.. فإذا قيل: زيدُ العالم، وكان يُراد إنشاء علاقة إسناد، نشأ لبس في فهم علاقة الوصفية، لأنّ كلا الاسمين معرفة، وبينهما مطابقة، ولذلك لجأت العربية إلى الرّبط بين الاسمين بضمير الفصل كي يزول احتمال فهم علاقة الوصفية، فتظهر علاقة الإسناد واضحة»<sup>4</sup>، ونحن نرى أنّه من أدوات الربط والإحالة بين العناصر اللغوية في التركيب، فهو يُحيل إحالة بعدية إلى الجزء المتم للفائدة، ولم يرد ضمير الفصل في الأحاديث القدسية إلا في النموذجين التاليين:

النموذج الأول: عن أبي هريرة -رضي الله- قال: قال رسول الله ﷺ: {إِذَا سَمِعْتُمْ رَجُلًا يَقُولُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ، يَقُولُ اللَّهُ: إِنَّهُ هُوَ هَالِكٌ}<sup>5</sup>، ضمير الشأن "الهاء" المتصل بالناسخ

<sup>1</sup> ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، ص571.

<sup>2</sup> ابن يعيش: شرح المفصل، ج3، ص110.

<sup>3</sup> أنظر: عباس حسن: النحو الوافي، ج1، ص316.

<sup>4</sup> مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص199.

<sup>5</sup> مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص32.

(إن) هو اسمها الذي أصله مبتدأ، وخبر الناسخ هو (هالك)، وما توسط اسم (إن) وخبرها هو ضمير الفصل "هو"، وقد أحال إلى خبر (إن) إحالة بعدية قريبة شكلت اتساق النص، كما جيء به لتأكيد معنى الإسناد في الجملة، حيث ذكر "الزمخشري" بأن ضمير الفصل "هم" في الآية: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة: 05، فائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره<sup>1</sup>.

النموذج الثاني: في حديث الكوثر الذي سبق ذكره؛ قرأ الرسول ﷺ سورة الكوثر التي أنزلت عليه، والشاهد هو الآية: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الكوثر: 03، فضمير الفصل "هو" قد ربط اسم إن (شانتك) الذي ورد قبله بخبر إن (الأبتر) الذي ورد بعده، وهو يحيل إلى المرجع المذكور بعده والذي يطابقه في الأفراد والتذكير، وهي إحالة داخلية لأن المرجع والعائد كليهما مذكور في النص، كما أنها إحالة قريبة لأن المرجع والضمير لم تطل المسافة بينهما، وهي إحالة بعدية عاد فيها الضمير على متأخر.

### 3-6- ضمير الشأن:

ضمير الشأن هو تسمية بصرية، أما الكوفيون فيسمونه الضمير المجهول لعدم تقدّم شيء عليه ليكون مرجعه، وهذا الضمير يتصدر جملة، ويؤتى به في مواضع التعظيم والتفخيم وإثارة الانتباه إلى ما يليه، والجملة التي تأتي بعده تفسّر له<sup>2</sup>، ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص: 1، نجد الضمير المنفصل "هو" هو ضمير الشأن، وقد تصدر الجملة الاسمية وهو في موضع الإشارة وتوجيه الأنظار إلى تعظيم المولى عز وجل، والجملة الاسمية (الله أحد) هي التي فسّرت، وقد جاء في هذه الآية دالاً على المفرد المذكر، وقد يأتي للمفرد المؤنث فيسمى ضمير القصة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ الأنبياء: 97، فالضمير المنفصل "هي" الواقع بعد إذا الفجائية هو ضمير القصة، وقد فسّرت الجملة الواقعة بعده.

يرى الدكتور "تمام حسّان" أن ضمير الشأن يقوم بوظيفة الربط ويعود دائماً على متأخر لفظاً ورتبة، ويتطابق تذكيراً وتأنيثاً في الغالب مع المسند إليه في الجملة المفسّرة، ومن ثمّ تتشكّل علاقة

<sup>1</sup> - الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ): الكشف عن حقائق غوامض التذليل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1998، ج1، ص161.

<sup>2</sup> - أنظر: عباس حسن: النحو الوافي، ج1، ص321.



الرّبط<sup>1</sup>، فضمير الشّأن يعود دائماً إلى ما بعده، أي أنّ مرجعه متأخّر عنه، وهذا المرجع لا يكون إلاّ جملة مفسّرة له ولا يمكن أن تتقدّم عليه، أي أن ضمير الشّأن يقوم بإحالة بعدية أو الإحالة إلى لاحق، وهذه الإحالة داخلية لأنّ المرجع جملة مفسّرة موجودة داخل النّص وليس خارجه، كما أنّ هذه الإحالة من حيث المدى تُعدّ قريبة لعدم وجود فاصل بين هذا الضمير ومرجعه.

وقد ورد ضمير الشّأن في الأحاديث القدسية أزيد من عشرين مرة، نورد منها المثال التالي:

- في حديث عن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، يقول الرسول ﷺ: {..ثُمَّ يَفْرَغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُّقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولاً الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ إِصْرَفَ وَجْهِهِ عَنِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَوُهَا..}<sup>2</sup>، الضمير المنفصل للمفرد الغائب "هو" هو ضمير الشّأن، حيث وقع مبتدأ خبره هو الجملة الواقعة بعده (آخر أهل النار)، التي عملت على تفسيره، فتلاحظ أن الضمير "هو" أحال إلى ما بعده إحالة بعدية داخلية قريبة وتطابق مع الحال إليه في الأفراد والتذكير، نجد في النص أيضاً الضمير المتصل للمفرد الغائب "الهاء" الواقع اسماً للناسخ في (فإنه) هو ضمير شأن فسّرت الجملة الفعلية بعده (قد قشبي ريحها) المسبوقة بقدر التي تفيد التحقيق، ولم تكف هذه الجملة فأضاف هذا الرجل جملة فعلية أخرى لزيادة التفسير (أحرقني ذكاؤها)، فالجملة الأولى هي خبر للناسخ (إن) والجملة الثانية معطوفة عليها، وضمير الشّأن المتصل "الهاء" قد أحال إليهما إحالة بعدية قريبة وتطابق مع شأن القشب والحرق في الأفراد والتذكير، فضمير الشّأن بإحالاته البعدية قد حقق نوعاً آخر من اتساق النص يختلف عن الذي تفعله معظم الضمائر التي تحيل في النص إحالات قبلية.

وقد تناول "ابن هشام" في كتابه (مغني اللبيب عن كتب الأعراب) الرّوابط التي تحيل إحالة بعدية في مبحث "المواضع التي يعود الضمير فيها على متأخّر"، وهو ما يعني مدى اهتمام علمائنا بالدور الرّابط للضمير من خلال مرجعيته على متقدّم أو متأخّر، وسبقهم إلى ملاحظة فكرة الإحالة وإن كان تناولهم لها بقي في إطار الجملة.

والنّحاة العرب لما عالجوا أمر الإحالة والرّبط بالضمير في إطار نحو الجملة، لم يتحدثوا عن هذا الأمر بشكل أكثر شمولية حتى يشمل النّص ككل بوصفه الوحدة اللّغوية الكبرى كما هو جارٍ في مباحث لسانيات النّص، لأنّ معظم دراساتهم النحوية كانت تدور في فلك الجملة، وانطلاقاً من

<sup>1</sup> - أنظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج1، ص151.

<sup>2</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص72.

العربي من نحو الجملة وانحصاره في هذا الإطار لا يعدّ عيباً أو قصوراً ولا يُنقص من قيمة الدّرس النحوي العربي، وإنّما يُردّ إلى الأسباب التي من أجلها تمّ القيام بتقعيد اللغة، وكان من أهمّ هذه الأسباب الرّغبة في تقويم اللّسان في نطق الجملة، والاهتمام بالقواعد التي تضمن سلامة الجملة بمستوياتها المختلفة<sup>1</sup>.

لا يجوز معاتبة نحائنا على أشياء حديثة لا تراعي الإطار الزمني الذي عاشوا فيه، ولا تأخذ في الحسبان السيّاقات التي نشأت في جوّها النظرية النحوية العربية، ويكفيهم فضلاً أنّهم عبّدوا الطريق للباحثين المحدثين في مجال علم اللغة النصّي، وهو ما اعترف به علماء النّص حينما رأوا في نحو الجملة تمهيداً ضرورياً للسانيات النّص، حيث يقول الباحثان "فولفجانج هاينه من" و"ديتر فيهفيجر": «نحن ننطلق من كون العلاقة تكاملية بين علم اللغة النصّي وعلم اللغة الجملي، حيث يُنظر إلى دراسات علم اللغة الجملي على أنّها تمهيد ضروري لأبحاث علم اللغة النصّي من جهة، لكنها من جهة أخرى يمكن أن تتجاوز في علم اللغة النصّي الأكثر شمولاً»<sup>2</sup>.

وإذا كان الرّبط بالضمير في المواضع التي أوردها النحاة لم يتجاوز حدود الجملة؛ فهذا لا يعني أنّ علماءنا لم يعنوا بمرجعية الضمير على مستوى النّص، فهذا الفراء (ت 207 هـ) يحدد مرجعية الضمير المتصل "الهاء" في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الأنعام: 46، إلى لفظ (الهدى) المذكور في الآية: ﴿وَكُلُوا شَاءَ اللَّهِ لَجَمْعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ الأنعام: 35، والذي تقدّم عن الضمير في السورة بعشر آيات كاملة<sup>3</sup>، أي أنه تجاوز مرجعية الضمير من مستوى الجملة إلى مستوى النّص مراعاةً للنظم، وهذا يبين إدراكه لمدى مساهمة الإحالة بالضمير في إبراز محور الخطاب، وإمكانية عودة الضمير إلى بؤرته في النص التي تمثل غرض الخطاب، وليست فحسب إلى تلك الموجودة معه في الجملة، وهو ما يسمى بمبدأ التغريض الذي هو آلية من آليات الانسجام النصّي، وهو ما يدل على أنّ علماءنا قد أسّسوا لكثير من المفاهيم التي انبنى عليها علم اللغة النّصي.

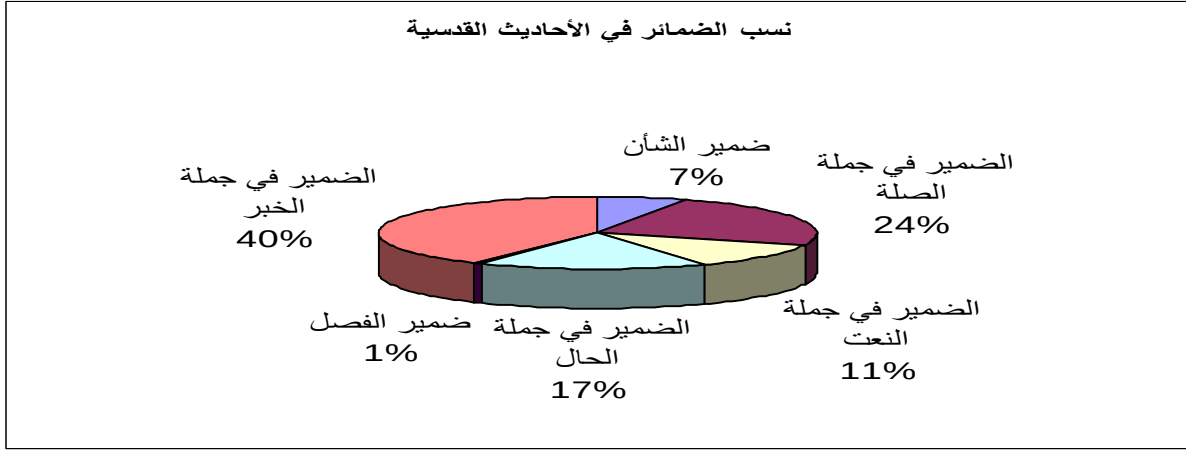
وقد كان مجموع الضمائر الواردة في نصوص الأحاديث القدسية حوالي مئتان وستة وتسعون (296) ضميراً، وأظهرنا عملاً الإحصائي لنسب هذه الضمائر من خلال الدائرة النسبية التالية، والتي يتجلى فيها بوضوح مدى تركيز الأحاديث القدسية على استعمال الضمائر في جمل الخبر للإحالة على

<sup>1</sup> - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص49.

<sup>2</sup> - فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصّي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، ص8.

<sup>3</sup> - الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت206 هـ): معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ج1، ص335.

مبتدأها في النص وتحقيق تماسكه، واعتمادها على مبدأ الإخبار عن أحداث وأحوال العباد والملائكة في تحقيق التأثير والتواصل بين المرسل والمتلقي.



### ثانياً - "أل" التعريف:

أداة التعريف "أل" تدخل على الاسم النكرة فتجعله معرفة، ولكي تكون للتعريف لا بد أن يكون الاسم بعدها نكرة محتاجة إلى التعريف<sup>1</sup>، وينسب إليها أنها من الأحرف المختصة وتتقدم العبارات الدالة على ما سبق ذكره، كما ينسب إلى أداة التنكير أنها تسبق ما لم يذكر من قبل<sup>2</sup>، حيث «تشير أداة التعريف إلى ما يسمّى المعلومات السابقة، بينما تُعدّ أداة التنكير إشارة إلى معلومات لاحقة، أي الوحدات اللغوية التي لم يوضّحها المتكلم بعد»<sup>3</sup>.

يعتبر سيبويه الألف في "أل" التعريف زائدة قدمت لإسكان اللام بخلاف ما ذكره "الخليل" من أنها ثابتة<sup>4</sup>، ولخص "السكاكي" الخلاف بين "سيبويه" و"الخليل" بشأن أصل اللام بقوله: «واللام على مذهب سيبويه تأتي للتعريف، نحو الغلام، والهمزة عنده للوصول ولذلك لا تثبت فيه بخلاف الخليل فإن سقوطها عنده لجرد التخفيف لكثرة دورانها»<sup>5</sup>.

تجعل الدراسات اللسانية الحديثة "أل" التعريف محققة للترابط النصي، يأتيها ذلك من اتفاق الإحالة بين الاسم المعرف وعنصر آخر متقدم عليه أو متأخر، عدت أداة التعريف من الظواهر المحققة للترابط والاتساق في النص، فقد اعتبر "هاليداي وحسن" أداة التعريف (the) في الإنجليزية من قبيل الوحدات الإشارية المحايدة ولها نوعان من الإحالة: إحالة مقامية تتحدد بالسياق المقامي أو بالدلالة على الجنس أو

<sup>1</sup> - صالح الكشور: مظاهر التعريف في العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، تونس، د.ط، 1997، ص 71.

<sup>2</sup> - روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ص 307.

<sup>3</sup> - فولفجانج هابنه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، ص 29.

<sup>4</sup> - سيبويه: الكتاب، ج 4، ص 147.

<sup>5</sup> - السكاكي: مفتاح العلوم، ص 116.

بالعرف، وإحالة مقالية قبلية وبعدية<sup>1</sup>، فالدور الأساسي لـ "أل" التعريف هو التحديد والإحالة التي تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه<sup>2</sup>، و"أل" التعريف وردت في الأحاديث القدسية ثلاثين وخمس مئة مرة، وتنقسم إلى قسمين: عهدية وجنسية، نعرضهما كما يلي:

## 1- "أل" العهدية:

تفيد تحديد شيء في النص معهود عند المخاطب، حيث تؤدي إلى عملية ذهنية في المتلقي تتم بالانتقال من الاسم النكرة إلى الاسم المحلى بالألف واللام: فقولك (رجل) تعني واحداً ممن يقع عليه هذا الاسم، أما قولك (الرجل) فهو تذكير المتلقي بشيء تقدم ليعود إلى ذهنه ما عهده من أمره<sup>3</sup>، وهي على ثلاثة أنواع:

### 1-1- ذات العهد الذكري:

وهو أن يتقدم مصحوب "أل" ذكر في الكلام حقيقة أو تقديرًا، نحو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ النور: 35، في البداية تقدم ذكر الاسم النكرة (مصباح) ذكراً حقيقياً في النص، ثم جاء ذكرها معرفة بعد اقترانها بأداة التعريف "أل" ولذا تسمى عهدية ذكرية، لأن ما اتصلت به معهود بما سبق ذكره في النص.

وحسب صاحب المغني فإن ضابط العهد الذكري أن يسدّ الضمير مسدّ "أل" مع مصحوبها<sup>4</sup>، كقولك: (كتبت كتاباً ثم أهديت الكتاب)، نلاحظ هنا أن الاسم المقترن بـ "أل" التعريف جاء في درج الكلام لا في مفتحه، وقد اقتضى الحال هنا الإظهار بـ "أل" بدل الإضمار وهذا يكون لغرض التعظيم أو البيان أو تجنب اللبس، ويجوز هنا تعويض مصحوب "أل" بضمير الغائب فتقول: (كتبت كتاباً ثم أهديته)، حيث سدّ الضمير المتصل (هنا الغائب) مسدّ "أل" مع مصحوبها.

فكانت "أل" فيه من محققات ربط الجملة بسابق الكلام، وصحة حلول ضمير الغائب محل المعهود عهداً ذكرياً يدعم قيامها بالدور الرابطي لكونه هو أيضاً من أسس الترابط، فـ "أل" هنا تجاوزت فائدة تعريف الشيء المعهود ذكره لدى المخاطب إلى الربط بين نكرتين: النكرة الثانية هي

<sup>1</sup> - محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج1، ص128.

<sup>2</sup> - أنظر: محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 17.

<sup>3</sup> - أنظر: أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص114.

<sup>4</sup> - ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1، ص50.

الضمير والنكرة الأولى هي مرجع الضمير، منبهة إلى أن مدلول ما دخلت عليه هو مدلول النكرة السابقة المماثلة لها في لفظها؛ الخالية من "أل"<sup>1</sup>، وهنا تكون قد حققت الربط المعنوي بين الجملتين، والاتساق الدلالي في النص.

جاءت "أل" العهد الذكري خمس عشرة مرة في المدونة، ومثالنا: قال أبو هريرة -رضي الله عنه- سمعت رسول الله ﷺ يقول: {كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلَنِي وَرَبِّي أَبْعَثَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقَبِضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ}<sup>2</sup>، كلا اللفظين (المذنب والمجتهد) قد سبق ذكرهما نكرة في النص، فهما رجلان إسرائيليان متواحيين، أولهما مذنّب وثانيهما عابد، ثم اقترنا بـ"أل" عند ذكرهما في المرة الثانية لأنهما أصبحا معهودين بالذكر، فصار الرابط اللفظي "أل" يثير لدى المتلقي معرفة خلفية عنهما بناءً على ما تم تقديمهما به في بداية النص، أما لفظ (الآخر) فهو غير ثابت فتارة يعود على المجتهد وتارة أخرى يعود على المذنّب، فهو أيضاً مسبوق بالذكر لكنه ذكر حكمي أو تقديري وليس حقيقياً، والأداة "أل" المقترنة به هي كذلك للعهد الذكري ونلاحظ أن هذه الأداة ساهمت في ترابط وتماسك تراكيب النص وهي في كل مواضعها منه قد جعلته كتلة واحدة تدفع للدلالة واحدة هي أن لا يقنط المذنّب من رحمة الله، وأن لا يغتر العابد بعمله.

ويبدو جلياً دور "أل" العهدية الذكرية في الإحالة إلى سابق في النص والدلالة عليه، ذلك أن أصل الإحالة الربط بالضمير، والضمير يصحّ أن يسدّ مسدّ "أل" العهدية عهداً ذكرياً مع مصحوبها، فالحيل هو أداة التعريف مع مصحوبها (المذنب، المجتهد) والحوال إليه هو المتقدّم ذكره (رجلان من بني إسرائيل متواحيين، أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة)، وقد تقدم ذكر الحوال إليه نكرة كما تقدم ذكره معرفة عند تكرار لفظي (المذنب والمجتهد)، وهكذا يتحقّق الاتساق النصي من خلال إحالة "أل" مع مصحوبها إحالة داخلية قبلية.

والمتلقي حين يقرأ النص لا يذهب تأويله إلى أن هذا المجتهد هو مجتهد في الدراسة مثلاً، بل يبقى تأويله محلياً وهو المجتهد في العبادة، وهذا بفضل "أل" ومصحوبها التي قيدت هذا التأويل عن طريق

<sup>1</sup> - عباس حسن: النحو الوافي، ج1، ص385.

<sup>2</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص29.

الإحالة إلى ما تقدم ذكره في النص، وهذا ما يسمى (مبدأ التأويل المحلي) الذي يضمن عدم إنشاء سياق أكبر مما هو ضروري لضمان الفهم الصحيح للخطاب وتحقيق انسجام النص<sup>1</sup>.

## 1-2- ذات العهد الذهني:

وهو أن يتوفر في ذهن المخاطب معرفة سابقة أو خلفية عن مصحوب "أل" التعريف ولا يشترط ذكرها في الكلام، كقولنا: (تقل درجة الحرارة في أعالي الجبال)، ففي هذا المثال أسماء معرفة بـ "أل" مصحوبها معهود دون أن يتقدم له ذكر في سابق المقال، فالحرارة والجبال من الأشياء المعهودة المألوفة بالنسبة إلى المخاطبين عهدا يقوم على سابق المعارف والعرف.

وتحدث "سيبويه" عن "أل" التعريف بالعهد الذهني للمخاطب بقوله: «وإذا أدخلت الألف واللام فإتّما تُذكره رجلاً قد عرفه، فنقول: الرجل الذي من أمره كذا وكذا، ليتوهم الذي كان عهدّه ما تذكر من أمره»<sup>2</sup>، أمّا المعرفة السابقة التي تصلح لتعريف النكرة فتختص بالمتلقي لأنه هو الذي يحكم في النهاية على نجاح عملية التواصل من عدمها، وهو ما يسمى في لسانيات النص بـ "المعرفة الخلفية للعالم" أي أن يكون للمخاطب سابق معرفة بالشئ تساعده على تأويل النص تأويلاً مقبولاً يحقق انسجامه<sup>3</sup>.

وأغلب "أل" العهدية كانت في المدونة من العهد الذهني (اثنا وستين وثلاث مئة مرة) لأن الألفاظ التي ارتبطت بها معروفة وتكررت كثيراً مثل: الجنة والنار، الدنيا والآخرة، الحياة والموت، الأرض والسماء، الليل والنهار، الشمس والقمر، الخير والشر، الصلاة، الصدقة، الصيام، الخ، ومن أمثلة ذلك: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: {أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ: أَوْلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَرْزَعَ، فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاوُهُ وَاسْتَحْصَاوُهُ وَتَكَوَّرَ أَمْثَالُ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ}، فكل الألفاظ (الجنة، الزرع، الطرف، الجبال) كلها معهودة في ذهن المتلقي ومعروفة بحكم العرف، لذا فأداة التعريف "أل" المقترنة بها هي "أل" العهدية الذهنية، وهي تحيل إلى مراجع كلها خارج النص أي أن "أل" ومصحوبها يحيلان إحالة خارجية تفيد في انسجام النص وتفسيره وفهمه، فدلت بذلك على تقدّم مصحوبها دون أن يكون له ذكر في الكلام، أي أنّها صرفت النظر إلى ذلك المعهود في ذهن المخاطب، فـ "أل" تشير

<sup>1</sup> - براون ويول: تحليل الخطاب، ترجمة لطفي الزليطني ومنير التريكي، ص72.

<sup>2</sup> - سيبويه: الكتاب، ج2، ص05.

<sup>3</sup> - براون ويول: تحليل الخطاب، ترجمة لطفي الزليطني ومنير التريكي، ص72.

<sup>4</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص62.

مع مصحوبها إلى شيء سابق يعلمه المخاطب، ولكن هذا الشيء غير مذكور في نص الكلام، وهي بذلك تُشبه ضمائر المتكلم والمخاطب من حيث أنها تحيل في غالب الأحيان إحالة إلى خارج النص.

### 1-3- ذات العهد الحضورى:

وهي ليست للربط، حيث يشترط أن يكون مصحوب "أل" حاضراً وقت الكلام، وهو حاصل من المقام الذي ينشأ فيه القول، مثال: (أغلق النافذة) تقولها للمخاطب في مكان معين فيه نافذة واحدة، فالنافذة معروفة في المقام ولم يسبق ذكرها، فـ"أل" هنا عهدية حضورية وليست ذكرية أي مقامية وليست مقالية.

ونقل "ابن هشام" أن "أل" العهدية الحضورية لا تقع إلا في المواضع التالية<sup>1</sup>:

- في اسم الزمان الحاضر نحو (الآن، اليوم..): ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ المائدة: 03.

- بعد أسماء الإشارة نحو (جاءني هذا الرجل)

- بعد "أي" في النداء نحو (يا أيها الرجل)

- بعد إذا الفجائية نحو (خرجت فإذا الأسد)

نلاحظ أن "أل" في المنادى هي للعهد الحضورى، كون المنادى في النداء الحقيقي هو المخاطب فهو حاضر في النداء، و"أل" في اسم الزمان الدال على زمان التخاطب، رغم أنك تحس بوجود صيغة الغائب فيها إلا أنه غلب عليها معنى التخاطب وصُرف معهود "أل" إلى العهد الحضورى، أما "أل" المقترنة باسم الإشارة وإذا الفجائية فإنها تحتل العهد الحضورى مثلما تحتل العهد الذكري وهذا بحسب سياقها.

فما خلص للعهد الحضورى لـ "أل" في المنادى وأسماء الزمان الدالة على زمان التخاطب لا يمكن أن يكون لها دور رابطي، أما "أل" بعد إذا الفجائية واسم الإشارة فإنها قد تقوم بدور الربط بين الجمل متى كان مصحوبها قائما على العهد الذكري.

وردت "أل" العهد الحضورى في الأحاديث القدسية اثنا عشرة مرة، مثال: عن أبي بن كعب رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً، فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بَنُ

<sup>1</sup> - ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1، ص50.

الإسلام، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ هَذَيْنِ الْمُتَنَسِّبَيْنِ، أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُتَنَمِّيُّ أَوْ الْمُتَنَسِّبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا هَذَا الْمُتَنَسِّبُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْجَنَّةِ<sup>1</sup>، فهذا موسى عليه السلام يخاطب الرجلين المتنسبين، مستعملاً النداء والإشارة، فكانت "أل" المقترنة بلفظ (المتنمي) بعد أداة النداء "أي" ولفظ (المتنسب) بعد اسم الإشارة "هذا" من العهد الحضوري لأنهما حاضرين في الخطاب، فلم تؤدي دور الربط، إنما قام مقامها بالربط والإحالة في النص أداة النداء واسم الإشارة.

## 2- "أل" الجنسية:

وهي ليست للربط أيضاً، وتدخل على نكرة فتفيد معنى الجنس، ولا يُراد بها واحد معين من أفراد الجنس كما في العهدية، ولذلك ليس لها معهود بل لها مدخول في ثلاث حالات<sup>2</sup>:

1- استغراق جميع أفراد الجنس، ولها ثلاث علامات:

- أن تعوّض بـ (كل) حقيقةً، نحو قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ النساء: 28، أي كل جنس الإنسان دون استثناء.

- صحة الاستثناء من مدخولها نحو: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ\* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ العصر: 2-3، أي كل جنس الإنسان في خسر باستثناء الذين آمنوا.

- وصفه بالجمع نحو: ﴿مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ النور: 31، فالطفل مفرد لكن اقترانه بـ "أل" الجنسية جعله يوصف بالجمع ويستغرق جميع جنس الأطفال.

2- استغراق جميع خصائص الأفراد، وعلامته أن يخلفها (كل) مجازاً لا حقيقةً، نحو: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ البقرة: 2، أي (الكتاب الكامل في الهداية الجامع لصفات جميع الكتب).

3- تعريف الماهية والحقيقة والجنس، ولا يخلفها (كل) حقيقةً ولا مجازاً نحو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الأنبياء: 30، أي متعلقة بنوع الجنس فلا يجوز قولنا: وجعلنا من كل ماء كل شيء حي. وتحدث "سيبويه" عن استعمال "أل" الجنسية في قوله: «..واعلم أنك لا يجوز أن تقول (قومك نعم صغارهم وكبارهم) إلا أن تقول (قومك نعم الصغار ونعم الكبار) و(قومك نعم

<sup>1</sup> - مصطفی العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 173.

<sup>2</sup> - الرضي الاسترأبادي: شرح كافية ابن حاجب، ج 1، ص 24.



القوم)، وذلك إن أردت أن تجعلهم من جماعات ومن أمم كلهم صالح..، وما أضاف إليه وما أشبهه نحو (غلام الرجل) إذا لم ترد شيئاً بعينه»<sup>1</sup>.

ونلاحظ من هذا القول انتقال حكم المضاف إليه إلى المضاف، فما أضيف إلى ما اتصلت به "أل" الجنسية يكتسب منه الإطلاق لا التعيين، وبالتالي فالإضافة لا تكون ذات دور رابطي إلا إذا كانت "أل" في المضاف إليه قائمة على العهد المقالي الذكري أو الذهني.

والمعرف بـ"أل" الجنسية يدل على الحقيقة بقيد حضورها في الذهن، وهو ما يفرقه عن اسم الجنس النكرة الذي يدل على مطلق الحقيقة مثال: (تراب، لبن...)، لذلك اعتبر بعض النحاة "أل" الجنسية لتعريف العهد أيضاً لأن الأجناس أمور معهودة في الأذهان بالعرف<sup>2</sup>.

ذكرت "أل" الجنسية في المدونة سبع عشرة ومئة مرة، منها: عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: {حُسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا فَكَانَ يَأْمُرُ غُلَمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمَعْسِرِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ تَجَاوَزُوا عَنْهُ}<sup>3</sup>، فجاءت لفظة (المعسر) مقترنة بـ"أل" الجنسية لأنها تفيد استغراق الكلام في خصائص الأفراد المعسرين، وواضح أنها لم تؤدي دور الربط النصي.

### 3- "أل" النائية عن الضمير:

هذا النوع ذكره الكوفيون وتبعهم في ذلك "ابن مالك"<sup>4</sup>، وعده "ابن هشام" رابطاً من روابط الجملة بما هي خبر عنه، لأن العربية قديماً كانت تستخدم "أل" للربط بدلاً من الضمير<sup>5</sup>، وذكرها الدكتور "تمام حسان" بقوله: «وقد يتحقق الربط بـ"أل" التي يعاقبها الضمير وهي الدالة على الجنس المقيّد بمضاف إليه مقدّر أغنت عنه "أل" كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ التازعات: 40-41، أي نهى نفسه عن هواها فإن الجنة مأواه»<sup>6</sup>. فتلاحظ أن مصحوب "أل" النائية عن الضمير لم يسبق له ذكر في النص، فهي

<sup>1</sup> - سبويه: الكتاب، ج2، ص177.

<sup>2</sup> - ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج1، ص51.

<sup>3</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص53.

<sup>4</sup> - المرادي، أبو محمد الحسن بن قاسم (ت749 هـ): الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص198.

<sup>5</sup> - أنظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج2، ص577.

<sup>6</sup> - تمام حسان: الخلاصة النحوية، ص94.

ليست من العهد الذكري وتحتل أن تكون جنسية أو ذات عهد ذهني، غير أن إمكانية تعويضها بالضمير هو ما يجعلها نائبة عن الضمير.

و"أل" النائبة عن الضمير وردت في الأحاديث القدسية (أربع وعشرين مرة)، منها المثال التالي: عن جندب بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: {كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ، فَجَزَعٌ فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ} <sup>1</sup>، موضوع الحديث ، فـ "أل" في (الدم) أغنت عن مضاف إليه مقدر، ولذلك يصح أن يعقبها ضمير أي: (فما رقاً دمه) والضمير المتصل عائد على الرجل الذي حَزَّ يده بالسكين، وبذلك تكون "أل" المقترنة بلفظ (الدم) نائبة عن الضمير ومؤدبة وظيفته في الربط عن طريق الإحالة الداخلية القبلية أو إلى سابق، فيتحقق الاتساق الدلالي للنص وهو الترهيب من الانتحار.

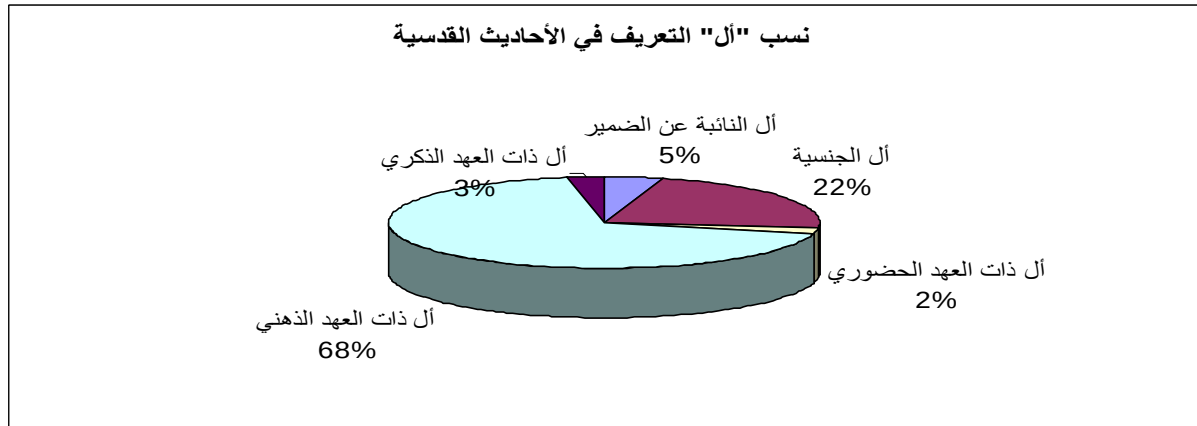
إن "أل" التعريف أساسية في التمييز بين التعريف والتنكير، ولقد رأينا أنها تتعلق بعملية ذهنية عرفانية للمخاطب دور أساسي فيها، فلكل "أل" تعريف مصحوب يكون إما معهودا في اللام العهدية وإما مدخولا في اللام الجنسية، والمعهود إما ذكري أو ذهني أو حضوري والمدخول إما استغراق الأفراد وإما استغراق خصائص الأفراد وإما الماهية والحقيقة والجنس.

والعلماء لم يقفوا عند حدود الحديث عن وظيفة "أل" في نقلها الاسم من النكرة إلى المعرفة، بل تجاوزوا ذلك إلى النظر على أنها أداة رابطة ربطاً يشبه ربط الإحالة بالضمير من حيث إنها تشير إلى شيء سبق ذكره، على أنهم قصروا وظيفتها الرابطة على "أل" العهدية عهداً ذكرياً أو ذهنيّاً و"أل" النائبة عن الضمير، أما الجنسية وذات العهد الحضوري فليستا كذلك، على خلاف ما يراه الباحث "محمد الشاوش" بأن "أل" التعريف المؤدية للربط النصي هي ذات العهد الذكري فقط، أما "أل" ذات العهد الحضوري أو الذهني و"أل" الجنسية فهي أدوات تؤدي دور التعريف فقط، والتعريف مظهر من مظاهر الربط النصي وليس مؤسساً له <sup>2</sup>.

وتم استعمال "أل" التعريف بمختلف أنواعها في المدونة خمس مئة وثلاثون (530) مرة، وفيما يلي دائرة نسبية توضح تركيز الأحاديث القدسية على استعمال "أل" ذات العهد الذهني لتحقيقها التماسك النصي أكثر من بقية الأنواع ولأن الخطاب في أساسه هو عملية ذهنية:

<sup>1</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 198.

<sup>2</sup> - أنظر: محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج 2، ص 595.



### ثالثاً - الموصولات الاسمية:

الموصولات نوعان اسمية وحرفية، فالموصول الاسمي هو ما افتقر إلى الوصل بجملته خبرية معهودة أو بظرف أو جار ومجرور تامين بوصف صريح وإلى عائد، وأما الموصول الحرفي فهو ما أوّل مع صلتته بالمصدر، ولم يحتج إلى عائد<sup>1</sup>، وما يهمنا هنا هو الموصول الاسمي لما له من أهمية بالغة في اتساق النص، فهو يقوم بوظيفتين أساسيتين في النص هما الربط والإحالة.

الموصول الاسمي هو «اسمٌ غامضٌ مُبهمٌ يحتاج دائماً لتعيين مدلوله وإيضاح المراد منه إلى أحد شيئين إما جملة أو شبهها»<sup>2</sup>، وجملة الصلة هي تركيب لغوي يأتي بعد اسم موصول ولا يتم معناه إلا بها، وهذا دليل على الترابط الموجود بينه وبين صلتته، والصلة لا يجوز أن تتقدم على الموصول لأنها كبعضه، ولا بد أن يكون في صلة الأسماء الموصولة ما يرجع إليها<sup>3</sup>، حيث يشترط فيها أن تشمل على ضمير يعود على اسم الموصول ويطابقه، وهذا الضمير يسمى العائد أو الرابط<sup>4</sup>.

والموصولات الاسمية بدورها نوعان: مختصة تدل على نوع معين مثل: الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي، ومشتركة تصلح لجميع الأنواع لا تتغير صيغها مثل: من، ما، أي.

العملية الإحصائية التي أجريناها على الأحاديث القدسية بينت وجود مئة وثمانية وسبعين (178) مثالاً للأسماء الموصولة، بحيث تركز على الموصولات المشتركة بعدد مئة وثلاثة وأربعين، ضُمَّت: ما (ثلاث وسبعين مرة)، مَنْ (ست وستين مرة)، أي (أربع مرات)، وأقلها الموصولات المختصة بعدد خمسة وثلاثون فقط تنوعت بين: الذي (عشرين مرة)، الذين (عشر مرات)، التي (خمس مرات).

<sup>1</sup> - أنظر الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو، ص 118-120.

<sup>2</sup> - عباس حسن: النحو الوافي، ج 1، ص 341.

<sup>3</sup> - ابن السراج: الأصول في النحو، ج 2، ص 223.

<sup>4</sup> - عباس حسن: النحو الوافي، ج 1، ص 376.

وفي هذا المثال نوضح الفائدة النصية التي أضفتها الموصولات الاسمية: عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: {أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَا نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُفَاءَ كُلِّهِمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لَأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُوهُ نَائِمًا وَيَقْظَانِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ رَبِّ إِذَا يَثْلَعُوا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ، وَاعْزِزْهُمْ نُعْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنْتَفِقُ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةَ مِثْلِهِ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَّصِدٌّ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زُبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَائِنًا، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ، وَالشَّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ<sup>1</sup>.

توفر في هذا النص أربعة أنواع من الأسماء الموصولة هي: مَنْ، ما، الذي، الذين، ووضع المخاطب في البداية اسم الموصول المشترك "مَنْ" مرتين لمناسبة اشتراكه وشموله كل العباد سواء الطائعين أو العاصين، ووضع "ما" مرتين ليعوض بها عن أشياء معنوية هي الجهل والعلم، واختار وضع الاسم المختص المبهم "الذي" و"الذين" لأهل النار دون أهل الجنة لمناسبة اختصاصهم بأكثر الأصناف عددًا (خمس مقابل ثلاثة) وخطورة مقعدهم، وإيهام وغموض أفعالهم وعدم منطقيتها فهذا الضعيف ليس له عقل يزبره ويمنعه مما لا ينبغي وهو يتبع القوم ولا يريد لنفسه الأهل والمال، (الذي لا زُبر له)، (الذين هم فيكم تبعاً)، (الذي لا يخفى له طمع)، المختص وبهذا الاختيار وُجد الاتساق الدلالي في النص.

وفي بيان أحد أصناف أهل النار وهو الضعيف اعتمد المتكلم على وصفه بجملتين الأولى تتكون من الموصول "الذي" والصلة (لا زبر له)، الثانية تتكون من الموصول "الذين" والصلة (هم فيكم تبعاً)، ونلاحظ أن المتكلم خالف الوزن الصرفي لاسم الموصول من المفرد إلى الجماعة رغم

<sup>1</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 93-94.

عودتهما على مفرد واحد هو (الضعيف) معتمداً في ذلك على الاتساق الدلالي الذي يحس به المخاطب في النص فيجعله قادراً على فهم المعنى رغم المخالفة الصرفية، كما أنه باستعماله الموصول الجمع (الذي) قد اختصر كلاماً آخر يؤول بـ (الذي ومن مثله هم فيكم تبعاً).

نلاحظ أن الاتساق في نص هذا الحديث قام على ثلاثة علاقات ارتباط محورها الاسم الموصول: الأولى: أن كل موصول في النص ارتبط وتمسك لذاته بجملة الصلة حتى توضح المقصود منه لأنه اسم غامض، وقد بينت الصلات السابقة إبهام موصولاتها (ما، الذي، الذين)، فعلاقة الصلة بالموصول علاقة ترابطية هامة.

الثانية: أن كل موصول في النص قام بربط جملة الصلة اللاحقة له بالجملة التي قبله، فالموصول (الذي) عائدٌ على (الخائن) وربطه بالصلة (لا يخفى له طمع)، وقبله عاد الموصول (الذين) على (الضعيف) وربطه بالصلة (لا زير له)، والموصول (الذين) عائدٌ أيضاً على (الضعيف) في معنى الجماعة وربطه بالصلة (هم فيكم تبعاً)، والموصول (ما) عائدٌ على جملة (أمرني أن أعلمكم) وربطها بالصلة (جهلتكم، علمني)، ولولا الموصول الاسمي لما حصل الربط بين أجزاء الكلام، وإذا أردنا معرفة أن قيمته الربطية نقوم بحذفه من التركيب الذي ورد فيه؛ لنرى كيف يفقد هذا التركيب أهم مواصفات صحته وجماله اللغوي، ويفقد كامل النص اتساقه.

يعتبر "الجرجاني" أن اسم الموصول "الذي" أُجْتَلِبَ ليكون وُصْلَةً إلى وصف المعارف بالجملة<sup>1</sup>، أي أن هذا الموصول الاسمي يصل بين المعارف والجملة الواصفة لها، وهو بذلك يؤدي وظيفة الربط بين العناصر اللغوية من خلال الوصل بين ما قبله بما بعده، ولعل سبب ذلك هو مشابهته الضمير حسب رأي الدكتور "تمام حسان" حين قال: «..ونحن نعلم أن الموصول يدلّ على مطلق غائب، ومن ثمّ يُشبه ضمير الغائب في مجال الشّبه المعنوي، ولا يكون له معنى إلاّ مع ذكر موصوفه أو تقديره في ضوء المقام، وبهذا الذّكر أو التقدير يربط الموصول بين موصوفه وجملة الصلة وذلك بأصل وظيفته»<sup>2</sup>.

الثالثة: أن الضمير الذي اشتملت عليه جملة الصلة عائد على اسم الموصول ورابط بينهما، فلولا هذا الضمير لوجدنا تنافراً بين العناصر اللغوية، واشتملت الصلة الأولى على ضمير متصل دال على المفرد (الهاء في له) يعود على الموصول (الذي)، والصلة الثانية على ضمير منفصل دال على الجماعة

<sup>1</sup> - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 199.

<sup>2</sup> - تمام حسان: الخلاصة النحوية، ص 93.

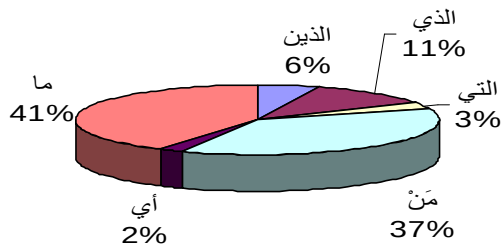
(هم) يعود على الموصول (الذين)، والجملتان الفعليتان (جهلتم) و(علمني) هي صلات للاسم الموصول المشترك (ما)، والرابط فيهما هو الضمير المحذوف الهاء وأصل الكلام: ما جهلتموه، وما علمنيه، وقام هذا الرابط بشد الثاني بالأول ومد أواصر القرابة والتلاحم بين الاسم الموصول والصلة ولو أننا قدرنا عدم اقتران هذه الصلات بالضمير الرابط لكان التفكك والانكسار بين أجزاء العناصر اللغوية، إن الضمائر التي تربط الصلة بالموصول هي من الأهمية بمكان في تماسك النسق اللغوي.

والاتساق في نص الحديث يتحقق أيضاً عن طريق الإحالة التي محورها الاسم الموصول، فهو يأتي محيلاً ومحالاً إليه في الوقت ذاته، فالعناصر المحيلة هي الضمائر الرابطة التي تحدثنا عنها، والعناصر المرجعية المحال إليها هي الموصولات (ما، الذي، الذين)، وهي إحالات داخلية قبلية قريبة المدى بحكم تواجد المرجع داخل النص من جهة، ولأن العنصر المحيل والمرجع الذي عاد عليه يتواجدان في تركيب لغوي واحد من جهة أخرى.

كما يحيل الموصول بدوره على ما قبله من الكلام، فقد جاء الاسم الموصول "الذي" ليحل مكان الاسم المعرف المذكور في الجملة التي قبله (الضعيف) أو (الخائن) فصار شبيهاً بالضمير إذ يحل مكان الاسم الظاهر، أي أن الموصول يظهر بديلاً لاستعمال الضمير، وهو ما عبر عنه البلاغيون بقولهم الإظهار في موطن الإضمار، وعودة الموصول الاسمي على متقدم هو إحالة قبلية أو إحالة على سابق، ويسمى الموصول هنا عنصراً محيلاً ويسمى العائد عليه محالاً إليه، والاسم الموصول (ما) في نص الحديث يُحيل إلى متقدم (أعلمكم) ويُحيل إليه الضمير المحذوف في جملة الصلة، فيصير مُحالاً إليه.

ومن خلال هذا كله يمكن أن نقول: إن الاسم الموصول من الأدوات والمكونات اللغوية التي تشد من أزر التلاحم وتشكل قوام الاتساق النص في الأحاديث القدسية وقد اعتمدت بشكل أساسي على الأسماء الموصولة المشتركة (ما، مَنْ) أكثر من المختصة (الذي، الذين، التي) لعموم المخاطبين وشمولهم عبر الأزمة والأمكنة، وهو ما يبينه البيان النسبي التالي:

نسب الأسماء الموصولة في الأحاديث القدسية



#### رابعاً - أسماء الإشارة:

اسم الإشارة لفظ مبهم يستعمله المتكلم للدلالة على الشخص المتحدث عنه أو المشار إليه، وهو لا يدل على شيء معيّن مفصّل مستقل إلاّ بأمر خارج عن لفظه، ولذلك يكثر بعده مجيء النعت أو البدل أو عطف البيان<sup>1</sup>.

اسم الإشارة مثل باقي الروابط يحقق الوصل، حيث يرى "ابن يعيش" أن «اسم الإشارة وصلة إلى نقل الاسم من تعريف العهد إلى تعريف الحضور والإشارة... ويجوز أن يتوصل — "هذا" إلى نداء ما فيه الألف واللام فتقول: يا هذا الرجل كما تقول: يا أيها الرجل»<sup>2</sup>، كما ذكر ابن هشام أن اللغة العربية تستعمل اسم الإشارة كوسيلة لربط الجملة بما هي خبر عنه<sup>3</sup>.

تفيد الإشارة أكمل تمييز وتعيين إذ لا يبقى اشتباه أصلاً بعدها فهي بمنزلة وضع اليد ويظهر القصد بها على مستوى العقل والحس معاً، بخلاف العلم والمضمر فإن المقصد بهما يمتاز عند العقل وحده<sup>4</sup>، وهي تدل على معنى في ذاتها عكس الحروف التي تدل على معنى في غيرها، وهذه الميزة تخلصها من حد الحرف.

ومن أسماء الإشارة: هذا، هذان، هذه، هاتان، هؤلاء، ذلك، ذاك، تانك، تلك، تيك<sup>5</sup>، وكلها فارغة غير مشحونة بالمعنى المقصود بها، ولها دلالة وضعية فقط، مثل الدلالة على الشخص في الخطاب تكليماً ومخاطبة وغيبة وعلى الجنس والعدد والحل الإعرابي رفعا ونصبا وجرا، وكون أسماء الإشارة من المبهمات من حيث الوضع فلا بد لها من معين حتى تعد من المعارف، أي أن استعمالها يقتضي أن يتوفر معها ما يرفع عنها ذلك الإبهام ويجعلها قادرة على الإحالة على الخارج.

<sup>1</sup> - عباس حسن: النحو الوافي، ج1، ص310.

<sup>2</sup> - ابن يعيش: شرح المفصل، ج2، ص78.

<sup>3</sup> - أنظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج2، ص178.

<sup>4</sup> - الزمخشري: الكشاف، ج2، ص719.

<sup>5</sup> - أنظر: سبويه: الكتاب، ج2، ص77-78.

وإذا كانت الأسماء ملازمة لمسمياتها وتحيل إليها لأنها غير مبهة، فإن أسماء الإشارة ليست ملازمة لمسمياتها لأنك تشير بها إلى ما هو بحضرتك، وقد يوجد بحضرتك أكثر من شيء فتخصص بالصفة للتقليل من الاشتراك، كما أنها لا تحيل على مسمى لكون دلالتها مبهمة وإنما تحيل على مشار إليه، والمشار إليه يقوم على العموم أما المسمى فيقوم على الخصوص، لذلك لا تتحقق الإشارة إلا متى توفر ما يُعَيِّن المشار إليه<sup>1</sup>، ولهذا فهي تدل وضعاً على الإشارة واستعمالاً على انتقاء شيء ما قد يخصص بالصفة، لحصول المعنى وتحقيق الإحالة على الخارج.

وردت أسماء الإشارة في الأحاديث القدسية مئة واثنى عشرة (112) مرة، وهي قليلة بالنظر إلى باقي الروابط الأخرى الموجودة في المدونة، واعتمدت على ثلاث إشارات: هذا (34 مرة)، ذلك (33 مرة)، هذه (24 مرة)، ثم بشكل أقل الإشارات: هؤلاء (12 مرة)، تلك (05 مرات)، أولئك (03 مرات)، هذان (مرة واحدة)، وانعدم فيها استعمال بقية الإشارات.

مثال: عن يسر بن حجاج القرشي قال: برك النبي ﷺ في كفه، ثم وضع إصبعه السبابة وقال: {يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنِّي تُعْجِرُنِي ابْنَ آدَمَ؟ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ فَإِذَا بَلَغْتَ نَفْسُكَ هَذِهِ (وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ) قُلْتُ: أَتَصَدَّقُ، وَأَتَى أَوَّانُ الصَّدَقَةِ؟}<sup>2</sup>، نلاحظ أن أركان الإشارة تتناسب وتتناسق مع أركان التخاطب في الحديث على النحو التالي:

- مشير = المتكلم = الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه الكريم
- مشار له = المخاطب = ابن آدم
- مشار إليه = الشيء في الخارج = البزقة، الحلق
- مشار به = أداة الإشارة = هذه.

في هذا الحديث إحالة خارجية من اسم الإشارة "هذه" الذي تكرر مرتين، في الأولى أحالت إلى شكل البزقة في كف الرسول ﷺ وهي إشارة بدنية أخرى موجودة خارج النص لتنبية الإنسان إلى حقيقة خلقه ومدى ضعفه أمام قوة الخالق، وفي الثانية أحالت إلى مستوى الحلق، وهي إشارة بدنية ثانية خارج النص لبيان بلوغ نهاية أجل الإنسان بخروج روحه من حلقه ولم يفعل صالحاً بعد، بعد أن غرته قوته وجهل أنه ضعيف ضعف نشأته الأولى، ونسي قوة خالقه الذي خلقه من نطفة ثم أنشأه خلقاً آخر، وأغدق عليه نعمه فلم يشكره عليها أو يتصدق منها، فراجع الإبهام في إشارة النص جاء

<sup>1</sup> - محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج2، ص1065.

<sup>2</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص153.



من العهد المقامي الحضوري، وتلاحظ ذلك التلاحم والانسجام بين الإشارات اللفظية باسم الإشارة "هذه" والإشارات البدنية بيد الرسول ﷺ، والذي يصور المخاطب وكأنه يتحدث أمامك فتفاعل مع خطابه إلى درجة التأثير والاقتناع، وهو ما يثبت نجاح النص على المستوى اللساني.

مثال آخر: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: {لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمَدَ اللَّهُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ رَبُّكَ يَا آدَمُ، إِذْهَبْ إِلَى أَوْلَيْكَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى مَلَأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٌ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْتُ أَيُّهُمَا شِئْتَ فَقَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيَّ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ ثُمَّ بَسَطَهَا فِإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَا هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فِإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمُرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فِإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَوْهُمْ -أَوْ مِنْ أَضْوَائِهِمْ- لَمْ يُكْتَبْ لَهُ إِلَّا أَرْبَعُونَ سَنَةً، قَالَ: يَا رَبِّ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدَ وَقَدْ كَتَبْتُ لَهُ عُمُرَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ زِدْهُ فِي عُمُرِهِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي كَتَبْتُ لَهُ، قَالَ: فَإِنِّي جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمُرِي سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، اسْكُنِ الْجَنَّةَ فَسَكَنَ الْجَنَّةَ مَا شَاءَ ثُمَّ هَبَطَ مِنْهَا وَكَانَ آدَمُ يَعِدُّ لِنَفْسِهِ، فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجَلْتُ، قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ لَابْنِكَ دَاوُدَ مِنْهَا سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، فَمِنْ يَوْمَئِذٍ أُمِرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ<sup>1</sup>، وردت في هذا النص ثماني أسماء إشارة: أولئك، هذه، هؤلاء (مرتين)، هذا (مرتين)، ذاك (مرتين).

يعود اسم الإشارة الأول "أولئك" على البدل (الملائكة) الواردة بعده مباشرة فهو يحيل إليها إحالة بعدية قريبة، وإذا كنت تقول في الجمع الحاضر "هؤلاء" فإنك تقول في المتراخي "أولئك" لأن الكاف إنما تلحق للمخاطبة على ما كان للحاضر فتكون فصلاً بينهما<sup>2</sup>، لأن اسم الإشارة في الأصل مشار به إلى الشيء، فهو في أصل الوضع لغير المخاطب لهذا يؤتى فيه بحروف الخطاب، لتحقيق تفاعل المخاطب مع النص وانسجامه معه.

واللفظ الثاني "هذه" يعود على عبارتي السلام: (السلام عليكم) وردها (وعليك السلام ورحمة الله)، حيث وُظِّفَت الإشارة "هذه" لربط هاتين العبارتين بالكلام اللاحق الذي يبين أنهما

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 164-165.

<sup>2</sup> - المبرد: المقتضب، ج 4، ص 277-278.

تحية آدم عليه السلام وذريته، فهي إحالة داخلية قبلية قريبة، تجعل نسق ومعنى الحديث في تواصل، وأجزاء الكلام في ترابط وتضام.

أما اسم الإشارة الثالث "هؤلاء" فيحيل في البداية إحالة خارجية إلى مرجع خارج النص هو جماعة من البشر رآها آدم في الجنة فسأل يريد كنهها، ثم يحيل إحالة داخلية بعدية قريبة لأنه لا يوجد فاصل بين المشار به والمرجع وهو ذرية آدم المذكورة بعده مباشرة في النص، فتحول رافع الإبهام من العهد المقامي إلى العهد المقالي، رغم أن الباحث محمد الشاوش يرى أن الربط النصي باسم الإشارة يكون متى كان المشار إليه أو رافع الإبهام عنه مقالياً نصياً وليس مقامياً<sup>1</sup>.

وهو الشيء نفسه بالنسبة إلى اسم الإشارة الرابع "هذا" الذي يحيل بعدياً إلى ابنه داود عليه السلام القريب منه بحكم نوره البارز من بين الجمع، فما كان يبدو يدنو منك من المذكر فإنك تقول فيه "هذا"، وما كان متراحياً عنك من المذكر فهو "ذاك"، ونلاحظ أن لألفاظ الإشارة حظ في جواز استعمالها قبل توفر المشار إليه عندما تحيل إحالة بعدية إلى المفسر ويتأخر رافع الإبهام في الذكر، مع التنبيه إلى أن الإحالة باسم الإشارة تخضع إلى قيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه<sup>2</sup>.

أما اسم الإشارة الخامس "ذاك"، فأصله "ذلك" وحذفت منه لام البعد، وقد عاد إلى كلام سابق: في المرة الأولى إلى ما كتبه الله تعالى من عمر داود، وفي المرة الثانية إلى ما تنازل عنه آدم من عمره لفائدة عمر داود، مع إمكانية عودته إلى متواليات جمالية أكثر في إطار الإحالة الموسعة بهدف الاقتصاد اللغوي والاتساق النصي<sup>3</sup>.

غير أن ربطه بالكلام اللاحق امتد إلى أبعد مدى في النص وهو مشهد قبض روح آدم، واختلافه مع ملك الموت حول أجله بعد أن نسي ما تنازل عنه من عمره لابنه داود، وهنا يتجلى دور الربط النصي لاسم الإشارة الذي يتعدى حدود الجملة الواحدة، مما يجعل النص متواصلاً مترابطاً الأوصال، ولولا تلك الروابط الإشارية لبدا الكلام غير ذي معنى، ولاعتراه التفكك الذي لا يقبله التواصل والانسجام، وتضافر هذه الإشارات جميعاً تصنع الاتساق النصي الذي يُعَدُّ من أهم المعايير التي تحقق للنص نصيته.

<sup>1</sup> - أنظر: محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج2، ص595.

<sup>2</sup> - محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص17.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص19.

واسم الإشارة يشبه كثيراً الضمير، لذلك يمكن أن يعوضه أحياناً في عملية الربط في النص، حيث يرى د. تمام حسان أن «الإشارة تستعمل في الربط في مواقع صالحة للربط بضمير الغيبة عند إرادة الفصل به»<sup>1</sup>، وإذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخص في التواصل أو غياباً عنه فإن أسماء الإشارة تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهي مثلها تماماً لا تفهم إلا إذا ربطت بما تشير إليه<sup>2</sup>، وألفاظ الإشارة كألفاظ الإضمار من المبهمات وضعاً ومن المعارف استعمالاً، فهي تتوفر على الإبهام والتعريف في آن واحد، وهو أمر يبدو من قبيل الجمع بين الضدين المتناقضين، غير أن هذا الجمع لا يكون إلا متى اعتبرت أسماء الإشارة مفردة قبل التركيب، فإذا تركبت وجزت في الاستعمال فإن التضاد يزول بالضرورة، لأن الإبهام الذي فيها وضعاً يرفعه الاستعمال تحقّقاً.

مثال: عن زيد بن خالد الجهني -رضي الله عنه- أن الرسول ﷺ قال: {هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ}<sup>3</sup>. حيث يجوز أن يتحقّق المعنى نفسه لو كان الضمير المنفصل "هو" في مكان الإشارة "ذلك"، فيصبح التركيب الأول: فهو مؤمن بي وكافر بالكوكب، والتركيب الثاني: فهو كافر بي ومؤمن بالكوكب، وواضح هنا أن اسم الإشارة يجري مجرى الضمير في الربط<sup>4</sup>، فاسم الإشارة "ذلك" مثلاً في التركيب الأول: ربط جملة الشرط (مَنْ قَالَ: مطرنا بفضل الله ورحمته) بجملة جواب الشرط (مؤمن بي وكافر بالكوكب)، وهو الدور نفسه الذي يقوم به ضمير الفصل في الربط بينهما دون تغيير في المعنى، ولعل هذا ما جعل بعض المحدثين يسمون اسم الإشارة بضمير الإشارة. كما كان لها دور الإحالة في النص، حيث كان مفسر اسم الإشارة في الجملة الثانية معنى الشرط الحاصل من الجملة الأولى، وجاءت الإشارة إلى شيء موجود أو حاصل في الذهن قبل التلطف بالمشار به، لأن المشار إليه ورد في الكلام السابق لاسم الإشارة، واستعملت صيغة الإشارة للبعد "ذلك" كون المحكي عنه غائباً متقدماً في الذكر، رغم إمكانية استعمال الإشارة بالقرب لهذا

<sup>1</sup> - تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج 2، ص 18.

<sup>2</sup> - الأزهر زناد: نسيج النص، ص 117.

<sup>3</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 22.

<sup>4</sup> - مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 200.

الغائب إذا جرى ذكره عن قريب كأنه حاضر<sup>1</sup>، فاسم الإشارة "ذلك" مبدل منه ومحيل، والبديل الذي يُشير إليه هو كل من اللفظين (مؤمن وكافر) المتأخرين عنه والمحال إليهما، والعود على متأخر هو إحالة بعدية أو إحالة إلى لاحق تساهم في اتساق النص.

فالبديل أو عطف البيان الوارد بعد الإشارة يحدث في المشار إليه ما يحدثه التخصيص في الاسم بالتقليل من شيوعه واشتراكه، ولا يحدث فيه التعيين والتفسير ولا يرفع عنه الإبهام الذي فيه فيظل المشار إليه غير معين، إلا بتوفر رافع الإبهام عنه الذي يكون من العهد الحضورى المقامى أو العهد المقالي القائم على التقدم في الذكر، كما في قولك (ذلك الرجل مؤمن)، فالبديل الوارد بعد الإشارة معرفة مما يصنف في العهد الحضورى لا الذكري.

وأرجع النحاة روافع الإبهام عن أسماء الإشارة إلى نوعين: حضورية مقامية (في الإشارة الحسية)، وذكرية مقالية عند العهد القائم على التقدم في الذكر، وغلبوا النوع الأول من روافع الإبهام، فقد أشار "الاسترباذى" إلى غلبة القرينة المقامية على القرينة المقالية النصية لرفع الإبهام عن اسم الإشارة<sup>2</sup>، ونرجح سبب ذلك إلى طبيعة المادة اللغوية التي باشرها وهي مادة تتميز بغلبة الخطاب الشفوي على النصوص المكتوبة المطولة، وهو أمر يؤكد استقراؤنا له في الأحاديث القدسية، فقد وجدنا غلبة الإشارة الحسية على الإشارة الذهنية، لأن الخطاب المنظور فيه هو خطاب شفوي مباشر للقرينة المقامية.

حين توضع الإشارة في الاستعمال فإنها تحدث أثراً حسيّاً وتحقق التعريف بأن تخصص للمخاطب شيئاً يعرفه بالعين أو بالقلب، فالإشارة إذن عملية موجهة للمخاطب بالأساس لا للمشار إليه، وهذه التقنية تجعل الإشارة عملاً لغوياً يحدثه المتكلم (المشير) للمخاطب (المشار له)، على أن هذا العمل «ليس من قبيل الأعمال الأساسية الأصلية التي تطفو على سطح الجملة، كالإخبار والاستخبار والطلب وغيرها، إنما هو من قبيل الأعمال غير الأولية التي يبنى عليها المتكلم كلامه كالتسمية والابتداء والتشبيه والنفي والإثبات»<sup>3</sup>.

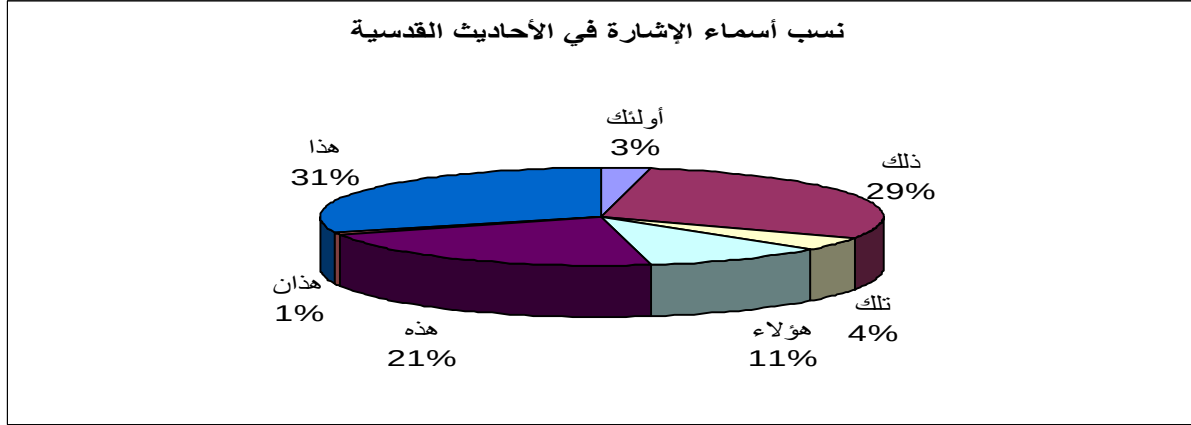
وبالتالي فإن الإشارة لا تحقق المعنى الأصلي المقصود من الجملة، وإنما تحقق المعنى الأساسى للنص ككل وتوحد العمل اللغوي الذي يشمل تلك الجملة، ليصير كتلة متماسكة منسجمة،

<sup>1</sup> - الرضى الاسترباذى: شرح كافية ابن حاجب، ج2، ص478.

<sup>2</sup> - المصدر السابق، ج1، ص40.

<sup>3</sup> - محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، المجلد2، ص1064.

وغالباً ما كان المشار إليه في الأحاديث القدسية هو المذكر المفرد سواءً للقريب (هذا) أو للبعيد (ذلك) وكثيراً ما يقصد بمعناه المذكر الجماعة الذي يشمل الجنسين لشمول جميع المخاطبين ذكوراً وإناثاً، واعتمد الأفراد لتحقيق التخصيص وتوحيد فكر واهتمام المتلقي، كما يشير هذا البيان:



#### خلاصة:

نخلص في نهاية هذا الفصل إلى أن الروابط الإحالية هي الأدوات التي تحيل إلى مرجع موجود في النص أو خارجه، وأهمها في الأحاديث القدسية هي: "أل" التعريف وهي الأكثر تردداً في النص بحوالي (530) مرة، فهي تحقق الترابط النصي من خلال اتفاق الإحالة بين الاسم المعرف وعنصر آخر متقدم عليه أو متأخر، فهي أداة رابطة تشبه الضمير من حيث إنها تشير إلى شيء سبق ذكره، غير أن وظيفتها الرباطية تقتصر على "أل" العهدية عهداً ذكرياً أو ذهنياً و"أل" النائبة عن الضمير، أما الجنسية وذات العهد الحضوري فليستا كذلك، وتساهم "أل" العهدية عموماً في إثارة آلية من آليات الانسجام وهو مبدأ التأويل المحلي الذي يبعد المتلقي عن كل تأويل لا ينسجم مع السياق النصي، خصوصاً "أل" العهد الذهني التي انفردت بنسبة كبيرة من تردها في النص (68 %)، فهي تمهيئ الوسط النصي للمتلقي من أجل استحضار "المعرفة الخلفية للعالم" التي تساعد على التأويل الصحيح للنص والانسجام معه.

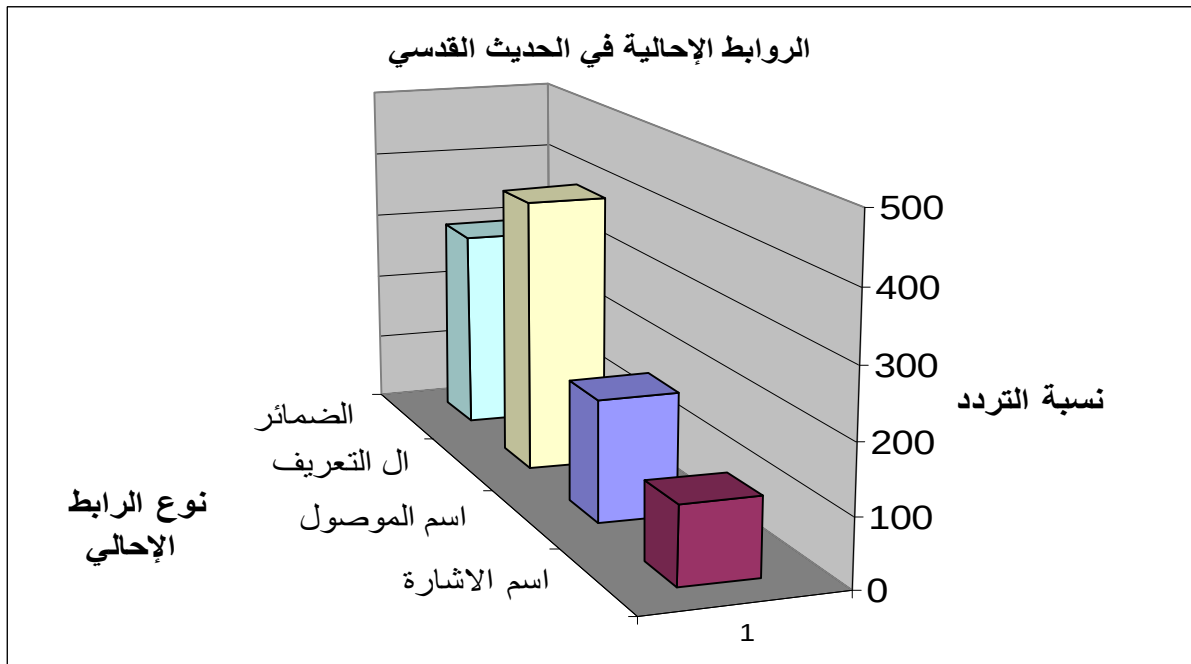
ثم تليها الضمائر بما يساوي (296) مرة لأنها تُستخدم عوضاً عن الأسماء والصفات التي لا لزوم لتكرارها، فالربط بالضمير بديل لإعادة الذكر في الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار، وهو بهذا يمنع تجدد الدلالة في الخارج ويحقق أمن اللبس، ومن الضمائر ما يحيل إلى داخل النص كضمائر الغائب، ومنها ما يحيل إلى خارج النص كضمائر المتكلم والمخاطب، ومنها ما يحيل إحالة قبلية ومنها ما يحيل إحالة بعدية (كضمير الشأن والقصة)، وقد تكون الإحالة قريبة من المحال إليه أو بعيدة عنه حيث تساهم الإحالة البعيدة التي قد يكون فيها المحيل في آخر النص والمحال إليه في أول النص إلى العودة إلى بؤرة

النص وإبراز محور الخطاب وغرضه، وهو ما يسمى بمبدأ التغريض الذي هو آلية من آليات الانسجام النصي.

ثم تليها الأسماء الموصولة (178) مرة، حيث تحيل بدورها إلى ما قبلها من الكلام، فتظهر بديلاً لاستعمال الضمير، ثم أسماء الإشارة (112) مرة، التي كثيراً ما تحيل إحالات خارجية في الحديث القدسي عندما تكون المراجع الأصلية المحال إليها موجودة خارج الحوار، وهي تحدث أثراً حسياً في المخاطب فيتعرف على المشار إليه.

والروابط الإحالية وحدها في النص غير كافية لتحقيق الاتساق، وإنما يشترط فيها مبدأ المطابقة بين الحيل والمحال إليه لجلاء المعنى، كما يشترط التعاضد بين جميع الروابط الشكلية لتحقيق اتساق النص، ثم المساعدة على فاعلية العلاقات المعنوية بين العناصر اللغوية لتحقيق انسجام النص، كما يشترط في المخاطب أن يقوم بدور محوري يتمثل في استغلال المقام وسابق معرفته بالعالم وبالشئ المضمّر وهي من آليات الانسجام.

وقد مثلنا جميع الروابط الإحالية المدروسة في الأحاديث القدسية وفق الأعمدة التكرارية التالية، والتي يتضح فيها أن اتساق وانسجام نصوص الأحاديث القدسية قام على الإحالة التي تحققها بشكل أساسي "أل" التعريف ثم الضمائر، وهو ما يشير إلى تأكيد رأي العلامة "ابن هشام الأنصاري" من أن العربية قديماً كانت تستعمل "أل" التعريف للربط بدلاً عن الضمير.



# الفصل الرابع:

دور الروابط غير الإحالية في اتساق وانسجام الحديث القدسي

أولا - أدوات الشرط

ثانيا - أدوات الاستفهام

ثالثا - أدوات النفي

رابعا - أدوات النداء

خامسا - أدوات القسم

سادسا - أدوات العطف

## تمهيد:

الروابط الإحالية هي جميع أدوات الربط التي ليس من شأنها إحالة عنصر لغوي إلى عناصر لغوية داخل النص أو غير لغوية خارج النص، وبالتالي فإننا لا نعود في التحليل إلى قضية اتساق النص بسبب الإحالة، وإنما إلى اتساقه وانسجامه وفق آثار وعلاقات أخرى تحدثها الروابط غير الإحالية والتي تتمثل في بقية الأدوات النحوية والبلاغية مثل: أدوات الشرط، أدوات القسم، أدوات النفي، أدوات الاستثناء، أدوات النداء، أدوات الاستفهام، أدوات العطف، أدوات الجر،.. الخ، غير أن المجال لا يتسع لذكرها جميعاً لذا سنتقصر على تناول ما ظهر منها بشكل واضح في نصوص الحديث القدسي وكان لها دوراً قوياً وفاعلاً في اتساق وانسجام هذه النصوص.

## أولاً - أدوات الشرط:

أدوات الشرط نوعان<sup>1</sup>: الجازمة وهي: إن، مَنْ، ما، إذما، متى، أين، أي، وغير الجازمة وهي: إذا، لو، لوما، لولا، لما، وقد يرد فعل الشرط وجوابه مثبتين وقد يرد جواب الشرط مقترناً باللام الموطئة أو بالفاء أو مؤكداً بـ "قد".

فقد يستعان باللام قبل جواب الشرط فتكون اللام رابطة بين السابق واللاحق، مثال: لو شاء الله لقضى على اليهود، نجد أن اللام المتصلة بالفعل (قضى) إنما جاءت لتبين أن ما بعدها يرتبط بما قبلها ارتباطاً متيناً، ومع إمكانية أن يرتبط فعل الشرط بجواب الشرط دون وجود اللام، إلا أن وجودها يصور قوة هذا الترابط، ومتانة الاتساق للتركيب اللغوي.

كما تكون الفاء حرف ربط في جملة جواب الشرط، وهي الفاء الجاثمة قبل الجواب والدالة على بدايته لمن كان يسمع المتكلم<sup>2</sup>، ومن ذلك قولك: إن تجتهد فأنت ناجح، فالفاء قبل (ناجح) رابطة لجواب الشرط، فبين جزئي الشرط ترابط أحدثه الشرط أولاً ثم أحدثه وجود (الفاء)، ووجودها يدل على اجتماع التركيب اللغوي واتساقه، ويسمى "سبويه" الشرط بالجزاء ويفرق بين ثلاثة أنواع من أدوات الأسماء والظروف وغيرهما: «فما يجازى به من الأسماء غير الظروف: مَنْ، وما، وأيّهم، وما يجازى به من الظروف: أيُّ حين، ومتى، وأين، وأئني، وحيثما، ومن غيرهما: إن، وإذما»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ابن هشام الأنصاري، عبد الله جمال الدين بن يوسف (708-761 هـ): شرح جمل الزجاجي، تحقيق علي محسن عيسى مال الله، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص292.

<sup>2</sup> - شرف الدين علي الراجحي: الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم، ص66.

<sup>3</sup> - سيبويه: الكتاب، ج3، ص56.



كما يبين إمكانية الربط أو التعليق بحذف أداة الشرط حين يقول: «وتقول أئتني آتك، فتجزم على ما وصفنا، وإن شئت رفعت على أن لا تجعله معلقاً بالأول»<sup>1</sup>.

وتربط أدوات الشرط بين جملتين: جملة فعل الشرط وجملة جواب الشرط، وقد تسمى الأولى جزءاً والثانية خبراً<sup>2</sup>، حيث تتحد الجملتان لتشكلا وحدة نصية ذات معنى، وهو ما أكدته "الجرجاني" حين يقول: «..ووازن هذا أن الشرط والجزاء جملتان، ولكننا نقول إن حكمهما حكم جملة واحدة من حيث دخل في الكلام معنى يربط إحداهما بالأخرى حتى صارت الجملة لذلك بمنزلة الاسم المفرد في امتناع أن تحصل به الفائدة، فلو قلت إن تأتي وسكت لم يفد، كما لا تفيد إذا قلت "زيد" وسكت فلم تذكر اسماً آخر ولا فعلاً، ولا كان منوياً في النفس ومعلومًا من دليل الحال»<sup>3</sup>، ثم يبين لنا في دلائل الإعجاز أن هذه الجملة الناشئة تحتذي العطف، فقد تكون خبراً أو صفةً أو حالاً، «واعلم أن سبيل الجملتين في هذا، وجعلهما بمنزلة الجملة الواحدة سبيل الجزئين تعقد منهما الجملة، ثم يجعل الموضوع خبراً أو صفةً أو حالاً في مجموع الجملتين لا في إحداهما، وإذا علمت ذلك في الشرط فاحتذه في العطف، فإنك تجده مثله سواء»<sup>4</sup>.

ويتبين من هذا الكلام أن أداة الشرط تربط جزئي الكلام بإنشاء علاقة سببية بين جملتي الشرط والجواب، حيث يذكر "ابن الحاجب" أيضاً في هذا أن «حرف الشرط هو كل حرف دخل على جملتين فعليتين فجعل الأولى سبباً للثانية»<sup>5</sup>.

وأداة الشرط لها حق الصدارة في نظام الجملة الشرطية، ثم يأتي فعل الشرط لأنه علامة على وجود الثاني وهو جواب الشرط، والجملة الشرطية تامة الأركان تسمى محفوظة الرتبة، أما التي حذف جوابها لدلالة السياق عليه بما تقدم على الأداة وفعل الشرط فتسمى الجملة الشرطية غير محفوظة الرتبة، ولا يعمل فعل الشرط ولا جوابه فيما قبل الأداة<sup>6</sup>.

قد يتقدم جواب الشرط على الأداة وفعل الشرط معاً، واختلف النحاة في كونه جواباً بشروط أو بدون شروط، فهناك من يشترط إن كان فعل الشرط مضارعاً فالمتقدم هو جملة الجواب، أما إذا كان فعل الشرط ماضياً فيمتنع تقدم الجواب عليه، وهناك من يرى أنه يجوز أن

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ج3، ص95-96.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج3، ص102.

<sup>3</sup> - الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت471هـ): أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص81.

<sup>4</sup> - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص259.

<sup>5</sup> - ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر (ت646هـ): الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق موسى بناي العللي، دار إحياء التراث الإسلامي، بغداد، العراق، دطبت، ج2، ص241.

<sup>6</sup> - أنظر: سيبويه: الكتاب، ج1، ص132-135.

يتقدم الجواب على فعل الشرط إن كان كلاهما ماضياً<sup>1</sup>، والرأي أن المتقدم على أداة الشرط وفعله هو دليل على الجواب المحذوف والمقدر<sup>2</sup>، لأنه لا يحسن أن يكون المذكور جواباً للشرط وقد أفسد بتقدمه أحكام الشرط.

وقد وردت أدوات الشرط بكثرة في الأحاديث القدسية، نظراً لطبيعة هذه النصوص وهدفها المتمثل في إيضاح الحكم العام والحقيقة المجردة من كل أمر أو ضغط أو إكراه، ليتيح للإنسان حرية الرأي واستقلال التفكير، فيتحمل مسؤولية أعماله بعد أن يعرف الجزاء والجواب، وسنرتب هذه الأدوات حسب عدد ورودها في الأحاديث.

## 1- أدوات الشرط الجازمة:

### 1-1- إن الشرطية:

هي أم أدوات الشرط الجازمة، ولا يليها إلا فعل، وتجزم فعل الشرط وجوابه<sup>3</sup>، فإذا وليها اسم مرفوع -وهو نادر- كان فاعلاً لفعل محذوف وجوباً يفسره الفعل المذكور بعده، أما أهل الكوفة فيرون أن هذا الاسم فاعل للفعل المذكور بعده، على اعتبار أنهم يجيزون تقديم الفاعل على الفعل، ويقبح سبويه ذلك بقوله: «أعلم أن حروف الجزاء يقبح أن تتقدم الأسماء فيها قبل الأفعال»<sup>4</sup>، والتركيب الذي يتضمن أدوات الشرط يتسق ويتفق مع خصائص الحديث الشريف، الذي يتضمن أحكام عامة توضح للناس أمور دينهم، فمن الطبيعي أن يكون تعليق تحقق نتيجة ما على قيام المرء بعمل ما، وهذه هي العلاقة السببية التي تنشئها أداة الشرط بين فعل الشرط وجوابه، فالخام المرء في سؤال الله مثلاً هو سبب الاستجابة، وقد ورد فعلاً الشرط وجوابه مثبتان، وقد يرد جواب الشرط مقترناً باللام أو بالفاء ومؤكداً بـ"قد".

وذكر النحاة أن الشرط والجواب إن كانا فعلين، فالأحسن أن يكونا مضارعين لظهور تأثير العمل فيهما (الجزم)، يلي ذلك أن يكونا ماضيين للمشاركة في عدم التأثير بالعامل، ثم أن يكون الأول ماضياً والثاني مضارعاً، لأن فيه الخروج من الأضعف إلى الأقوى، أي من عدم التأثير في الماضي إلى التأثير في المضارع، ثم أن يكون الأول مضارعاً والثاني ماضياً، ولا بد للفعلين أن يدللا على الاستقبال، فأدوات الشرط تقلب الماضي إلى المستقبل وتخلص المضارع له<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت911هـ): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج4، ص333.

<sup>2</sup> - سيبويه: الكتاب، ج3، ص66.

<sup>3</sup> - أنظر: سيبويه: الكتاب، ج1، ص263.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص534.

<sup>5</sup> - السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج4، ص322-323.

وقد وردت "إن" في الأحاديث القدسية اثنان وعشرين مرة بأنماط متعددة أكثرها أن يكون فعلها ماضياً وجوابها مضارعاً، ثم الأنماط الأخرى أقل تواتراً: فعلها مضارع وجوابها مضارع، ثم فعلها ماضي وجوابها ماضي أو أمر، وإن جاء جواب الشرط جملة اسمية أو طلبية أو منفية، فإن حرف الشرط لا يؤثر فيها فأتوا بالفاء، ليقوى بها "إن" ويصل بها إلى العمل في التقدير دون اللفظ، وقد اختار النحاة الفاء دون الواو و"ثم" لأن الفاء يوجب التعقيب من غير تراخ ولا مهلة<sup>1</sup>، ورد هذا التركيب في الحديث الشريف وورد المضارع إما مقترنا بلام الأمر أو مجزوما بلام الناهية، وقد اقترن بالفاء، وهذا فيه اتساق مع لغة الحديث الشريف، حيث لا يوجه الأمر مباشرة إلى فرد بعينه، بل يذكر الحكم مرتبطاً بالأداة "إن"، ويأتي الأمر باتباعه.

مثال ذلك: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: {يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمَلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمَلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ}<sup>2</sup>، هذا الحديث يتكون من خمسة أجزاء شرطية، وهو في قمة الاتساق والانسجام النصي ويتجلى ذلك في تلك الروابط الشرطية التي لم تدع جزءاً من النص إلا وربطته بما سبقه وما لحقه في النص.

فبدايةً انطلق النص بأداة الشرط "إذا" التي علقت فعل الشرط وهو في الزمن الماضي بفعل الجواب وهو في الزمن المضارع المنفي بـ"لا"، ثم تأتي الأداة "إن" التي تربط بين آخر فعل في جواب الشرط للأداة "إذا" فتجعله فعل شرط لها جوابه فعل أمر (اكتبوها) لذلك اقترن بالفاء، يبقى يتكرر النموذج نفسه أربع مرات في كامل المقاطع الشرطية من النص ليتبين أن النص كتلة متماسكة تصب في فكرة واحدة هي كتابة الحسنات والسيئات، وكلتا أداتي الشرط "إذا" و"إن" احتلتا مرتبة الصدارة في كل شطر من النص ولا يمكن أن تترك مواضعها وتتأخر عن فعل الشرط وجوابه، وهو ما يلفت أنظارنا إلى الاتساق الذي تحدثه في النص.

وتتحقق أدوات الشرط العلاقات السببية في النص ويمكن أن نَهْدِينَا إلى المعادلات التالية:

النية السيئة - عملها = 0 (لا تكتبوها)

النية السيئة + عملها = 1- (اكتبوها بمثلها)

<sup>1</sup> - ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت792هـ): اللمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص195.

<sup>2</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص10.

(النية السيئة+تركها لله) أو (النية الحسنة-عملها) = 1+ (اكتبوها حسنة)

النية الحسنة+عملها = [10 ، 700] (اكتبوها بعشر إلى سبعمائة)

وهنا نلاحظ أن ما زاد تماسك النص هو هذا النمو الموضوعي والتدرج الرقمي في كتابة الحسنات والسيئات من الصفر (لا تكتبوها) إلى واحد سلمي (اكتبوها بمثلها) إلى واحد إيجابي (اكتبوها حسنة) إلى الأضعاف (اكتبوها بعشر أمثالها إلى سبعمائة)، وهنا تتجلى حكمة الله في تقييم أعمال عباده التي تعكس رحمته وفضله عليهم، ومضمون هذا الحديث القدسي ينسجم دلاليا مع فكرة تضاعف الحسنات في الآية: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: 261، والآية ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ الأنعام: 160.

وقد ورد في الأحاديث القدسية الحذف مع "إن" الشرطية، فوجدت الجملة الشرطية غير محفوظة الرتبة، حيث حذف فعل الشرط وبقي فاعله مع اختلاف النحاة في الاسم هل هو فاعل أم مبتدأ؟، فهو فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور بعده على رأي جمهور البصريين، أو للفعل المذكور على رأي الكوفيين أو مبتدأ على رأي الأخفش، وقد يحذف جواب الشرط مع وجود دليل عليه، مثال ذلك: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: {أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ فَإِنْ كَانَ أَكْمَلَهَا وَإِلَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْظِرُوا لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَإِنْ وَجَدَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ: أَكْمِلُوا بِهِ الْفَرِيضَةَ} <sup>1</sup>، ففي هذا الحديث أكثر من موضع للحذف، حيث اقترنت أداة الشرط "إن" في البداية بفعل ماض ناسخ، وقد حُذف جوابها في الموضع الأول والتقدير: فإن كان أكملها دخل الجنة، وحُذف من "إن" الثانية المقترنة بلا النافية فعلى الشرط والتقدير: وإن لم يكملها، ولعل ما يفيدك في تقدير الجمل المحذوفة هو الأداة الثالثة "إن" التي توفرت على جملة الشرط ذات الفعل الماضي المبني للمجهول وجوابه بفعل ماض، وحققت تماسك أجزاء النص من خلال تعالقها الشرطي مع ما هو محذوف في الجمل الشرطية السابقة عليها ودلالاتها عليه.

وحذف فعل الشرط مع "إن" الشرطية جائز اعتماداً على كونها أم الباب، وذلك بعد "إلا"، أي بعد "إن" الشرطية التي تتبعها لا النافية المسبوقة بما يدل على الشرط المحذوف، أما جواب الشرط فيُحذف إذا تقدم عليه أو اكتنفه ما يدل على الجواب، وذهب بعض النحاة إلى وجوبه، وهذا مبني على أن الأصل في الترتيب أن تقع جملة الجواب بعد جملة الشرط، وأدوات الشرط لا

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 158.

تعمل فيما قبلها<sup>1</sup>، ونلفت النظر إلى أن هذا الحذف يمس فعل الشرط أو جوابه، في حين لا يستحسن حذف أداة الشرط في النص الذي يتضمن معنى الشرط والعلاقة السببية بين قضاياه، لما في ذلك من إضعاف لعلاقات الارتباط بين وحداته الجمالية والقضوية، ومن هنا يتبين دورها الهام في ربط العناصر اللغوية للنص وتناسق دلالاته، وجعله مكتمل التركيب شديد الاتساق.

## 1-2 - من الشرطية:

هي اسم للعاقل يجازى به، تربط بين فعلين فتجزمهما، أو يكونا في محل جزم بها إن كانا ماضيين<sup>2</sup>، وقد وردت في الأحاديث القدسية سبع عشرة مرة، وقد تنوعت الأنماط الجمالية لأداة الشرط "مَنْ" في الأحاديث القدسية، فقد يكون فعلها ماض وجوابها مضارع، أو فعلها ماض وجوابها ماض، أو فعلها مضارع وجوابها مضارع، أما أن يكون فعلها مضارع وجوابها ماض فهو منعدم الوجود لأنه خاص بالضرورة الشعرية، وقد يكون الجواب مؤكداً بـ"قد" ولا يقرن بالفاء حين يكون فعلاً الشرط والجواب مثبتان غير منفيان.

المثال الأول: حديث "تحريم الظلم": {..يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ}،<sup>3</sup> نلاحظ أن الأداة "مَنْ" تكررت مرتين في النص، وأتى فعلها ماضياً وجوابها مضارعاً، وهو من الأنماط الشائعة في الأحاديث القدسية، وورد المضارع مقترناً بالفاء ومجزوماً بلام الأمر أو "لا" الناهية، ومؤكداً بنون التوكيد، فجواب الشرط في هذا النص يكون إما حمداً لله أو لوماً للنفس لأنه ما هو إلا نتيجة أعمال العبد، وهذا فيه اتساق مع لغة الحديث الشريف، حيث لا يتوجه الأمر مباشرة إلى فرد بعينه، بل يذكر الحكم بالأداة "مَنْ" وتترك الحرية لمن يرغب في إتباع الأمر والقيام بواجبه.

المثال الثاني: عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: {يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلَهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً، وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ حَطِيطَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً}،<sup>4</sup> في هذا الحديث أداة شرط واحدة هي "مَنْ" تكررت ست مرات ولم يكن ذلك اعتباطاً إنما لفائدة تركيبية ونصية

<sup>1</sup> - المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص532.

<sup>2</sup> - ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص433.

<sup>3</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص187.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص24.

عظيمة، فكل أفعالها الشرطية كانت في الماضي، أما جوابها فهو غير ثابت ففي البداية جاء مركباً من جارٍّ ومجرورٍ مقترنا بالفاء (فله)، ثم جاء اسماً مقترنا بالفاء أيضاً (فجزاؤه) وكلا الجوابين من حقل دلالي واحد هو الثواب والعقاب، ثم انتقلت الأفعال الشرطية للأداة "مَنْ" وأجوبتها إلى حقل دلالي آخر هو تقرب العبد لخالقه، وبدأت وكأنها في متتالية حسابية متزايدة إن لم نقل متسارعة من أجل تحقيق أكبر قدر من هذا التقرب حتى يصل إلى مغفرة كل الخطايا، وهو ما يجعل النص متسقاً منسجماً مع المتلقي، نوضح ذلك بما يلي:

| فعل الشرط               | جواب الشرط       |
|-------------------------|------------------|
| تقرب العبد بشير         | تقرب الله بذراع  |
| تقرب العبد بذراع        | تقرب الله بباع   |
| إتيان العبد مشياً       | إتيان الله هرولة |
| الخطايا دون الشرك بالله | تمثلها مغفرة     |

تلاحظ من خلال هذا الجدول كيف أن أداة الشرط "مَنْ" تربط بين السابق واللاحق في المقاطع الشرطية للنص، حيث يتعلق فعل الشرط في كل مقطع بجواب الشرط في المقطع الذي يسبقه وكذا بجوابه في المقطع نفسه، وهذا الترابط التركيبي يوازيه تعالق في القضايا الموجودة في النص، فتماسك البنية القضية للنص وذلك مظهر اتساقه وانسجامه.

## 2- أدوات الشرط غير الجازمة:

### 2-1- إذا الشرطية:

هي أم أدوات الشرط غير الجازمة، وهي ظرف لما يستقبل من الزمان يتضمن معنى الشرط، يقول "سبويه": «وإذا فلما يستقبل من الدهر، وفيها مجازاة، وهي ظرف»<sup>1</sup>، ويرى جمهور النحاة أنها تختص بالدخول على الجملة الفعلية حيث يكون الفعل ماضياً كثيراً ومضارعاً دون ذلك، فإذا جاء بعدها اسم مرفوع أو ضمير للغائب أعرب فاعلاً لفعل محذوف يفسره الفعل الذي يليه، أو نائباً عن الفاعل إذا كان الفعل بعدها مبنيًا للمجهول، خلافاً "للأحفش" الذي يعربه مبتدأ وخبره الجملة الواقعة بعده<sup>2</sup>، فهي إذن مضافة لجملة الشرط التي بعدها وتتعلق بجواب الشرط، أي خافضة لشرطها منصوبة بجوابها.

<sup>1</sup> - أنظر: سبويه: الكتاب، ج4، ص232.

<sup>2</sup> - أنظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص127.

ولا تعمل "إذا" الجزم لأنها للشرط اليقيني الذي لا بد أن يتحقق، بخلاف "إن" الجازمة التي تكون لمواضع الشك واليقين على السواء، وقد أجاز الكوفيون الجزم بها مطلقاً<sup>1</sup>.

وقد وردت "إذا" في الأحاديث القدسية ما يساوي ستين مرة، وفي معظم هذه المواضع داخلية على الفعل الماضي، ولم تدخل على المضارع مطلقاً، وهو الواقع نفسه الذي تكلم عنه النحاة في دخولها على الأفعال، وأكثر الأنماط تواتراً مع "إذا" أن يكون فعلها ماضياً وجوابها ماضياً، ثم الأنماط الأخرى أقل تواتراً: فعلها ماضي وجوابها مضارع، ثم فعلها ماضي وجوابها أمر، ويلاحظ أن الفاء لازمت جواب الشرط عندما جاء جملة طلبية (أمر)، أما إذا جاءت "ما" بعد "إذا" فهي زائدة تفيد تأكيد معنى الشرط، كما وردت "إذا" ظرفية لا تتضمن معنى الشرط.

مثال: عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {يَقُومُ الرَّجُلُ مِنْ أُمْتِي مِنَ اللَّيْلِ يُعَالِجُ نَفْسَهُ إِلَى الطُّهُورِ وَعَلَيْهِ عُقْدٌ، فَإِذَا وَضَأَ يَدَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَأَ وَجْهَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَأَ رِجْلَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلَّذِينَ وَرَاءَ الْحِجَابِ: أَنْظَرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُعَالِجُ نَفْسَهُ يَسْأَلُنِي، مَا سَأَلَنِي عَبْدِي هَذَا فَهُوَ لَهُ<sup>2</sup>، الأداة "إذا" تكررت في هذا النص أربع مرات، وجاءت أفعالها كلها بمعنى الوضوء، وأجوبتها بمعنى انحلال العقد، لذلك يبدو لك الأمر أنه يمكن اختزال النص إلى استعمال هذه الأداة مرة واحدة وتوحيد أفعالها وأجوبتها كما يلي: إذا وضأ يديه ووجهه ورجليه ومسح رأسه انحلت أربع عقد، غير أن رغم ما في ذلك من تكرار لفظي فإن توزيع أداة الشرط على كل قضية تكمن فائدته فإن أمر معالجة النفس من عقد النوم لا يأتي دفعة واحدة وإنما يتطلب التدريج والتأني كالدواء الذي تظهر فاعليته بعد تتابع الجرعات، فإذا انحلت العقد أمكن الاتصال بالله وسؤاله، وفي كل مقطع جملي من النص حافظت "إذا" على رتبته وحقها في تصدر التركيب رابطة بين الشرط وجوابه، وفي هذا علامة على وجود الاتساق بين عناصر التراكيب والانسجام بين قضايا النص.

## 2-2- لو الشرطية:

"لو" أداة شرط غير جازمة تدل على الزمن الماضي، وقد شاع على ألسنة النحاة أنها: حرف امتناع لامتناع، فيمتنع بها الشيء لامتناع غيره<sup>3</sup>، أي امتناع جواب الشرط لامتناع فعل الشرط، فهي بهذا المفهوم أداة رابطة في التركيب بحيث أنها تقتضي امتناع ما دخلت عليه، ويستلزم امتناع

<sup>1</sup> - المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص 367.

<sup>2</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 154.

<sup>3</sup> - أنظر: المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص 272.

الذي يليها امتناع التالي، وقال عنها ابن القيم في بدائع الفوائد: «لو يؤتى بها للربط لتعلق ماض بـ... ماض... فهي في الشرط نظير "إن" في الربط بين الجملتين»<sup>1</sup>، و"لو" هي أصل "لولا" وإنما زيدت عليها "لا"، لذلك فإن "لولا" أيضاً أداة تستخدم في السياق لتؤدي وظيفة الربط والتعليق بين الشرط والجواب<sup>2</sup>.

ويكون جواب "لو" إما مضارعاً مجزوماً بـ "لم" وهو الغالب، أو ماضياً منفيّاً بـ "ما" ويغلب على المنفي بـ "ما" التجرد منها، أو ماضياً مثبتاً مقترناً باللام، حيث لا تُحذف عنده إلا في صلة<sup>3</sup>، وقد وردت "لو" في الأحاديث القدسية عشر مرات بأنماط عدة منها ما يلي:

المثال الأول: عن أبي ذر -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: {.. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أُولَئِكَمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أُولَئِكَمْ وَآخِرَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أُولَئِكَمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ..} <sup>4</sup>، جاءت جملة الشرط بعد "لو" مقترنة بـ "أن"، فهي تعرب مبتدئاً خبره محذوف، أو فاعلاً لفعل محذوف تقديره (لو ثبت أن) أو (لو كان أن)<sup>5</sup>، وتكرر هذا التركيب في نص الحديث ثلاث مرات، وجاء جوابها فعلاً ماضياً منفيّاً بـ "ما"، وحافظت هذه الأدوات على مواقعها في النص لتصنع اتساقه، كما أن كلمة (واحد) التي تسمعها تتكرر في النص ثلاث مرات أيضاً توحى لك بوحدة النص وتماسك أجزائه.

المثال الثاني: عن أبي واقد الليثي قال: قال رسول الله ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَانٍ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ} <sup>6</sup>، جاءت الأداة "لو" هنا للتعليق، فقد علقت فعل الشرط (كان) بالجواب الآتي بعدها (لأحب)، فلولا وجود (لو) مثلاً لكان الكلام (كان لابن آدم وادٍ أحب أن يكون له ثانٍ..)، فالمعنى يأخذ قصداً آخر ويفقد كثيراً من صفاته وسحره، هذا فضلاً عن فقدان الاتساق المتحصل من تواجد

<sup>1</sup> - ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت751هـ): بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د. ط. ج 1، ص 44.

<sup>2</sup> - أبو السعود حسنين الشاذلي: الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية، ص 119.

<sup>3</sup> - أنظر: المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص 283.

<sup>4</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 186.

<sup>5</sup> - أنظر: المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص 281.

<sup>6</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 153.



هذا الحرف الشارط، ومازاد في انسجام النص هو السجع أو بالأحرى التناسب الصوتي بين لفظي (التراب) و(تاب).

وقد تكررت الأداة "لو" مرتين في النص وجاء فعلها ماضٍ وجوابها ماضٍ، وهذا التركيب هو الغالب للأداة "لو" في الأحاديث القدسية، مما يبين أنه هو الأصل في جملة "لو" وهو الدخول على فعلين مثبتين، حيث جاء الجواب أيضاً مقترناً بلام التوكيد، وقد استدلل ابن هشام<sup>1</sup> بمثل هذا التركيب على فساد القول بأنها حرف امتناع لامتناع، حيث نلاحظ في هذا الحديث أن فعل "لو" مثبت وجوابها مثبت فهي حرف وجوب لوجوب، ولو كانت حرف امتناع لامتناع لاشتترط الدخول على جملتين منفيتين نحو قولك: لو لم يقم زيد لم يقم عمر.

### 2-3- لما الشرطية:

وتأتي للأمر الذي وقوعه لوقوع غيره، وتجيء بمترلة "لو" فهما لابتداء وجواب<sup>2</sup>، وتسمى تعليلية لأن وجود جوابها يتعلق بوجود شرطها، أي حرف وجود لوجود، واختلف النحاة فيها فقيل إنها حرف، وإنها ظرف بمعنى حين، وجمع ابن مالك بين المذهبين فيرى أنها حرف يقتضي فيما مضى وجوباً لوجوب، وأنها ظرف بمعنى "إذا" فيه معنى الشرط إذا وليها فعل ماض لفظاً ومعنى<sup>3</sup>.

وقد وردت "لما" الشرطية أربع مرات، ولم يقترن الجواب بالفاء أو إذا الفجائية، مثال: حديث فضل الشهداء: {.. فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبُّ نُرِيدُ أَنْ تُرَدَّ أَرْوَاحُنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرْكُوا<sup>4</sup>، وقد ورد فعلها ماضياً وجوابها ماضياً تتضمنها خمسة أفعال مبنية للمجهول.

وأكثرُ مثال وجدته متنوع أدوات الشرط هو حديث "إثم من عادى أولياء الله": عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي

<sup>1</sup> - أنظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص339-340.

<sup>2</sup> - سبويه: الكتاب، ج4، ص234.

<sup>3</sup> - أنظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص369.

<sup>4</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص77.

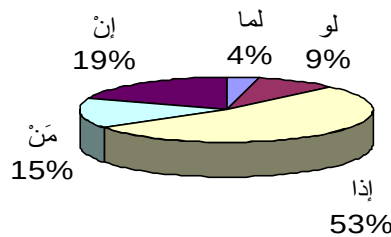
يَبْطِشُ بِهَا، وَرَجَلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَ بِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مُسَاءَلَتَهُ<sup>1</sup>.

جاء نص الحديث بثلاثة أنواع من أدوات الشرط: "مَنْ"، "إِذَا"، "إِنْ"، ويبدو تناسب أجزاء النص، من خلال ورود كل أداة في السياق الذي يناسبها ثم تعالقها ببعضها، فـ"مَنْ" اختصت في النص بالعقل وهو العبد الذي عادى ولياً من أولياء الله، وكلٌّ من فعلها وجوابها في الزمن الماضي، غير أن الجواب جاء مقترنا بالفاء ومؤكداً بـ"قد" لخطورة فعل الشرط وهو معاداة أولياء الله الذين اختصوا بمحبة الله لكثرة عبادتهم له، لذلك يدعو الله الناس أن يسلكوا دربهم في التقرب منه حتى يحفظوا بهذه العناية، فبالفاء يعطف على الجمل السابقة جملة شرطية جديدة، يتكلم الله عن نفسه مستعملاً لذلك أداة الشرط "إِذَا" وفعل الشرط في الزمن الماضي (أحبته) وجواب الشرط فعل ماضٍ ناسخ (كان) يتبعها صفات وامتنيازات يمنحها الله لهذا العبد الذي حظي بمحبة الله، حيث تماسكت كل الجمل المتضمنة لهذه الصفات من أجل فعل شرط واحد بفضل الأداة "إِذَا".

ثم يأتي دور "إِنْ" التي اختصت بأفعال الشرط الخاصة بالعبد (سألني، استعاذ بي) وهي في الماضي ويحقق الله جوابها بفعلين (لأعطينه، لأعيدنه) جاءا في المضارع للدلالة على استمرارية فضل الله وعدم انقطاعه ومؤكدين بحرفين: لام التوكيد ونون التوكيد، وحروف التوكيد تزيد من قوة المعنى واتساق النص، وتتابع هذه الأدوات الشرطية في النص جعله مترابطاً إلى درجة أنك تحسه كتلة واحدة وأن الجملة الأخيرة منه تعيدك إلى الجملة الأولى منه، وتوحي لك بأن الله سبحانه وتعالى يكره مساءلة عبده المؤمن الذي يكره الموت، مثلما يكره أن يعادى أوليائه العابدين.

وفيما يلي دائرة نسبية تبين نسب أدوات الشرط في الأحاديث القدسية كل أداة على حدة يليها بعض النتائج المتوصل إليها في هذا الجزء من البحث:

نسب أدوات الشرط في الأحاديث القدسية



<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 55.

## نتائج:

\* أكثر من نصف مجموع أدوات الشرط المستعملة في الأحاديث القدسية شغلتها الأداة "إذا"، ولا ريب أن هذه النصوص فضلت هذه الأداة أكثر من سواها لما فيها من أثر كبير في تحقيق تماسك النص من جهة والتأثير في نفسية المتلقي من جهة أخرى لينسجم مع الخطاب، ولم تستعص عنها بأدوات الشرط الأخرى لأنها الأنسب لأفعال الشرط فإنك حين تسمعها تتوقع أن يرد بعدها فعل شارط حر غير مقيد بحركة إعرابية فهي بحق أم أدوات الشرط غير الجازمة.

\* لم يرد في صحيح الأحاديث القدسية اجتماع أداتي شرط، كما لم ترد أدوات شرط أخرى مثل: أيُّ حين، ومتى، وأين، وأنى، وحيثما، وإذما، وبعض الأدوات المنقولة من باب الموصول تحللت من معنى الوصل حين استعملت في باب الجزاء مثل "مَنْ"، وتختص أدوات الشرط بمعان جزئية بالإضافة إلى إفادتها الشرط.

\* تساعد أدوات الشرط روابط أخرى مثل الفاء واللام الموطئة و"قد" وأدوات النفي، وزيدت بعض الحروف بعد بعض الأدوات مثل "ما" فأعطى ذلك إضافة جديدة للمعنى الأساسي لها، وهذه الحروف والأدوات ساهمت في ترابط العناصر اللغوية للتراكيب واتساق النص.

\* تلتزم أداة الشرط بالصدارة، لذلك يحذف الجواب في النص إذا تقدم على الأداة أو اكتنفها ما يشبه الجواب، كما قد يتقدم ما يشبه الجواب في تراكيب الشرط ويتوسط الجزاء أجزاء الجملة، وجواب الشرط مقرون بالجزاء، وقد يقع على كل حال سواء وقع الشرط أم لم يقع، وكل ذلك جعل من النص كلا متماسكاً، يتفاعل معه المتلقي وينسجم معه.

\* جعل النحاة الجزم قرينة الجزاء باعتبار أن معظم أفعالها مضارعة، لكن في الواقع ترتبط أدوات الشرط مع الأفعال الماضية والمضارعة سواء في الشرط أو الجواب، وأن من أدوات الشرط ما يفيد المستقبل، ومنها ما يفيد الماضي، ومنها ما يدل على الحال، كما وجدنا أن أداة الشرط "إذا" دخلت على الاسم، عكس ما قرره النحاة من دخول أدوات الشرط على الأفعال.

## ثانياً - أدوات الاستفهام:

أدوات الاستفهام يأتي بها المتكلم لطلب معرفة شيء كان مجهولاً بالنسبة له، جاء في اللسان: «استفهمه: سألته أن يفهمه»<sup>1</sup>، وأدوات الاستفهام حرفان هما: الهمزة، هل، أما باقي الأدوات فهي

<sup>1</sup> - ابن منظور: لسان العرب، مج5، ج38، ص3481 (مادة فهم).

أسماء ليست للاستفهام في الأصل وإنما حملت على أحرف الاستفهام، ومنها: مَنْ، ما، أين، متى، أَيْ، أَيْان، أَيْ، كم، كيف، هلا، وغيرها، وكلها لها حق الصدارة في الجملة التي تقع فيها فلا ترد إلا متقدمة للمستفهم عنه<sup>1</sup>، ولم يكن لها اختصاص في لغة العرب فهي تدخل على الفعل كما تدخل على الاسم، وهذا التنوع في المدخول عليه هو ما حرمها قوة العمل.

الغرض من هذه الأدوات هو طلب المعرفة من المخاطب، وبتتبعها على المدى النصي تتبين أهميتها في ربط أجزاء النص، وكذا إضفاء معاني أخرى للنص تساعد على انسجام المستفهم معه مع النص، ومن هذه المعاني: التقرير، الإنكار، النفي، التوبيخ، التهكم، وأدوات الاستفهام التي وردت في الأحاديث القدسية هي: الهمزة، هل، من، ما، أين، أَيْ، أَيْ، كيف، وعددها الإجمالي هو مئة وثلاث وستون (163) أداة.

### 1- همزة الاستفهام:

ألف الاستفهام أو همزة الاستفهام أداة تستعمل لطلب التصور (التعيين) نحو قولك: أنجح محمد أم خالد؟، أو طلب التصديق نحو قولك: أنجح محمد؟<sup>2</sup>، اللغوي "سبويه" أيضاً يسمي الهمزة ألفاً ويرى أنها هي أصل أحرف الاستفهام، وتقدم الاسم فيها قبل الفعل جائز كما جاز ذلك في "هلا"<sup>3</sup>، كما أن من أحكامها أن لا يعمل فيها ولا في أي جزء من أجزاء جملتها ما قد يسبقها من أفعال وغير أفعال.

جاءت همزة الاستفهام أكثر أدوات الاستفهام وروداً إذ وردت واحد وخمسون مرة متنوعة التراكيب والاستخدامات والمعاني، وقد دخلت في النص حسب قوة التردد على النحو التالي:

1- على الجملة المنفية: أربع وعشرون مرة، اقترن فيها الرابط الاستفهامي برابط النفي فكان الربط محكماً وكانت أدوات النفي في هذه الجمل ثلاثة هي: لم، ما، لا، وحين تقترن الجملة المنفية بـهمزة الاستفهام يصير النفي إيجاباً وإيجاباً نفياً<sup>4</sup>، لأن الهمزة تؤدي معنى التقرير أو التوقيف (الإنكار) وتنفرد بهذه الخاصية دون غيرها من الأدوات<sup>5</sup>.

مثال: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: {أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ يَقُولُونَ: الْكَوَكِبُ

<sup>1</sup> - شوقي ضيف: تيسيرات لغوية، دار المعارف، القاهرة، مصر، دبط، 1990، ص105.

<sup>2</sup> - إميل بديع يعقوب: موسوعة الحروف في اللغة العربية، دار الليل، بيروت، لبنان، ط2، 1995، ص34.

<sup>3</sup> - سبويه: الكتاب، ج1، ص99.

<sup>4</sup> - النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت338 هـ): إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 1985، ج5، ص251.

<sup>5</sup> - المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص345.

وَبِالْكَوَاكِبِ<sup>1</sup>، ومعنى الحديث أن بعض الناس أقبلوا صباح يوم بعد ليلة ممطرة فمنهم من قال مُطَرْنَا بفضل الله ورحمته فهم مؤمنون ومنهم من قال مُطَرْنَا بنجم كذا وكوكب كذا فهم كافرون، وأداة الاستفهام هنا المقترنة بالنفي تجاوزت الدور التركيبي الجملي إلى النصي فهي فضلاً عن التقرير أفادت: التذكير والتنبيه، والتعجب، وبينت أن الرؤية هنا ليست من رؤية العين وإنما بمعنى العلم، لأن في النص ما يحتم على السامع أن يجعل الحدث مشاهداً حاضراً، وهو ما ينقله ليتفاعل مع النص ويبنى انسجامه.

2- على الجملة الفعلية: اثنان وعشرون مرة، اقترن فيها الرابط الاستفهامي بالفعل وخير مثال حديث البطاقة: عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بَطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ أَحْضِرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتَوْضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ<sup>2</sup>، يبين هذا الحديث فضل الشهادتين، وقد وردت فيه همزة الاستفهام ثلاث مرات اقترنت فيها مرة بالفعل المضارع، (أتنكر) ومرة بالفعل الماضي (أظلمك) ومرة بجملة معطوفة متكونة من جار ومجرور متعلق بالفعل (أفلك)، وهو في كل ذلك يحمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بشيء، فلم يؤتى بتلك الأدوات بغرض الاستفهام الحقيقي لأن الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء، ولكن يريد بها في كل مرة تقرير العبد برصيد أعماله في الدنيا، وإن صورة الميزان التي أتى بها في نهاية النص لا يمكن أن تتعلق بخيال المتلقي إلا بعد أن تجتمع في ذهنه تلك الأدوات الاستفهامية فتربط العمل بالنتيجة ويكتمل اتساق النص.

3- على الجملة الاسمية: على عكس الجملة الفعلية تماماً ندر ارتباط همزة الاستفهام بالجملة الاسمية في الأحاديث القدسية باستثناء مرة واحد في حديث قصة النبي موسى مع ملك الموت: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: {جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ:

<sup>1</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص23.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص27.

أَجِبْ رَبِّكَ، فَلَطَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلِكِ الْمَوْتِ فَفَقَّأَهَا، فَرَجَعَ الْمَلِكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي، فَرَدَّ اللَّهُ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ: الْحَيَاةُ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرِهِ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ قَالَ: فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ رَبِّ أَمْتَنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ<sup>1</sup>، نلاحظ أن الله عز وجل سأل موسى إن كان يريد الحياة، إلا أنه لم ينتظر الإجابة واقترح بعد السؤال مباشرة العدد الاحتمالي الذي يمكن أن يزيده في عمره وهو كل شعرة بسنة من الشعر الذي تتوارى فيه يد موسى حين يضعها على متن ثور، وكأنك تفهم من عدم انتظار المولى لإجابة موسى أنه سيقنع بالأجل، ورغم أن المخاطب لم يقتنع بفعل الأمر في بداية النص إلا أنه اقتنع في نهايته بعد أن غير المرسل أدواته مستعملاً الروابط الاستفهامية، حيث ربط أداة الاستفهام بالاسم مباشرة وهو ما يفيد التقليل من شأن هذا الاسم وبالتالي فإن الأداة تجاوزت دور الاستفهام إلى فائدة إقناع المخاطب بمضمون الرسالة ثم انسجامه معها.

4- على الجملة المعطوفة: حدث هذا أربع مرات في المدونة، حيث اقترنت أداة الاستفهام بنوعين من حروف العطف وهما: الواو والفاء، وللتمثيل نرجع إلى حديث البطاقة السابق الذكر، في عبارة: «أفلك عذر؟»، أصل هذا التركيب (ما لك) دخلت عليه أداة الاستفهام فأضفت عليه معنى التهديد، ورغم أن هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، إلا أن الهمزة خصت بالتقديم على العاطف تنبيهاً إلى أنها أصل أدوات الاستفهام التي لها صدر الكلام، وفي هذا الترتيب يبدو اتساق حروف وملفوظات النص دون إخلال بترابط معانيها.

وجدنا أن أداة الاستفهام (الهمزة) ارتبطت بعناصر لغوية متنوعة فهي تتصل بالفعل، وتسبق الاسم، وحقت معانيها البلاغية، ولم نسجل أي تنافر أو تباعد بين ألفاظ هذه التراكيب محققة بذلك الاتساق النصي الذي تسعى إليه اللغة، ولو جربنا أن نبدل موقعها إلى ما هو قبلها أو ما هو بعدها للاحظنا خللاً في الوحدة النسقية للنص.

عدّ النحاة النصوص التي تفيد الاستفهام دون أداة أنها من قبيل حذف همزة الاستفهام دون سواها من الأدوات وخصوصاً إذا وقعت قبل "أم"، حيث يجوز حذف همزة الاستفهام لأمن اللبس<sup>2</sup>، لكننا لا حظنا حذف همزة الاستفهام في الأحاديث القدسية ثلاث مرات في سياقات

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 171.

<sup>2</sup> - أنظر: المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص 34، وسبويه: الكتاب، ج 3، ص 174.

أخرى ليس فيها "أم"، ومثالها حديث من مات صفيه واحتسب: عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: {إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبِضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبِضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمْدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ} <sup>1</sup>، نلاحظ في السؤالين الأولين تكرار كلمة قبضتم، وهو يريد بذلك التعجب والتفاخر بعبده المحتسب وليس طلب العلم لأنه هو الله العالم بكل شيء، والمقصود من تلك الكلمة هو: أقبضتم؟ أي باستعمال همزة الاستفهام، كما يمكن تقدير الأداة المحذوفة بغير الهمزة، مثلاً يمكن أن نقول: هل قبضتم؟ عوضاً عن: أقبضتم؟ لأن إفادة الاستفهام مأخوذة من خلال الموقف وإيماءاته، وهي سمة للغة المنطوقة تفسر بها الكثير من القضايا اللغوية، فيفهم المتلقي معنى الاستفهام وينسجم مع النص من خلال ذلك الموقف وتلك الإيماءات.

## 2- هل الاستفهامية:

فرّق "سبويه" بين هل وهمزة الاستفهام بقوله: «هل ليست بتمثلة ألف الاستفهام، لأنك إذا قلت: هل تضرب زيداً؟ فلا يكون أن تدعي أن الضرب واقع، وقد تقول: أتضرب زيداً؟ وأنت تدعي أن الضرب واقع، ومما يدل على أن ألف الاستفهام ليست بتمثلة هل، أنك تقول للرجل: أطرباً؟ وأنت تعلم أنه طرب لتوبخه وتقرره، ولا تقول هذا بعد هل» <sup>2</sup>.

وقد وردت "هل" في الأحاديث القدسية واحداً وعشرين مرة، حيث وردت قبل شبه الجملة مرتين فقط، في حين كثر ورودها مع الجملة الفعلية وانعدم مع الجملة الاسمية مثل الهمزة، وهذا ما أكدته النحاة حين رأوا بأن الأصل في حروف الاستفهام ألا يليها إلا الفعل، إلا أنهم توسعوا فيها فابتدؤوا بعدها الأسماء <sup>3</sup>، ومع أن النحاة ذكروا أن توكيد المضارع يأتي كثيراً بعد "هل" <sup>4</sup>، إلا أننا لم نجد هذه الأفعال المضارعة مؤكدة لا بحرف النون ولا بغيره في الأحاديث القدسية، ولعلمهم استندوا في ذلك إلى نصوص القرآن الكريم أو أن الأمر يتعلق بالتوكيد المعنوي.

تدخل "هل" على الأسماء والأفعال لطلب التصديق الموجب لا غير، نحو: هل قام زيد؟ وهل زيد قام؟ وهي حرف لا معنى له غير الاستفهام، لكنها ترد لمعان بلاغية متعددة منها: بمعنى قد،

<sup>1</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 151.

<sup>2</sup> - سبويه: الكتاب، ج 3، ص 175-176.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1، ص 98-99.

<sup>4</sup> - المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص 143.

بمعنى إنَّ، النفي، التقرير والإثبات، الأمر<sup>1</sup>، وقد وجدنا في دراستنا التطبيقية أن "هل" أفادت كثيراً معنى التقرير والإثبات وحالات قليلة لمعنى النفي منها الحديث الذي سأل فيه الصحابة رسول الله عن إمكانية رؤيتهم ربهم يوم القيامة فأجابهم: {هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟}<sup>2</sup>، أي: لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ بما أنكم لا تضارون في رؤية الشمس والقمر، ونلاحظ هنا أن أداة الربط الاستفهامية "هل" تتجاوز معنى الاستفهام الجملي لتنتقل ذهنك عبر كامل النص لتكتشف في النهاية مرادها وهو ربط أفكار النص ربطاً بناءً بين واقع رؤية الشمس والقمر وبين مراد سؤال الصحابة وهو ما يؤكد تماسك الخطاب النبوي، في حين لم ترد "هل" بمعنى "قد" في الحديث القدسي ولعل الأمر يرجع إلى كون الاستفهام شك أكثر منه يقين، وفي حين أن "قد" تأتي لتحقيق أمر ثابت، فالمعنى بينهما إذن متباعد.

### 3- ما الاستفهامية:

وهي اسم استفهام بمثالة هذا وذاك، وهي بمعنى (أي شيء؟)، ويُسأل بها عن جنس وصفة وعين غير العاقل وعن جنس وصفة العاقل دون عينه، وهناك من أجاز السؤال عن عين إذا جهل أنها من العاقل، ولكن تكون الإجابة بذكر الصفات، فإذا قيل: ما عندك؟ أجبت: فرس و متاع،.. ولا يكون الجواب: زيد ولا عمرو، ولكن يجوز أن يقال: ما زيد؟ فتجيب بصفاته: طويل أو قصير، عاقل أو جاهل،..

وقد وردت "ما" في الأحاديث القدسية سبعاً وخمسين مرة، أي أكثر من تردد همزة الاستفهام في النص، وجاءت في تراكيب متنوعة منها:

- 1- مبتدأ وخبرها الجملة الفعلية: ثماني عشرة مرة ومثاله: عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إِنَّ اللَّهَ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقُولَ: مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ؟ فَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ عَبْدًا حُجَّتُهُ قَالَ: يَا رَبِّ رَجَوْتُكَ وَفَرَّقْتُ مِنَ النَّاسِ}<sup>3</sup>.
- 2- مبتدأ وخبرها شبه الجملة: خمس مرات ومثاله: عن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: {إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: أَتَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: رَبَّنَا وَمَا فَوْقَ مَا أُعْطِينَا؟ فَيَقُولُ: بَلْ رِضَايَ أَكْبَرُ}<sup>4</sup>، نلاحظ أن أداة الاستفهام الأولى جاءت للاستفهام الحقيقي

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ص 343-346.

<sup>2</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 108.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 176.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 61.



أما الأداة الثانية فجاءت للإجابة عن الاستفهام الأول واقتربت برابط إحالي هو ظرف المكان "فوق"، وجاءت الأداة "ما" لوظيفتين الأولى للاستفهام والثانية موصولة، ولا شك أنه النص يُطبع بطابع السبك والتماسك، من خلال هذا التشابك والتشابه في الروابط والتنوع في وظائفها والترتيب المناسب لها في النص.

3- خبراً مقدماً ومبتدئاً جملة اسمية: اثنين وعشرين مرة ومثالها: عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: {قَالَ إِبْلِيسُ: يَا رَبِّ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ إِلَّا جَعَلْتَ لَهُ رِزْقًا وَمَعِيشَةً فَمَا رِزْقِي؟ قَالَ: مَا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} <sup>1</sup>، بدءاً السؤال والجواب في هذا النص بالملفوظ نفسه وهو "ما" غير أن السياق يجعل الأولى استفهامية والثانية موصولة، ولا حظ كم أن هذا الحرف إلى جانب دوره التركيبي يلعب دوراً تعويضياً لأجزاء من النص حيث تنطوي تحته البنية القضيوية للسؤال وللجواب، وقد تبدأ هذه الجملة الاسمية بضمير منفصل أو اسم إشارة نحو جملة: (يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟) الواردة في حديث البطاقة المذكور آنفاً، حيث يفيد اقتران الأداة "ما" مع اسم الإشارة "هذه" التأثير في ذهن السامع بقلة قيمة البطاقة التي تحمل عبارة الشهادتين مقارنةً بذنوب العبد.

4- مسبوقة بحرف جر: ثماني مرات، حيث «تُحذف ألف "ما" إذا سبقها حرف جر، وتبقى الفتحة دليلاً عليها، نحو: فيم، إلام، حتام، علام، عم، مم، بيم، لم» <sup>2</sup>، مثاله: عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: {يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذاً بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي، وَيَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذاً بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلَانٍ فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ} <sup>3</sup>، فكل من حرف الجر "اللام" وأداة الاستفهام "ما" يعملان على الربط التركيبي والربط النصي، ولهذا فإن اجتماعهما سبب عملية حذف الألف للتخفيف، ولم يكن الحذف في هذا النص على مستوى ألف الرابط الاستفهامي "ما" المقترنة بالرابط حرف الجر مرتين هنا، بل نلاحظ أن النص متكون من شقين متطابقين في التركيب حذف في الثاني منه كلمتا: قَتَلْتُهُ، يا رب، لأنه بعدما تأكد رجلا الدور الثاني من عدل حكم الله عز وجل راح الرجل الشاكي يؤكد كلامه بـ "إن" مستغنياً عن النداء "يا رب"، وراح الرجل المشتكى منه يحذف

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص163.

<sup>2</sup> - سبويه: الكتاب، ج4، ص164.

<sup>3</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص199.

كلمة "قَتَلْتُهُ" لإحساسه بثقل الفعل المشين الملقى على عاتقه، هذا الحذف يجعلك تحس بخفة النص وتناسب أجزائه دون أن يكون أي خلل في إيصال المعنى.

وتقع "ماذا" في حكم "ما" فهي تأتي في العربية على أوجه<sup>1</sup>:

- أداة استفهام إذا سبقت بحرف جر، مثال: لماذا جئت؟.

- "ما" استفهامية و"ذا" اسم إشارة، نحو: ماذا التواني؟.

- "ما" استفهامية و"ذا" اسم موصول، نحو: ماذا يحاول المرء أن يفعل في الدنيا؟، فـ"ما"

مبتدأ، و"ذا" اسم موصول صلته جملة (يحاول المرء).

وردت أداة الاستفهام "ماذا" قليلاً في الأحاديث القدسية (أربع مرات)، مربوطة كلها بجملة فعلية، مثال حديث "أول خلق الله": عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ}<sup>2</sup>، حيث نلاحظ أنه يمكننا حذف الجملة التي تلي الرابط الاستفهامي "ماذا"، لأن القارئ يستطيع استنتاج ذلك بفضل اقتران أداة الاستفهام بأداة العطف "الواو" التي تربط الأجزاء اللاحقة من النص بأوله في فعل الأمر "اكتب"، كما أن الجملة الواردة جواباً للاستفهام تتضمن ذلك الفعل، وعليه فإن حذفه بعد أداة الاستفهام لا يمنع القارئ من تقديره بسهولة، بفضل تلاحم أجزاء النص بالرابطين الاستفهامي والعطف.

#### 4- من الاستفهامية:

هي اسم استفهام يسأل بها عن العاقل، وردت خمس عشرة مرة في تراكيب متنوعة منها:

1- مبتدأً وخبرها جملة فعلية ثماني مرات: في حديث "فضل الدعاء والصلاة آخر الليل": عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: {يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟}<sup>3</sup>، أداة الاستفهام هنا تتضمن أيضاً معنى الشرط: مَنْ يفعل يُجزى، أي أن السؤال جاء مقترناً مع الجزاء، ومعنى العرض فالله عز وجل يعرض علينا كرمه كل ليلة، ولذلك تلاحظ أن النص بقي متسقاً متماسكاً حتى قبل أن تحصل الإجابة على السؤال، وكثرة استعمال لفظ "مَنْ" يجعلك تحس بالرغبة الكبيرة عند الله سبحانه وتعالى في إيجاد هؤلاء العباد الذين يتواصلون معه في

<sup>1</sup> ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص395-396.

<sup>2</sup> مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص163.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص155.

ذلك الوقت الذي ينام فيه الناس، وفي تكرار تلك الأداة تشعر أن قائلها يفتش بإلحاح عن المستفهم عنه في كل مكان، بل ويذكره بما يمكن أن يقوم به وهو الدعاء والسؤال والاستغفار رغم أن هذين الأخيرين متضمنين في الدعاء أي تكرار معنوي، ومن خلال هذا الرابط الاستفهامي فإن الله عز وجل يريدنا جميعاً أن نرتبط به لعلنا نقوم سعيًا إلى اغتنام تلك الفرص قبل أن تفوت علينا، بعد أن نكون قد تأثرنا بمضمون الرسالة وانسجمنا مع نصها.

2- خبراً مقدماً ومبتدئاً جملة اسمية سبع مرات: في حديث "تحذير المقنطين من رحمة الله" عن جندب -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ حَدَّثَ: {أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرُ لِفُلَانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ} <sup>1</sup>، وفي هذا السؤال استنكار من الله عز وجل لوجود من يمكن أن يتقول على لسانه ما لا يستطيع تحقيقه، فالغفران والرحمة بيد الله وليست بيد أحد من البشر، وجاء بعد أداة الاستفهام "مَنْ" رابطتين إحاليتين هما اسم الإشارة "ذا" واسم الموصول "الذي"، وكلها روابط تتراصف في النص وتتضافر من أجل تماسك النص واتساقه، مؤدية المعنى المطلوب.

إن ارتباط أداة الاستفهام "مَنْ" بهذا الكم المتنوع من التراكيب يجعل النص مترابطاً متسقاً متماسكاً، وتقدم على كثير منها فعل القول، ف وقعت محكية بالقول، وهذا يميل إلى إفادة معاني: العتاب والتحسر والتنبيه والتهكم دون النفي، وهو ما يجعل المتلقي في تأثر متواصل وتعاطف مع هذا الاستفهام وانسجام مع نصوصه.

## 5- كيف الاستفهامية:

توظف للسؤال عن الحال ويكثر أن يليها الفعل <sup>2</sup>، وقد وردت في الأحاديث القدسية تسع مرات أغلبها قبل الجملة الفعلية مثل حديث فضيلة صلاة الفجر وصلاة العصر: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قَالَ: {يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَرْجُؤُ الَّذِينَ بَاثُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ- كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ} <sup>3</sup>، أدت الأداة "كيف" معنى الاستفهام الحقيقي، وحققت فعلاً كلامياً في الجمل التي تليها هو تفاخر الخالق أمام الملائكة بطاعة عباده له، وهو إحدى مظاهر التماسك والانسجام في سائر أجزاء النص.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 30.

<sup>2</sup> - سبويه: الكتاب، ج 4، ص 233.

<sup>3</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 159.

## 6- أي الاستفهامية:

تأتي "أي" في العربية شرطية واستفهامية وموصولة ونكرة موصوفة ودالة على الكمال، ووصلة إلى نداء ما فيه أل، نحو: يا أيها الرجل<sup>1</sup>، ولا بد من إضافة "أي" إلا في النداء والحكاية، تقول: جاءني رجل، فتقول: أيُّ يا هذا؟، وهي بمتزلة "مَنْ" أو "ما"، قال سبويه: «اعلم أن "أي" مضافاً وغير مضاف بمتزلة مَنْ، ألا ترى أنك تقول: أي أفضل؟ وأي القوم أفضل؟ فصار المضاف وغير المضاف يجريان مجرى مَنْ»<sup>2</sup>.

وقد وردت استفهامية في الأحاديث القدسية خمس مرات مرتبطة كلها بالجملة الاسمية، مثال حديث "فضل بعض صيغ الحمد": عن أنس -رضي الله عنه- قال: جاء رجل والنبي في الصلاة فقال: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال: {أَيُّكُمْ الْقَائِلُ كَذَا وَكَذَا؟} فأرّم القوم، قال: فأعادها ثلاث مرات، فقال الرجل: أنا قُلتها وما أردتُ بها إلا الخير، قال النبي ﷺ: {لَقَدْ ابْتَدَرَهَا اثْنَا عَشَرَ مَلَكاً فَمَا دَرَوْا كَيْفَ يَكْتُبُونَهَا حَتَّى سَأَلُوا رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: أُكْتُبُوهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي}<sup>3</sup>، على مستوى التركيب الجملي فإن أداة الاستفهام "أي" جاءت مضافة إلى الضمير المتصل "كم"، وهي هنا ركن من أركان الجملة الاسمية فهي هنا خبر مقدم للمبتدأ (القائل)، أما في البنية النصية فإن الضمير يحيل إلى جماعة الحاضرين مع رسول الله خارج النص، والأداة "أي" تربط بين القضية المحمولة في القول الذي سمعه الرسول أثناء صلاته وبين المستفهم عنه القائل بهذه القضية، كما تجاوزت ذلك إلى تعلق ذهن القارئ بكامل المستوى النصي لمتابعة جزاء ذلك القول، وهو ما يؤكد تماسك هذا النص بواسطة الرابط الاستفهامي "أي".

## 7- أين الاستفهامية:

لا يستفهم بها إلا للأماكن، نظير "متى" التي لا تكون إلا للأيام والليالي<sup>4</sup>، ووردت مرتين فقط في الأحاديث القدسية، مثال: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: {يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ يَمِينَهُ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟}<sup>5</sup>، ارتبطت أداة الاستفهام "أين" بجملة اسمية، فوقعت خبراً واجب التقديم على المبتدأ، لأن من أحوال وجوب تقديم الخبر على المبتدأ أن يكون الخبر مما له الصدارة كأسماء الاستفهام، وبعد نهاية النص

<sup>1</sup> ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 107-109.

<sup>2</sup> سبويه: الكتاب، ج 2، ص 398.

<sup>3</sup> مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 213-214.

<sup>4</sup> سبويه: الكتاب، ج 3، ص 99.

<sup>5</sup> مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 103.

لا تجد من يجيب على هذا السؤال فتحس أن الخطاب موجه إليك أيضا وليس إلى ملوك الأرض فحسب، وأنه يحمل معنى تعظيم الله وإهانة وتحقير من كان يتجبر في الأرض ويظلم، وحين تتفاعل مع هذا النص محاولاً أن تجيب في داخلك بأن لا ملك أكبر وأعظم من الله، تكون قد شاركت في تحقيق اتساق النص وانسجامه.

## 8- أنى الاستفهامية:

هي من أدوات الاستفهام ومن الظروف التي تفيد معنى الشرط، قال سبويه: «وما يجازى به من الظروف: أي حين، ومتى، وأين، وأنى، وحيثما»<sup>1</sup>، وقد وردت في الأحاديث القدسية ثلاث مرات منها حديث فضل الإنفاق: عن بسر بن حجاج القرشي قال: بَرَقَ النبي ﷺ في كفه ثم وضع إصبعه السبابة وقال: {يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَّى تُعْجِزُنِي ابْنُ آدَمَ؟ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ فَإِذَا بَلَغْتَ نَفْسُكَ هَذِهِ (وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ) قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ: وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ؟}<sup>2</sup>، أتت "أنى" في النص بمعنى "كيف" حين ارتبطت بالفعل، ثم بمعنى "أين" حين ارتبطت بالاسم، هذا الترابط التركيبي هو ما أكمل اتساق النص الذي ينطلق في كل مرة بالإشارات البدنية: (بزق في كفه، وضع السبابة، أشار إلى حلقة).

في النهاية بحثنا عن حديث يضم أكبر قدر من أدوات الاستفهام لكشف مدى تأثيرها في اتساقه وانسجامه، فوجدنا حديث "فضل الذكر": عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: {إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتُكُمْ، فَيَحْفُوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ-: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ تَقُولُ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ يَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي

<sup>1</sup> - سبويه: الكتاب، ج3، ص56.

<sup>2</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص153.

غَفَرْتُ لَهُمْ، يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْتَقِي جَلِيسُهُمْ<sup>1</sup>.

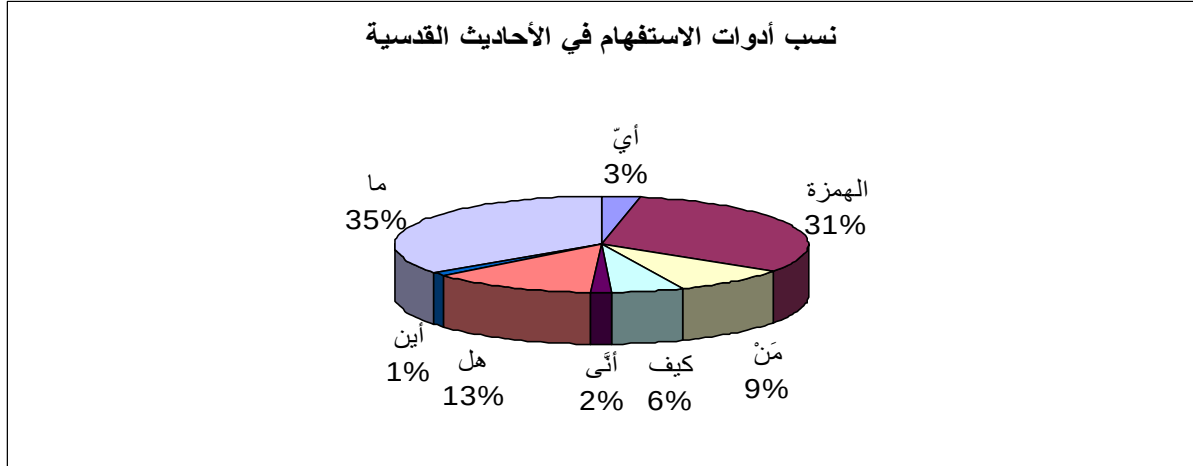
أحصينا تسع أدوات استفهام في نص هذا الحديث، تنوعت بين: ما، هل، كيف، وسبب كثرة وتنوع هذه الأدوات هو اعتماد الخطاب على الحوار الذي دار بين الملائكة وخالقهم، ويدور موضوعه حول فضل الذكر ومجالسة الصالحين، حيث إن هؤلاء الملائكة يبتغون مجالس الذكر فكلما وجدوا مجلساً تنادوا ليقعدوا معهم، فإذا تفرقوا عرجوا إلى السماء، أين يسألهم الله عز وجل عن حالة هؤلاء العباد -وهو أعلم بهم- فيجيبونه أنهم يُسَبِّحونه ويُكَبِّرونه ويحمّدونه ويمجّدونه، ويسألونه الجنة ويستجيرون من ناره، فيسألهم في كل مرة إن كانوا رأوه أو رأوا جنته أو ناره، تعجباً من حالهم وقد سمعوا بها فقط دون أن يروها، فيستجيب لدعائهم ويغفر لهم حتى العبد الخطأ الذي جالسهم فقط، فمثلاً في عبارة: فكيف لو رأوها؟ نلاحظ أن أداة الاستفهام "كيف" وردت في موقع الحال فكانت جزءاً من جملة فعلية، وتكرارها واقتراحها بأداة الشرط "لو" قد أخرج الاستفهام إلى معنى التعظيم، أي أن العباد الطائعين لو رأوا جنة الله وناره لزادهم ذلك طاعة ومحافة، ثم إن تضافر هذه الأداة مع الروابط الاستفهامية الأخرى (ما، هل) في هذا الحديث أدى إلى اتساق النص وتفعيل الحوار وتشويق السامع وتمتعه أثناء تصوير وعرض حالة الذاكرين في كل مشهد وتناجحها في النهاية، ليصل إلى حالة من التواصل والتأثر والاقتناع بفكرة محورية أساسية وهي: "فضل مجالس الذكر".

نخلص في النهاية إلى أن أدوات الاستفهام كانت حاضرة في نصوص الأحاديث المقدسة ثلاثاً وستين بعد المئة مرة، وفي الغالب كانت متصدرة للجملة، وعملت على الربط بين أجزاء النص وتماسكه والتحام القارئ بمعانيه وانسجامه معه، غير أن الملاحظ أن هذه الأدوات لم ترد ليكون لجمالها جواباً ولكن لأداء معاني أخرى تكسب النص جمالاً وتأثيراً لدى المتلقي، وهناك أدوات أخرى لم ترد مثل: متى، كم، أيان، ورغم أن النحاة قالوا بأن الأصل في أدوات الاستفهام أن يليها الأفعال<sup>2</sup> إلا أن هذه الأدوات في نصوص الأحاديث القدسية تعاقب عليها الأسماء مثل الأفعال، ووجود أدوات الاستفهام في بداية التركيب اللغوي للنصوص، يجعل المتأمل يكتشف وظائفها

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 38-39.

<sup>2</sup> - سبويه: الكتاب، ج 3، ص 115.

الربطية بين أجزاء التركيب ويتيقن بمدى اتساق هذه النصوص ويتذوق طعم انسجامها، وما يزين هذه التوضيحات البيان التالي الذي يوضح نسب أدوات الاستفهام في الأحاديث القدسية:



### ثالثاً - أدوات النفي:

أدوات النفي هي تلك الأدوات التي تنفي حدوث الفعل أو الاسم نفيًا صريحًا، وهي كما يلي<sup>1</sup>:

- لا، ما، لات، إن، وتعمل عمل (ليس).
- ليس، وهي من أخوات (كان) وتفيد غالباً نفي الحال.
- لم، لما، وهما من جوازم المضارع.
- لن، وهي من نواصب المضارع.

وهذه الأدوات منها العامل وغير العامل (المهمل) ومنها ما يعمل بشروط ومنها ما يعمل تارة ويهمل تارة أخرى، ولها معنى عام هو النفي، ومعنى خاص تفرعي كنفي الوحدة والجنس والحدث وما إلى ذلك، وجاءت هذه الأدوات مفرقة في أبواب شتى لأن النحاة لم يفرّدوا لها باباً مستقلاً. ومما يلاحظ أن أدوات النفي لا تخلو من الأصوات الأنفية (اللام والميم والنون)، وكأن النافي بها يحرص على الرفض والاحتجاج عن طريق الاستغناء عن المخارج الفموية الأكثر استعمالاً، والتعبير بدلها بالمخرج الأنفي، لأن الأنف رمز الشمم والإباء عند العرب.

والنفي في اللغة: نَفَى الشَّيْءُ يَنْفِي نَفِيًّا: تَنَحَّى، وانتفى شعْرُ الإنسان ونفى إذا تساقط<sup>2</sup>.

ويعرفه "الشريف الجرجاني" بأنه ما لا ينجزم بلا، وهو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل، ويرى أنه أعم من الجحد، لأن الجحد عنده هو ما انجزم بلم لنفي الماضي، وهو عبارة عن الإخبار

<sup>1</sup> - أنظر: ابن عقيل: شرح بن عقيل على ألفية بن مالك، ج1، ص261.

<sup>2</sup> - ابن منظور: لسان العرب، مج06، ص50، ج4511 (مادة نفي).

عن ترك الفعل في الماضي<sup>1</sup>، غير أن الجحد في الواقع غالباً ما يقصد به كلام النافي الذي يعلم كذب ما نفاه.

## 1- لا النافية:

حرف "لا" ثلاثة أنواع: نافية وناهية وزائدة، وما يهمنا هنا هو "لا" النافية، وهي تقع في بداية التركيب وتدخل على المضارع والماضي والجملة الاسمية، وتفيد نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها نفياً نصياً، ويشترط لعملها أن لا تتكرر، وأن لا يفصل بينها وبين اسمها فاصل<sup>2</sup>، وهي من أكثر أدوات النفي استعمالاً في الأحاديث القدسية حيث وردت فيها مئة وثمانين مرة، وتقسم "لا" النافية إلى ثلاثة أقسام: النافية للجنس والعاملة عمل ليس وغير العاملة.

### أ- لا النافية للجنس:

تعمل عمل "إن" وتدخل على النكرات فقط، ولا يتقدم خبرها على اسمها، ويكثر حذف خبرها إذا علم، ويجوز إلغاء عملها إذا تكررت، وهي تنفي الجنس استغراقاً وتخصيصاً، ويكون اسمها مبنياً إذا كان مفرداً، ومنصوباً إذا كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف<sup>3</sup>، وردت سبعاً وعشرين مرة، مثال: عن أبي هريرة وأبي سعيد -رضي الله عنهما- أنهما شهدا على رسول الله ﷺ: {إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي}<sup>4</sup>، تكررت الأداة النافية للجنس "لا" في هذا الحديث وحده خمس عشرة مرة، ومن خلال ذلك عملت على ربط أجزاء الكلام والتحامها لتشكيل كتلة واحدة هي فضل شهادة (لا إله إلا الله) واقرنت أداة النفي بأداة الاستثناء "إلا" الواردة في جملة خبر أداة النفي، للحصول على معنى القصر فالإلهية تقتصر على الله فقط، ويجوز في (لا إله) و(لا حول) و(لا قوة) أن تُعرب "لا" نافية للجنس تعمل عمل "إن"

<sup>1</sup> - الجرجاني، علي بن محمد الشريفي (740-816هـ): التعريفات، تحقيق نصر الدين تونسي، شركة القدس للتصدير، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص85 و273.

<sup>2</sup> - أنظر: محمد علي أبو عباس: الإعراب الميسر، دار الطلائع، القاهرة، مصر، د.ط، 1997، ص46.

<sup>3</sup> - ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص313-314.

<sup>4</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص41.



فِيُنصَبُ الاسم بعدها، أو عاملة عمل ليس فيرتفع الاسم بعدها، أو غير عاملة فيرتفع ما بعدها على الابتداء، وذلك لتكرارها مع العطف<sup>1</sup>.

#### ب- لا العاملة عمل ليس:

تدخل على النكرات فقط، ولا يتقدم خبرها عليها أو على اسمها، ولا يفصل بينها وبين اسمها فاصل، ولا تزداد بعدها "إن"، ولا ينتقض نفي خبرها بإلا، وتخالف "ليس" في كون عملها قليل وذكر خبرها قليل<sup>2</sup>، ولم ترد في الأحاديث القدسية إلا في حديث (بيان بعض ما أعده الله لعباده الصالحين): عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: {قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ}<sup>3</sup>، وهي هنا عاملة رفعت الاسم وخبرها جملة فعلية، وقد تكون مهملة وما بعدها مبتدأ، ويتفرد هذا الحديث من بين الأحاديث القدسية الأخرى من حيث أنه الوحيد الذي جاء فيه فعل ماضٍ (خطر) بعد أداة النفي "لا" التي غالباً ما تدخل على الفعل المضارع، وكل الجمل المنفية المقترنة بأداة النفي "لا" تتربط فيما بينها لتكون مقطع واحد يمثل صلة لسم الموصول "ما"، وهو ما يبين التحام هذه الجمل واتساقها في النص.

#### ج- لا غير العاملة:

وهي ثلاثة أقسام<sup>4</sup>:

1- لا الجوابية: وهي نقيض (نعم) نحو الإجابة بـ "لا" عن السؤال: هل قام زيد؟، وردت ثماني عشرة مرة، ومن ذلك: حديث (نعيم الدنيا وبؤسها في الآخرة): عن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: {يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ كَانَ بَلَاءٌ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: إَصْبَغُوهُ صِبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيَصْبَغُونَهُ فِيهَا صِبْغَةً، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ، أَوْ شَيْئاً تَكْرَهُهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعَزَّتْكَ مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَكْرَهُهُ قَطُّ، ثُمَّ يُؤْتَى بِأَنَعَمِ النَّاسِ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُولُ: إَصْبَغُوهُ فِيهَا صِبْغَةً فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ، قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعَزَّتْكَ مَا رَأَيْتُ خَيْراً قَطُّ، وَلَا قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ}<sup>5</sup>، ففي عبارة (لا وعزتك) جاءت الأداة "لا" جوابية وتصدرت جملة جواب الاستفهام، ولو غيرنا مكانها من صدارة الكلام إلى موضع آخر

<sup>1</sup> ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص399.

<sup>2</sup> ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص315.

<sup>3</sup> مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص60.

<sup>4</sup> أنظر: المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص294-299.

<sup>5</sup> مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص96-97.

لاختل اتساق الكلام، بل إن الابتداء بها يعني ربط ما سيأتي من الكلام بما سبقه من استفهام وهذا الترابط هو دعامة للاتساق أيضاً في نص الحديث.

2- لا العاطفة: وهي تُشرك في الإعراب دون المعنى، وتعطف الإيجاب نحو: يقوم زيد لا عمرو، حيث وردت في الأحاديث القدسية سبع عشرة مرة، مثالها العبارة التي وردت في الحديث السابق (ولا قرة عين قط) حيث أن "لا" لعبت دور عطف الكلام الذي بعدها على الكلام المنفي الذي كان قبلها (ما رأيتُ خيراً قط)، وهذه الصفة الوصلية فيها بينت أن أداة النفي لا تكتفي بخاصية النفي فحسب بل تتجاوز ذلك إلى الربط والوصل والعطف لبناء تركيب نصي متماسك.

3- لا النافية: وهي غير العاطفة وغير الجوابية، تدخل على الأسماء والأفعال، فإذا دخلت على الفعل فغالباً ما يكون مضارعاً وقليلًا ما يكون ماضياً، وإذا دخلت على الاسم فيكون مبتدئاً أو خبراً مقدماً، وفي الأحاديث القدسية نفت "لا" النافية غير العاملة الأفعال المضارعة زهاء مئة وسبع عشرة مرة، مثال: عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَزْنَ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أُعْطِيتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ عَامَّةٍ، وَالْأَسْلَطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا<sup>1</sup>، فقد وردت الأداة "لا" في بداية التركيب سابقة للفعل المضارع وأفادت نفياً نصياً، ولا يجوز أن نقول: أهلكهم لا، قاصدين نفي إهلاك القوم، وعدم إمكانية أن نقول ما كنا نريد يدلنا دلالة واضحة على الاتساق القائم بين ألفاظ هذا التركيب، وتكررت أداة النفي "لا" خمس مرات اقترنت فيها بأن المصدرية ماعداً في جملة (لا يرد) التي جاءت كلها خبراً للناسخ "إن"، ولتفادي تكرار "أن" المصدرية فقد أدغمت مع أداة النفي "لا" في آخر محطتها لها في النص، حتى يخرج النص في نسيج محبوبك مسبوك.

وأكثر النحاة لا يجعلون النفي مستقبلياً فقط بل يتعدى هذا الزمن<sup>2</sup>، حيث نلاحظ في الأحاديث القدسية أن النفي بلا للمضارع يفيد مطلق الزمن، إذ المعاني المذكورة معها تدل على

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 133-134.

<sup>2</sup> - المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص 296.

الماضي والحاضر والمستقبل إلى يوم القيامة من ذلك في الحديث: (لا يُرَدُّ، لا أهلكهم، لا أسلط) فعدم رد قضاء الله يتحقق في الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، وفي بداية النص حين استعمل الرسول ﷺ أداة النفي "لا" إنما خرج بها لغرض الدعاء وسؤال الله لأمتيه (أن لا يهلكها، أن لا يسقط عليهم)، ولا شك أن معنى الدعاء يملكك للتعلم. بمعاني النص والانسجام معه متأثراً بفكرة فضل أمة محمد ﷺ في نبينا الذي لا يتوان يدافع عنها ويحرص على أمنها واستقرارها في الدنيا والآخرة.

ووجدنا أنما نفت الأفعال الماضية مرة واحدة فقط: (ولا خطرَ على قلب بشر) فحملت معنى "لم"، فقلوبه: ولا خطرَ، أي لم يخطر، أي يمكن أن تحل الأداة "لم" محل الأداة "لا"، بشرط حلول الصيغة (يخطر) محل الصيغة (خطر)، وهذا التعالق في استعمال الصيغ وأدوات النفي يقوي تماسك النص وانسجامه.

## 2- ما النافية:

تدخل على الأسماء فتعمل وتعمل، وتدخل على الأفعال فتعمل، مثال: ما قام زيدٌ، وما يقوم عمرو، وهي تنفي الحال عند الجمهور، وقد يراد بها الاستقبال<sup>1</sup> نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي﴾<sup>15</sup>، فهي لم تختص بالدخول على الأسماء أو بالدخول على الأفعال، والحروف التي لا تختص بالدخول على صنف معين لا تعمل<sup>2</sup>، وعدم اختصاصها هو الذي جعل التميميين يهملونها بخلاف الحجازيين الذين أعملوها<sup>3</sup> وأعطوها القدرة على النصب.

وهي تعمل عمل ليس بشروط: أن لا تتكرر، ولا ينتقض نفيها بإلاً، ولا تزداد بعدها "إن"، ولا يتقدم خبرها أو معمول خبرها على اسمها، وأن لا يبدل من خبرها موجب<sup>4</sup>.

وردت "ما" ثمان وعشرين مرة في الأحاديث القدسية، اقترنت فيها تسع عشرة مرة بالجملة الفعلية، وتسع مرات على الجملة الاسمية كما يلي:

1- على الجملة الفعلية: وأكثرها على الفعل الماضي مثال حديث (الترهيب من الانتحار): عن جندب بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: {كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزَعَ فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَادَرْنِي عَبْدِي

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص329.

<sup>2</sup>- أنظر: إميل بديع يعقوب: موسوعة الحروف في اللغة العربية، ص428.

<sup>3</sup>- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج1، ص89.

<sup>4</sup>- المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص322.

بِنَفْسِهِ حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ<sup>1</sup>، وهنا نفت أداة النفي "ما" الفعل الماضي (رَقًا)، ورأينا أن الحرف المقصود إنما كان موقعه بداية الكلام ولو أردنا أن نغير موقعه إلى غير تلك الرتبة لرفض مطلب اتساق النص ذلك لما يترتب عنه من نشاز وتنافر في اللغة، فهذه الأداة النافية سواء وقعت سابقة للأسماء أو الأفعال فقد حققت الترابط مع العنصر اللغوي الذي دخلت عليه وجعلت المعنى تاما متسقا بين أجزاء الكلام، وأدت وظيفتها اللغوية النصية بعد أن قبلها النص الذي تواجدت فيه وتفاعلت مع عناصره، فهذه الأداة تؤدي دور المضامة في النص التي تعتبر سبيل كشف الاتساق.

على الجملة الاسمية، مثال: عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: {يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد..}<sup>2</sup>، جاءت "ما" الأولى استفهامية، أما "ما" الثانية فنافية وكتلتاهما عملت على اتساق أجزاء النص، فأداة النفي "ما" دخلت على جملة اسمية فاسمها هو الضمير المنفصل وجاء خبرها مجرور بحرف جر زائد فيجوز فيها الإهمال والإعمال، فعندما تكون "ما" عاملة عمل ليس فإن اسمها (هم) في محل رفع وخبرها (سكارى) في محل نصب، وعند الإهمال يكون الضمير (هم) في محل رفع مبتدأ خبره (سكارى)، وذهب النحاة إلى أن الباء إنما تزد مع "ما" الحجازية العاملة، ولا تزد مع "ما" التميمية المهملة، ومنهم من رأى بألفها تزد لكليهما<sup>3</sup>.

### 3- ليس النافية:

وهي من أدوات نفي الحال، ويرى جمهور النحاة أنها فعل لا يتصرف لاتصالها بعلامات الفعل الماضي من ضمائر الرفع نحو: لست، لست، لستم، لستم، لستن، وتاء التانيث الساكنة نحو: ليست، وذهب ابن السراج وجماعة من أصحابه إلى أنها حرف بتمثلة "ما"<sup>4</sup>. وردت في الأحاديث القدسية ثمان عشرة مرة منها حديث (الشفاعة): عن أنس بن مالك قال: حدثنا محمد ﷺ قال: {إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَآجِ النَّاسِ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ

<sup>1</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 198.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 97-98.

<sup>3</sup> - المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص 54.

<sup>4</sup> - أنظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 387.

لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ<sup>٢</sup>، فَيَأْتُونَني فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا..<sup>١</sup>، نلاحظ في هذا الحديث أن كلاً من الأنبياء: آدم، إبراهيم، موسى، عيسى، ينفي عن نفسه امتياز الشفاعة مستعملاً الأداة "ليس" المقترنة باسمها ضمير المتكلم المتصل (التاء) وخبرها جارٌّ ومجرور (لها)، فجاء كلامهم واحداً (لست لها) مما يبين وحدة كتلة هذا النص في قضية من يختص بالشفاعة، وفي نفس السياق وشفقةً بالعباد يستدرك كلٌّ منهم بالأداة "لكن" فيدلهم على من بعده من الأنبياء ممن يحتمل أن تكون له الشفاعة بحكم توفره على صفات تبين تفضيل الله له، غير أن هذا الاستدراك ينتهي عند آخر الأنبياء وخيرتهم محمد<sup>٣</sup> الذي اختص بحق الشفاعة، ويبدو واضحاً إحكام هذا النسيج النصي بفضل أداة النفي "ليس" وما لازمها من أدوات أخرى خصوصاً أداة الاستدراك "لكن".

#### 4- لم النافية:

هي حرف نفي في الماضي، تدخل على المضارع فتصرف معناه إلى الماضي، كما تدخل على ماضي اللفظ فتصرف لفظه إلى المبهم دون معناه، وقد تكون ناصبةً أو غير عاملة، وقيل أن أصلها "لا" فأبدلت الألف ميماً لأن الفعل بعدها قد يقع مرفوعاً لغة لا ضرورة<sup>٢</sup>. وقد وردت "لم" في الأحاديث القدسية ستين مرة حيث دخلت على المضارع فقط، وعززت دورها في اتساق النص أحياناً أدوات أخرى مثل أدوات الشرط أو الاستفهام أو العطف أو النصب، مثال حديث (كذَّبني ابن آدم): عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله<sup>٣</sup> قال: {قال الله تعالى: كَذَّبني ابنُ آدمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُوَلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ<sup>٣</sup>}، في البداية تلاحظ التناسق قائماً بين آخر الحديث وسورة الصمد، ثم تعود إلى أداة النفي "لم" فتجدها قد تكررت خمس مرات وكان فعلها مضارعاً ومضارعاً ناقصاً، واقرنت بأداة العطف الواو، فكل أجزاء النص تتضمن بأداة النفي "لم" وتتسق في معنى واحد هو نفي الله عن نفسه كل الأكاذيب والشتائم التي ارتكبتها العبد في حق الواحد الصمد.

<sup>١</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 121-122.

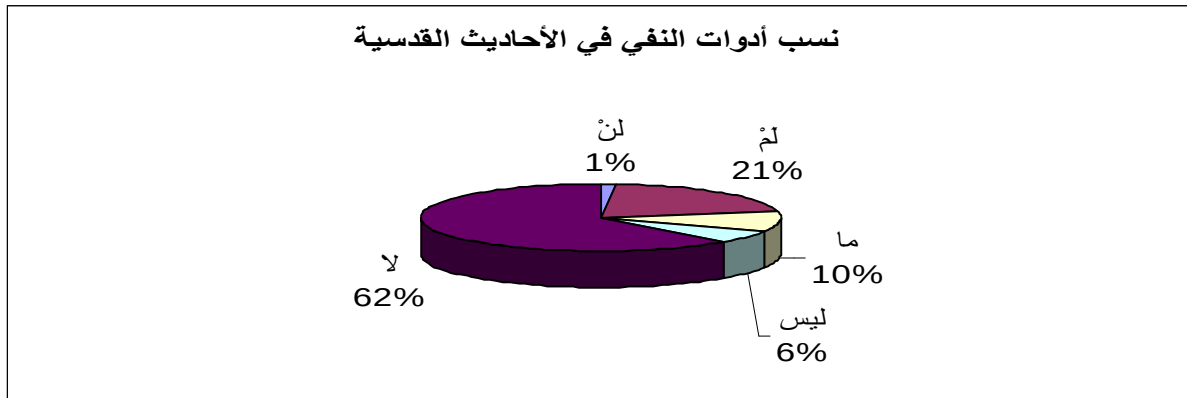
<sup>٢</sup> - أنظر: المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص 267.

<sup>٣</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 183.

## 5- لن النافية:

هي حرف نفي ينصب المضارع ويخلصه للاستقبال، واختلف النحاة فيها هل هي مركبة أم مفردة وهل تفيد نفي التأييد أم لا؟<sup>1</sup>، وجاءت في الأحاديث القدسية أربع مرات منها ما جاء في الحديث القدسي الأخير: (لن يُعبدني) وقعت هي وفعلها المضارع المنصوب بها في جملة مقول القول، التي تضم تكذيب العبد لخالقه وهي الفكرة التي تحاول مقاطع النص الاتساق فيما بينها للتوحد في معناها والانسجام معها.

مما سبق يتبين أن أدوات النفي تربط الجمل المنفية بالنص وتجعلها أخباراً وأحوالاً وصفات وأجوبة للشرط والقسم، وغير ذلك مما يزيد في اتساق النص والتحام أجزائه، وأنه مع غلبة النفي في زمن معين على أداة من الأدوات، إلا أن المعنى يبقى قيداً لإفادة الزمن، ويمكن أن تحل إحدى أدوات النفي مكان الأخرى إذا اتفقتا في المعنى الذي تؤديه، ووجدنا في الأحاديث القدسية ما ذكره النحاة حقاً من كثرة دخول "ما" على الماضي، غير أنه توجد أدوات نفي أخرى لم ترد في الأحاديث القدسية، مثل: لات، إن، لما، في حين سيطر بوضوح استعمال أداتي النفي "لا" و"لم" لارتباطهما بالفعل المضارع مما يشعر بحياة وحركة الحديث القدسي واستمراره في الزمن واتصاله وانسجامه الوثيق بحياة البشر، والعمل الإحصائي لنسب أدوات النفي في الأحاديث القدسية تبينه الدائرة النسبية التالية:



## رابعاً- أدوات النداء:

أدوات النداء هي: يا، أيا، هيا، أي، وا، الهمزة، وتختص كلها بالدخول على الأسماء، فإن دخلت على غير الاسم فإنها حينئذ تدل على التنبيه لا على النداء<sup>2</sup>، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنَّا

<sup>1</sup> - أنظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص373.

<sup>2</sup> - ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج2، ص255.

نُرْدُ وَلَا نُكْذِبُ بآيَاتِ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>1</sup> الأنعام 27، وترتبط أداة النداء مباشرة بالمنادى، والمنادى نوع من المفعول به الذي حذف فعله، وتقدير الفعل المحذوف: أدعو، وأنادي<sup>1</sup>.  
والنداء والنداء في اللغة هو الصوت مثل الدعاء والرغاء، وقد ناداه ونادى به مناداةً ونداءً، أي صاح به، والنداء ممدودٌ، الدعاء بأرفع صوت<sup>2</sup>.

والنداء عند النحاة هو «طلب إقبال المخاطب بأحد حروف النداء، والمراد بالإقبال مطلق الإجابة»<sup>3</sup>، أي هو طلب يتضمن دعوة شخص باسمه أو بصفة من صفاته ليقبل عليك أو ينتبه إلى الإصغاء إليك، واللسان العربي ينتشر فيه النداء بشكل ملفت للانتباه، فقد كان العربي كثيراً ما ينادي الأخ والصديق والمحبة والراحلة والشجر وغير ذلك من الأشياء التي تنادي والتي لا تنادي، ولعل انتشار النداء في العربية وبداية كلامها بالفعل أكثر من الاسم هو ما يبرر قول البعض بأنها لغة وجدانية أي تؤثر في وجدان المتلقي، ولا ريب أن ذلك من دواعي انسجام المتلقي مع النصوص التي تكثر فيها أدوات النداء.

وقد ورد المنادى في الحديث القدسي مفرداً وتنوع بين: يا آدم، يا محمد، يا موسى، يا جبريل، يا إبراهيم، يا نوح، يا أيوب، يا هذا، ويرى النحاة أنه إذا نودي اسم الإشارة وجب وصفه بما فيه "ال" من اسم الجنس أو موصول، نحو: يا هذا الرجل، يا هذا الذي قام أبوه<sup>4</sup>، كما ورد المنادى مضافاً وتنوع بين: يا ابن آدم، يا رسول الله، يا نبي الله، يا عبادي، يا أهل الجنة، يا أهل النار، يا ربّ وهنا مضاف لياء المتكلم المحذوفة على تقدير (يا ري)، قال سبويه: «وإن شئت قلت حذفوا الياء لكثرة هذا في كلامهم»<sup>5</sup>.

وفي دراستنا لنصوص الحديث القدسي لا حظنا استعمال الربط فيها بأدوات النداء مئة وخمس وعشرين مرة لم تخرج عن الأدوات: يا، أي، أيا، كما يلي:

1- يا:

وهي لنداء البعيد حقيقة أو حكماً والقريب تأكيداً<sup>6</sup>، وهي أم باب النداء لذلك كانت من أكثر أدوات النداء استعمالاً في الحديث القدسي بعدد واحد وتسعين مرة، وقد نودي بها البعيد

<sup>1</sup> - السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج3، ص32.

<sup>2</sup> - ابن منظور: لسان العرب، مج06، ج48، ص4388 (مادة نداء).

<sup>3</sup> - ابن الحاجب: الإيضاح في شرح المفصل، ج2، ص220.

<sup>4</sup> - السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج3، ص49.

<sup>5</sup> - سبويه: الكتاب، ج2، ص214.

<sup>6</sup> - أنظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص488.

حكماً بغرض التقرب مثل: يا ربّ، يا ربنا، كما نودي بها القريب مثل: يا عبادي، يا جبريل، فالله عز وجل قريب من خلقه.

وكلمة "اللهم" التي تعتبر في النحو للنداء وفي المعاني للدعاء، أصلها "يا الله" فاستبدلت الياء بالميم، قال "سبويه": «قال الخليل رحمه الله: اللهم نداء والميم هاهنا بدل من ياء، ..»<sup>1</sup>، وقد اختلف في هذا النحاة، ولعل الرأي أن كلمة "اللهم" هي منادى مبني في محل نصب مثل الأعلام المنادى عليها وحرف النداء فيها محذوف<sup>2</sup>، وقد وردت في الأحاديث القدسية مرة واحدة، وهي ذات خصوصية ودلالة عميقة فهي تشعرك بالقرب من الله عز وجل حين تهتف به بثقة وأمان منسجماً مع الدعاء والرجاء.

وعن الربط بالأداة "يا" نورد هذا المثال: عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {يَقُولُ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا قَلْبِكَ غِنًى، وَأَمَلًا يَدَيْكَ رِزْقًا، يَا ابْنَ آدَمَ لَا تُبَاعِدْ مِنِّي فَأَمَلًا قَلْبِكَ فَقْرًا، وَأَمَلًا يَدَيْكَ شُغْلًا}<sup>3</sup>، يتسق هذا النص بارتباط حرف النداء بالاسم، ليتضح أن الله نادى ابن آدم بأسلوب إنشائي مستخدماً أداة النداء "يا" للبعيد بداية الكلام ووسطه، لأن هناك عبداً غافلون بعيدون عن الله، فأراد الله أن يقرب إليه العبد بالنداء ثم يدعوه بعدها للاقتراب أكثر من خلال ترك أمور الدنيا لصنع وقت فراغ يعبد فيه خالقه، وفي مقابل ذلك يتكفل الله بملء يديه من الرزق، فهذا القرب اثنان قرب أجزاء النص بربطها بأداة النداء لتبدو أكثر تماسكاً، وقرب العبد لربه حين يناديه وينبئه فيجتمع شتات ذهنه ويتصل بما يتضمنه هذا النص من نصيحة وإرشاد، ويعزز انسجام المخاطب مع النص متأثراً بمعانيه، وتكررت أداة النداء مرتين، في جمل النص مما جعلها مترابطة موحدة في فكرة ترك الدنيا والتفرغ لعبادة الله، كما أن تكرار كلمة "أملًا" أربع مرات، و"قلبك" مرتين و"يديك" مرتين زاد النص وحدة واتساقاً.

ولعل الحديث الذي اشتمل على أكبر عدد من حروف النداء في نصوص الأحاديث القدسية هو حديث تحريم الظلم: عن أبي ذر -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: {يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ

<sup>1</sup> - سبويه: الكتاب، ج2، ص196.

<sup>2</sup> - أنظر: عودة خليل أبو عودة، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، دار البشير، عمان، الأردن، ط2، 1994، ص461-462.

<sup>3</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص37.



فَاسْتَطَعُمُونِي أُطْعِمُكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكَسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرَ قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يُنْقَصُ الْخَيْطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ<sup>1</sup>.

نلاحظ في هذا النص أن حرف النداء "يا" للقريب كرر فيه عشر مرات، وكانت كلها مقترنة بلفظ "عبادي" وهو المنادى، وكان من الممكن ذكر حرف النداء والمنادى مرة واحدة في بداية النص وتعطف باقي الجمل على ما ذكر في البداية، غير أن هذا التكرار لا يخلو من فائدة إذ أنك كلما قرأت جملة من هذا النص مقترنة بحرف النداء والمنادى أدركت مدى اتساقها مع الجملة التي قبلها، ومدى ترابط أجزاء النص وتوحد فكرته، وأحسست في كل مرة بقربك من المنادي وهو الله سبحانه وتعالى وبتزايد اقتناعك بما يدعو له مضمون النص، إلى أن تصل في نهاية النص إلى درجة كبيرة من التأثير والتواصل مع الخطاب والانسجام معه، كما أن أداة النداء في هذا النص كانت تحقق في كل مرة فعلا كلاميا هو نداء المخاطب وهو من مبادئ انسجام النص.

## 2- أي:

وهي لنداء القريب أو البعيد أو المتوسط، وقد تمد ألفها دلالة على البعد فيقال: آي<sup>2</sup>، وقد وردت في الحديث القدسي زهاء ثلاثة وثلاثين مرة، وفي معظمها كان المنادى مضافا (رب)، منها اثنتان ملحق بها تاء التأنيث وهاء التنبيه (أيتها)، وواحدة ملحق بها هاء التنبيه (أيها)، و"أيها" من الناحية الدلالية هي وصلة لنداء المعرف بأل (غير اسم الله تعالى)، وهو المنادى حقيقة نحو أيها الرجل، أيها المرأة، من الناحية الإعرابية الهاء للتنبيه و"أي" هي المنادى والمعرف بأل نعت لها لأنها اسم مبهم. بمثله هذا<sup>3</sup>، وقد تذكر الأداء "أي" في سياق معين خاص بها يختلف عن سياق أدوات

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 185-186.

<sup>2</sup> - ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص 106.

<sup>3</sup> - سبويه: الكتاب، ج 1، ص 306.

النداء الأخرى، فنجد أكثر من أداة نداء في النص الواحد، كل أداة وظفت للمنادى المناسب لها، مثال ذلك: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: {لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا} <sup>1</sup>، ارتبطت الأداة "أي" بجبريل حينما ينادي خالقه وكأنه يحمل مع ندائه التعجب مما يخلق الله، في حين اقترنت الأداة "يا" في النص نفسه بالله عز وجل حينما ينادي مخلوقه جبريل، وكأني بالأداة "يا" أنها أكثر سمواً من الأداة "أي"، حيث يتبعها أمر صادر من الخالق، أما "أي" فيتبعها إخباراً من المخلوق بعد أن نفذ هذا الأمر مؤكداً بجملة القسم "وعزتك"، فكل واحدة منهما التزمت بأحد طرفي هذا الحوار المقدس، فلم يكن استعمالهما عشوائياً بل كان منظماً بما يجعل النص في تناسق وانسجام كبيرين.

### 3- أيا:

وهي لنداء القريب والبعيد، وقد وردت في الأحاديث القدسية مرة واحدة، ينادي بها الله عز وجل ملائكته يقول: {أَيَا مَلَائِكَتِي أَنْظُرُوا إِلَيَّ عَبْدِي ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ وَمِنْ بَيْنِ حَيْهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي..} <sup>2</sup>، وهذه الأداة عملت على تحقيق فعلين كلاميين من أجل قيام انسجام النص هما نداء المخاطب وتعجب المتكلم يراد به تفاخر الله عز وجل أمام الملائكة أن رجالاً ممن خلقهم يتركون فراشهم طمعاً فيما عنده من جنة ورهباً مما عنده من عذاب.

كما نسجل سمة بارزة في الأحاديث القدسية من خلال التحليل السابق للربط بالنداء أنه متى ارتبط حرف النداء بالمخلوق سواء ابن آدم أو الملائكة كانت أغلب أهداف الخطاب تتمثل في فعل كلامي هو النصيح والإرشاد أو الفخر والتعظيم أو التحذير والوعيد، وإن ارتبط حرف النداء بلفظ الجلالة كان النداء موجهاً من المخلوق إلى الخالق عز وجل وكان نداء حكماً الغرض منه غالباً هو

<sup>1</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 58-59.

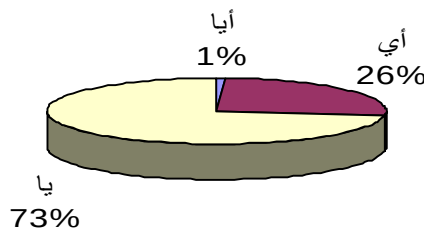
<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 157.

التقرب إلى الله بالدعاء والاسترحام والاستعطاف، وهي كلها أفعال كلامية يقوم عليها انسجام النص المقدس، فإذا حذفنا أداة النداء المذكورة في هذه النصوص سجلنا خللاً في التركيب والأسلوب معاً، وبُعْد فهم المتلقي عن النص مما يبين أهميتها في اتساق وانسجام النص.

غير أن براعة الخطاب تمثلت مرةً أخرى في حذف هذه الأداة في إحدى عشر موضعاً اختصاراً وهو حذف لفظي مع إمكانية ملاحظة تقديره حيث ترك المنادى فقط مثل (رب، ربنا)، ومثاله: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله ﷺ قال: {إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاعْفِرْ، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَعْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي..} <sup>1</sup>، نسجل هنا تواجد حرف النداء (يا) سابقاً للاسم رب، غير أنه لم يظهر ظهوراً فعلياً، بل قدر لأن المقام مقامه، وأن عدم اكتمال أركان النداء بحذف أداة النداء القصد منه توجيه اهتمام المتلقي إلى المعاني الكامنة داخل المنادى، وهذا ما يشير إلى أن العناصر اللغوية متموضعة بما يناسب اللغة، وهو مظهر نستدل به على ظاهرة الاتساق في الحديث القدسي، وأنت بعد ذلك تشعر في النداء محذوف أداة النداء بمدى قرب المخاطب من المخاطب، وتحس بانسجامك مع النص تماماً وأنت تتأثر بهذا الاقتراب.

كما لاحظنا عدم ورود كل أدوات النداء في الأحاديث القدسية، فبقية الأدوات (هيا، وا، الهمزة) لم يأت الحديث على ذكرها، وكذلك ورد المنادى فرداً أو مضافاً ولم يرد الشبيه بالمضاف، أو النكرة المقصودة وغير المقصودة، ولم يرد نداء الندبة أو الاستغاثة اللتان يكون من حروفهما الهمزة و"وا" ولا تجتمعان مع الدعاء، لأن النداء في الحديث النبوي يغلب عليه غرض الدعاء الذي امتزج في النصوص القدسية بمعاني التمني والرجاء والتقرب والترخيم، وأعطاهما قوة في المعنى وبراعة في الأداء والتصوير ودمج المتلقي في النص، ويمكن تلخيص إحصاء أدوات القسم في هذه الدائرة:

نسب أدوات النداء في الأحاديث القدسية



<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 42.

### خامساً - أدوات القسم:

ذكر سبويه أن أكثر أدوات القسم الواو ثم الباء يدخلان على كل محلوف به، ثم التاء ولا تدخل إلا في واحد وذلك قولك: والله لأفعلن، وبالله لأفعلن، تالله لأفعلن<sup>1</sup>، ثم أضاف في موضع آخر أدوات أخرى مثل: لعمر الله لأفعلن، أيمن الكعبة لأفعلن، أيم الله، أيمن الله<sup>2</sup>، وزاد صاحب الجمل اللام، وقال هذه الحروف خافضة للقسم ولا بد له من جواب، وجوابه في الإيجاب (إن واللام) وفي النفي (لا)<sup>3</sup>.

والقسم خاصية حاضرة في الحديث القدسي مثلما هو في القرآن الكريم، وقد عرفه النحاة بأنه جملة إنشائية تؤكد بها جملة أخرى<sup>4</sup>، لذلك أدوات القسم هي من الروابط التوكيدية، وهو يمين يقسم به الحالف ليؤكد بها شيئاً يخبر عنه من إيجاب أو جحد، فالجملة المؤكدة هي المقسم عليه، والجملة المؤكدة هي القسم، والاسم الذي يدخل عليه القسم هو المقسم به<sup>5</sup>، وهو اسم مُعْظَم عند المُقْسِم كقولك: أقسم، أو أحلف بالله، أو بأمانة الله، أو بعهد الله، أو بحياتك، أو بك، أو به، أو قسمًا، أو حقًا لأفعلن<sup>6</sup>، حيث ترتبط الجملتان بأداة القسم ارتباط جملتي الشرط والجزاء. وتحذف كثيراً جملة القسم قبل (لأفعلن) أو (لقد) أو (لئن)، ويحذف جواب القسم وجوباً إذا تقدم عليه ما يغني عن الجواب نحو: زيد قائم والله<sup>7</sup>، وتعليل جواز حذف جملة القسم أنه ليس للقسم في جوابه عمل، وكان العرب إذا كثر الشيء في كلامهم خففوه<sup>8</sup>.

وقد ورد الربط في الأحاديث القدسية بأدوات القسم التالية: والله، فوالله، فوالله لئن، وعزتك، فوالذي، والذي، إلا أن هذه الأدوات لم تكن كثيرة لأن صاحب الخطاب هو الله عز وجل ولذلك جاء القسم في كلامه قليلاً وعلى لسان مخلوقاته، ومهما يكن من أمر فقد ساهمت في اتساق النص المقدس من خلال الدور الرابطي والواصل لها، وفي انسجامه من خلال تحقيق فعل كلامي هو القسم والتوكيد، وفي دراستنا لنصوص الحديث القدسي لا حظنا استعمال الربط فيها بأداة القسم ثلاني عشر مرة ولم تخرج عن أداتي: الواو والباء، كما يلي:

<sup>1</sup> - سبويه: الكتاب، ج3، ص496.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص502-503.

<sup>3</sup> - ابن هشام الأنصاري: شرح جمل الزجاجي، ص158.

<sup>4</sup> - ابن الحاجب: الإيضاح في شرح المفصل، ص322.

<sup>5</sup> - أنظر: عودة خليل أبو عودة: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، ص489-490.

<sup>6</sup> - محمد على أبو عباس: الإعراب الميسر، ص43.

<sup>7</sup> - ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص486.

<sup>8</sup> - ابن الحاجب: الإيضاح في شرح المفصل، ص323.

## 1- واو القسم:

الواو من أدوات القسم التي تختص بالظاهر، فتجره ولا تجر ضميراً وهي تتعلق بفعل محذوف، خلافاً لابن كيسان الذي يميز إظهار الفعل المحذوف معها فيقال: حلفت والله لأقومن، حيث أن القسم أتى بعد كلام تام وهو (حلفت) الذي لا تتعلق به لفظة (والله)<sup>1</sup>، وقد تم الربط بأداة القسم الواو في المدونة ست عشر مرة وارتبطت بالملفوظات التالية: الله، عزة الله، الذي نفسي بيده.

ارتبطت واو القسم بلفظ الجلالة "الله" سبع مرات في الأحاديث القدسية، من ذلك حديث فضل الخوف من الله: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: {قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ: إِذَا مَاتَ فَحَرَّقُوهُ وَأَذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ لَهُ} <sup>2</sup>، يذكر هذا الحديث فعل رجل من العهد السالف يسيء الظن بعمله، فأوصى أهله بأن يحرقوه ويذروه في البر والبحر بعد موته خوفاً من عذاب الله وجهلاً منه أنه إذا فعل ذلك لا يعاد، حيث ربطت أداة القسم الواو بين جملتين: جملة القسم التي تتضمن المقسم به وهو (الله)، وجملة جواب القسم وهي (لئن قدر الله عليه ليعذبه)، أما جملة (ليعذبه) فهي جملة جواب تتبع القسم وليس الشرط، لأنه إذا اجتمع الشرط والقسم فإن الجواب للمتقدم منهما ويحذف جواب المتأخر منهما لأن السابق يغني عنه ويدل عليه <sup>3</sup>، ونلاحظ أنه فضلاً عن الربط بأداة القسم فقد توفر النص على روابط أخرى هي "الفاء" العاطفة لجملة القسم بما قبلها، و"اللام" الموطئة لجواب القسم والمقترنة بـ "إن" الشرطية، والتي تدخل أيضاً على أدوات الشرط الأخرى وهي لازمة غالباً إذا حذف القسم وغير لازمة إذا ذكر، فتوفر هذه الروابط كلها جعل النص كلا متماسكاً متسقاً، ثم إن اجتماع الفعلين الكلاميين القسم مع الشرط يجعل القارئ يتفاعل مع محتوى الخطاب وينسجم معه.

ارتبطت واو القسم كذلك بعبارة "عزة الله" سبع مرات أيضاً في الأحاديث القدسية، منها حديث حف الجنة بالمكاريه والنار بالشهوات: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: {لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبٍّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالمَكَارِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ

<sup>1</sup> - المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص 854.

<sup>2</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص 35.

<sup>3</sup> - عباس حسن: النحو الوافي، ج 4، ص 488.

إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَظَنَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ،<sup>1</sup> جبريل رغم أنه أقسم في المرة الأولى حينما شاهد الجنة بأنه لا يسمع بها أحد إلا دخلها، إلا أنه تراجع في المرة الثانية عن قسمه بعدما رأى المكاره التي حفت بها الجنة وأقسم من جديد أنه يخشى أن لا يدخلها أحد، هذا التكرار في القسم يجذب انتباه القارئ ويشوقه إلى معرفة ما بعد القسم، فيتلاحم مع الصور التي يحملها النص، القسم الأول تضمن روابط أخرى تركيبية وإحالية إلى جانب واو القسم، وهي أداة النداء "أي"، الضمير المتصل "ك" الذي يحيل إلى خالق الجنة والنار، كما تعزز بالشرط أيضاً في جملة (لا يسمع بها أحد إلا دخلها)، أما القسم الثاني ففضلاً عن الروابط السالفة الذكر، نسجل وجود الرابط "لقد" لتوكيد جواب القسم والمشكلة من "اللام" التي يلزم اقترانها مع "قد" ولو مقدرة في ماضٍ مثبت غير جامد<sup>2</sup>، وهذه الروابط كلها تتآزر لتخرج النص في حلة متسقة مقبولة.

ارتبطت واو القسم أيضاً بعبارة "الذي نفسي بيده"، التي انتشرت كثيراً على لسان النبي ﷺ ثم استعملها غيره من قبيل التأثير والاقتداء به، حيث وردت في الأحاديث القدسية مرتين منها ما جاء في حديث عن مشاهد يوم القيامة قوله ﷺ: {..وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ..}<sup>3</sup>، وواضح في هذا النص أن ما زاد في تماسك النص هو التأكيد بـ"إني" في جملة جواب القسم، والإحالة باسم الموصول "الذي" إلى الله عز وجل الذي بيده نفوس كل المخلوقات.

## 2- باء القسم:

وردت مرتين فقط في حديث قدسي واحد هو: عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: {إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ: بَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أَغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتِ الْأَرْوَاحُ فِيهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ: فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي}<sup>4</sup>، حيث ربطت باء القسم بين جملة القسم التي تضمنت المقسم به وهو عزة الله وجلاله وبين جملة جواب القسم مرتين في النص، فأضفت على ترابط التركيب واتساق النص وتأكيد معانيه، وأنت تقرأ أيضاً انسجام هذا النص وتوحده حين ترى أن المقسم به واحد سواء في قسم الخالق أو في قسم

<sup>1</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص58.

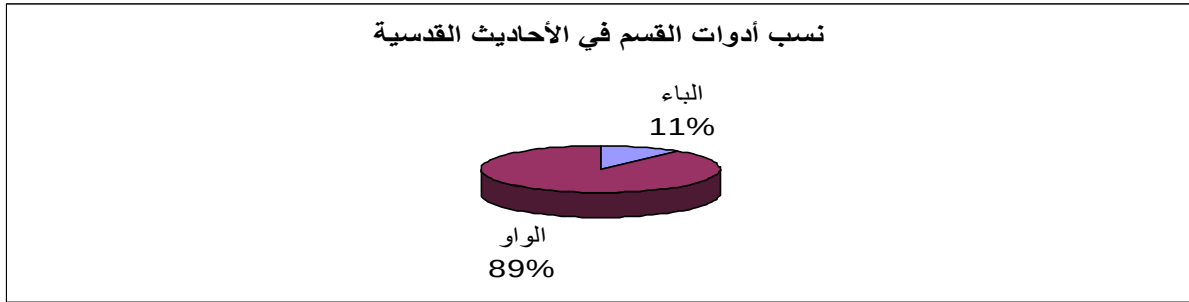
<sup>2</sup> - السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج4، ص247.

<sup>3</sup> - مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، ص98.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص44.

المخلوق الملعون إبليس، وأن محور جمليتي جواب القسم واحدٌ وهو بني آدم بالإغواء من طرف إبليس وبالمغفرة من الله عز وجل.

لاحظنا أن نصوص الأحاديث القدسية لم يرد فيها أدوات القسم الأخرى: التاء، اللام، وعبارات: لعمر الله، أيم الله، أيمن الله، أيمن الكعبة، واقتصرت على استعمال أداتين فقط للقسم هما الواو والباء، مع إطراد ربط واو القسم بلفظ الجلالة (الله) مما يوحي أن لغة الحديث القدسي تنبني على المصارحة والمكاشفة والإقناع لا على العواطف والمشاعر، كما لم يرد حذف أداة القسم والمقسم به والدلالة عليه باللام، كما جاءت أدوات القسم لتأكيد معاني الكلام والربط بين أجزاء فلم تلتزم بمرتبة معينة وإنما كانت حرة الحركة داخل النص فتأتي متقدمة أو متوسطة، والشكل التالي يبين ما سبق ذكره:



#### سادساً- أدوات العطف:

تدخل حروف العطف على الأفعال كما تدخل على الأسماء، وظيفتها عطف وربط ما بعدها على ما قبلها، وهي «تجتمع كلها في إدخال الثاني في إعراب الأول»<sup>1</sup>، وهذه الصفة تجعلها ليست عاملة وغير مختصة ولها رتبة التوسط في التركيب بين المعطوف والمتبوع.

وحروف العطف عشرة أحرف يتبعن ما بعدهن ما قبلهن من الأسماء، والأفعال في إعرابه<sup>2</sup>، وهي: الواو، الفاء، ثم، أو، حتى، إمّا، أم المتصلة، بل، لكن، لا، وكلها تقتضي إشراك ما بعدها لما قبلها في الحكم غير الثلاثة الأخيرة<sup>3</sup>، ويشترط للربط بالواو وجود جامع بين الجملتين، يعني وجود جهة جامعة تصل الجملة الثانية بالأولى، ويأخذ حرف الواو أحوالاً أخرى للربط وهي: واو الحال، واو المفعول معه، واو المعية، وعلى كثرة أدوات العطف فإننا سنركز في بحثنا على أهمها وأكثرها

<sup>1</sup> ابن جني: اللع في العربية، ص149.

<sup>2</sup> ابن السراج: الأصول في النحو، ج2، ص55.

<sup>3</sup> عباس حسن، النحو الوافي، ص388.

تداولاً عند الباحثين مثل: الواو، الفاء، ثم، لكن، أم، أو، ونحصر مجال الدراسة في هذه العينة لبيان الدور الرابطي لها عموماً في النص المقدس.

**1- الواو:** ومعناها إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول وليس فيها دليل على أيهما كان أولاً<sup>1</sup> فموقع الواو الوسط ورتبتها التوسط بين أول وثنان لا يهم من يكون الأول ولا من يكون الثاني وإنما الذي يهمنا هو وجود أول وثنان، ووجود حرف العطف الواو رابطاً بينهما، فإذا قلت: جاء محمد وعلي، لم يجز لك أبداً أن تقول: جاء محمد علي و، أو أن تقول: جاء محمد علي، وأنت تريد العطف بينهما، ومن أحوال واو العطف: واو المعية وواو الحال.

**أ- واو المعية:** وتربط واو المعية صاحبان بمصحوب لا يستقيم عطفه على الأول لعدم صحة المشاركة في الحدث<sup>2</sup>

**ب- واو الحال:** الحال الجملة تركيب لغوي يأتي بعد معرفة ودوره تبين هيئة هذه المعرفة حين ملائمة الفعل ولا بد للحال الجملة من رابط يربطها بصاحبها، ورابطها إما الواو أو الضمير أو كلاهما<sup>3</sup> والنحاة اشترطوا للجملة الواقعة حالاً أن تكون مشتملة على رابط يربطها بصاحبها ليكون المعنى متصلاً بين الجملتين، ولولا الرابط لكانت الجملتان منفصلتين لا صلة بينهما<sup>4</sup>.

فلا تجدد بدا من الواو من أجل الربط، ولو انعدم هذا الضمير أساساً أو افتقد شرط المطابقة بينه وبين صاحب الحال لانحلت عرى التركيب وأصبح مفكك الأجزاء غير مفهوم<sup>5</sup>، والجملة حينما يكون رابطها بصاحبها هو الواو، فإن ذلك إنما جاز من قبل أن الواو أغنت عن ذلك بربطها ما بعدها بما قبلها، فلم تحتج إلى ضمير<sup>6</sup>.

**2- الفاء:** وهي توجب أن الثاني بعد الأول وأن الأمر بينهما قريب<sup>7</sup>، ولها معان كثيرة فصلها النحاة النحاة في كتب النحو<sup>8</sup>، فحرف الفاء أيضاً يوجب وجود الاثنين، أول وثنان تتوسط الفاء بينهما ولا يجوز أن يتقدم الاثنان عليها ولا أن يتأخرا عنها، ففي قولنا مثلاً: قرأت كتاباً فجريدة، فإن الاثنين هنا هما الكتاب والجريدة، والملاحظ أن الفاء توسطت بينهما، ولا يجوز لنا أن

<sup>1</sup> - ابن السراج: الأصول في النحو، ج 2، ص 55.

<sup>2</sup> - تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج 1، ص 158.

<sup>3</sup> - السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج 1، ص 284.

<sup>4</sup> - عباس حسن: النحو الوافي، ج 2، ص 395.

<sup>5</sup> - عاشور المنصف: بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، جامعة تونس، تونس، د.ط، 1991، ص 62.

<sup>6</sup> - ابن يعيش: شرح المفصل، ج 2، ص 24.

<sup>7</sup> - ابن السراج: الأصول في النحو، ج 2، ص 55.

<sup>8</sup> - أنظر تفصيل ذلك: الهروي: الأزهية في علم الحروف، ص 241.



نقول: فكتابا جريدة قرأت، ولا أن نقول: قرأت كتابا جريدة فـ، ولا غيرها من التراكيب التي لا تحافظ على رتبة التوسط للفاء العاطفة.

وتربط الفاء بين المبتدأ والخبر في عدة حالات من أهمها<sup>1</sup>: أن يكون المبتدأ اسما موصولا صلته فعل ليس معه فعل الشرط، أو صلته ظرف أو جار ومجرور نحو: الذي عندك فله دراهم، أو كان اسما نكرة منعوتا بالفعل الذي لا شرط فيه، أو منعوتا بالظرف أو الجار والمجرور مثل: رجل يصلي فله أجر، ورجل في المسجد فله بر، أو كان كلمة (كل) المضافة إلى الاسم النكرة المنعوت.

**3- ثم:** تكون حرف عطف يعطف مفردا على مفرد وجملة على جملة، ويكون حرف ابتداء<sup>2</sup>، وهو وهو يشرك في الحكم ويفيد الترتيب بمهلة، وثم مثل الفاء إلا أنها اشد تراخيا وتجيء لتعلم أن بين الأول والثاني مهلة<sup>3</sup> وتأني (ثم) لتربط بين متاليتين زمانا، والثاني منهما متأخر عن الأول، وزمان التأخر غير زمان تأخر المتعاطفين بالفاء، فقولك: جاء محمد فسعيد، غير قولك: جاء محمد ثم سعيد، ومهما يكن من أمر فإن (ثم) يجب أن يحافظ لها مع المعطوف على تأخر الرتبة.

**4- لكن:** هي من أدوات العطف وفي الوقت نفسه من أخوات "إن" تفيد الاستدراك، وهي من الحروف المختصة التي أعطاه اختصاصها قوة العمل في غيرها، وهي أحرف لا تدخل إلا على الأسماء، أو الضمائر التي هي واحدة من باب الأسماء، وعملها أنها تنصب الأول ويصير اسما لها، وترفع الثاني ويصير خبرا لها، وقد وجدنا هذه الأداة دخلت في نص الحديث القدسي على مدخولات متنوعة لكنها جميعا من باب الأسماء، فقد توزعت بين الاسم الظاهر، وبين الضمير الذي خبره إما المفرد أو الجملة الفعلية، وكانت تتضام مع العناصر اللغوية التي تصلح للتواجد في حيزها، وهذا الأمر يلفت أنظارنا إلى قضية الاتساق الذي يمكن أن يحدثه هذا التواجد، وهذه المضامة مع العناصر اللغوية التي جاءت من باب اختصاصها بها ومناسبتها للمقام الذي جاءت من أجل معناه.

**5- أم:** وهي نوعان منقطعة ومتصلة؛ فأما المنقطعة فهي التي تقع بين جملتين مستقلتين في معنهما لكل منهما معنى خاص يخالف الأخرى لا تقع مطلقا بعد همزة التسوية وإلا بين جملتين، أما المتصلة: فقد سميت متصلة لأن ما قبلها وما بعدها لا يستغني بواحد منهما عن الآخر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أنظر: محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، ص 123.

<sup>2</sup> - المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص 431.

<sup>3</sup> - ابن السراج: الأصول في النحو، ج 2، ص 55.

<sup>4</sup> - عباس حسن: النحو الوافي، ج 3، ص 597.

## 6- أو: حرف وظيفته العطف، سواء بين المفردات أو بين الجمل<sup>1</sup>

ويُعدّ العطف من أبرز ما يتحكم في التابع الدلالي لعالم النص، فيعمل على سلسلة أهدافه بأسلوب مترابط متماسك، عن طريق ربط جزأي التركيب بعضهما ببعض من جهة، وربط سلسلة التراكيب النصية بعضها ببعض؛ كونها تدور حول فكرة محورية واحدة أو دلالة كلية ثابتة من جهة أخرى؛ مما يعكس الإمكانيات الذهنية التنظيمية داخل البنية النصية، ولتأكيد ذلك نمثل بالحديث القدسي التالي:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتُكُمْ، فَيَحْفُوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ- مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ تَقُولُ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجُّدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ يَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فِمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي غَفَرْتُ لَهُمْ، يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ<sup>2</sup>.

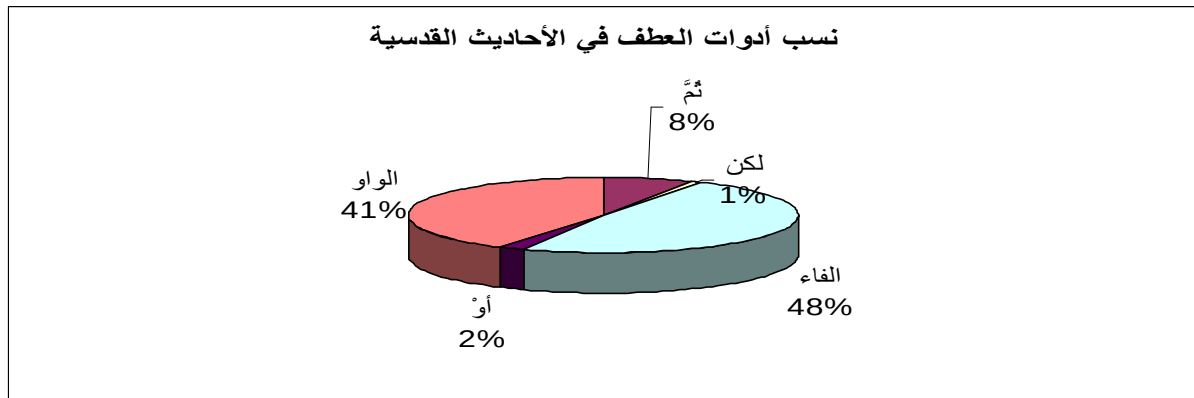
يدور هذا الحديث حول فكرة محورية أساسية وهي: "فضل مجالس الذكر"، حيث يمكن القول إن أهم التقنيات النصية التي ساعدت في تعزيز منحى الاتساق النصي في هذا النص هو أدوات العطف فيه، وهي هنا: الواو، والفاء، حيث تم الربط والوصل بين الجمل من خلال استخدام هاتين الأداتين، وتعتبر الواو الأهم من بينهما؛ لأنها لا تقتصر على الربط بين جملتين فقط، بل تتعدى ذلك إلى إشراك الجملة الثانية في حكم الجملة الأولى؛ ويعد موضوع إثباتها بين الجمل أو إسقاطها موضوعاً رئيساً في البلاغة العربية، يطلق عليه: "معرفة الوصل والفصل".

<sup>1</sup> - محمد حسن الشريف: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ج1، ص433.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص38-39.

العملية الإحصائية لحروف العطف في مجموع الأحاديث القدسية بينت زخم هذه المدونة بها إذ بلغت حوالي ألف وأربع مئة وثلاثون أداة عطف بكل أنواعها، الواو (589) مرة، الفاء (691) مرة، ثم (108) مرة، أو (30) مرة، لكن (12) مرة، في حين لم تستعمل الأداة "أم" ولا مرة واحدة، ولعل هذا الحديث الذي بين أيدينا يشعرك بذلك، فهو يحتوي على ثلاث وعشرين أداة عطف وهي كلها الفاء والواو، وفضلاً عن دورها في الربط والوصل التركيبي بين المفردات مثل: (عز وجل)، فهي تربط بين الجمل مثل: (يَسْبَحُونَكَ وَيَكْبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ)، (لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً)، وهي جمل قريبة من بعضها في الحدث والدلالة مما يساعد اندماجها في فكرة محورية واحدة للنص هي فضل مجالس الذكر، وهي تحمل النص إلى مستوى عال من الاتساق الدلالي، كما تحافظ على رتبة العناصر اللغوية وترتيبها، فيجعل أجزاء الكلام في بنية دلالية واحدة وكتلة نصية متماسكة.

ونلاحظ أن العطف هو خير ما يربط التراكيب بطريقة ظاهرة، إذ يقوم على عطف الجمل والتراكيب بعضها على بعض ضمن السياق الخطي، فتكون العلاقة القائمة بين التراكيب هي علاقة التتابع الدلالي؛ لأن الجملة المعطوفة أو التركيب المعطوف يأخذ حكم التركيب المعطوف عليه ودلالته، ويقوم المفهوم الوظيفي للعطف على النظر في المعاني المتعددة لاستعمالات حرف العطف، وجدير بالملاحظة أن العطف كثير الورد في بنية الحديث القدسي، ولا توجد حاجة لإيراد نماذج أخرى للعطف لسهولة مجراه، والدائرة النسبية التالية تبين مدى استعانة الأحاديث القدسية بمختلف أدوات العطف لتحقيق الوصل بين التركيب والاتساق النصي مع التركيز على ثلاثة روابط هي (الواو، الفاء، ثم):



كما سجلنا اتصال حرف العطف "الفاء" كثيراً بألفاظ القول (فقال، فيقولون، فيقال، فيسألونه، فيجيب،...) وهذا راجع لطبيعة الحديث القدسي الذي يعتمد أسلوب الحوار في تصوير الأحداث

وإقناع المخاطب، كما تتصل الأداة نفسها بالأفعال الدالة على الحركة السريعة مثل (فظهر، فنظر، فينتزع، فيقف،..) مما يوحي بالحياة والحركة التي يمتلئ بها الحديث القدسي، والربط الذي يؤديه حرف العطف يُعدُّ قرينة على انعدام الانفصال بين المتعاطفين وهذه الدلالة ناشئة من العلاقات السياقية التي يؤديها كل حرف حسب معناه الوظيفي وقرائن السياق، وعليه فإن لأدوات العطف معانٍ وظيفية داخل التركيب الواحد كمطلق الجمع في "الواو" والفورية والترتيب والتعقيب في "الفاء" والتراخي في "ثم" والتخيير والتسوية في "أم" و "أو"، ولها معانٍ دلالية كالشك والتخيير والإباحة ورفع التوهم وتقوية التشبيه وبيان شمول الحكم والتقسيم أو تفصيل الإجمال، وهي تُفهم من خلال تركيب العطف كله بعد تفاعل المعنى الوظيفي في السياق والقرائن المقالية والحالية، يرى "جون كوهن" أن العطف يوجّه نظرنا إلى طبيعة تعاقب الجمل داخل النص<sup>1</sup>، «فالتوسّع بالعطف قد يشمل في تحليل الجملة العربية الدلالات المنتظمة داخل وحدة كلامية قائمة برأسها، حتى يلتقي الشكل التركيبي بالشكل المعنوي»<sup>2</sup>.

#### خلاصة:

تبين لنا في هذا الفصل أن أهم الروابط غير الإحالية تمثلت في أدوات العطف وأدوات القسم وأدوات النداء وأدوات الشرط وأدوات الاستفهام وأدوات النفي، حيث سجلنا زخم المدونة بأدوات العطف حيث بلغ عددها (1430) أداة عطف أغلبها "الفاء" العاطفة بنسبة 48 % و "الواو" بنسبة 41 %، وهما أداتين أفضتا على النص المقدس معانٍ دلالية كثيرة حققت انسجامه بعد أن تفاعلت معانيها الوظيفية المحققة لاتساق النص مع السياق المقالي والحالي، وتجاوزت أدوات العطف عطف المفردات إلى عطف التراكيب المشتركة في الحكم لتحقيق الاتساق النصي، أما عندما يعدم التشريك في الحكم فإنه يراعى في العطف مبدأ المناسبة بين المتعاطفين، وهو مبدأ سياقي يندرج ضمن آليات الانسجام، ثم يليها أدوات النفي (290) مرة، وغلب عليها "لا" النافية بنسبة 62 %، حيث تنفي أدوات النفي حدوث الفعل أو الاسم نفيًا صريحاً، والنفي لا يكون مستقبلياً فقط بل يتعدى هذا الزمن حيث نلاحظ في الأحاديث القدسية أن النفي بـ "لا" للمضارع يفيد مطلق الزمن، إذ المعاني المذكورة معها تدل على الماضي والحاضر والمستقبل، وقد يتحول المعنى الوظيفي للنفي إلى معنى دلالي آخر يصنع انسجام النص المقدس مثل الدعاء.

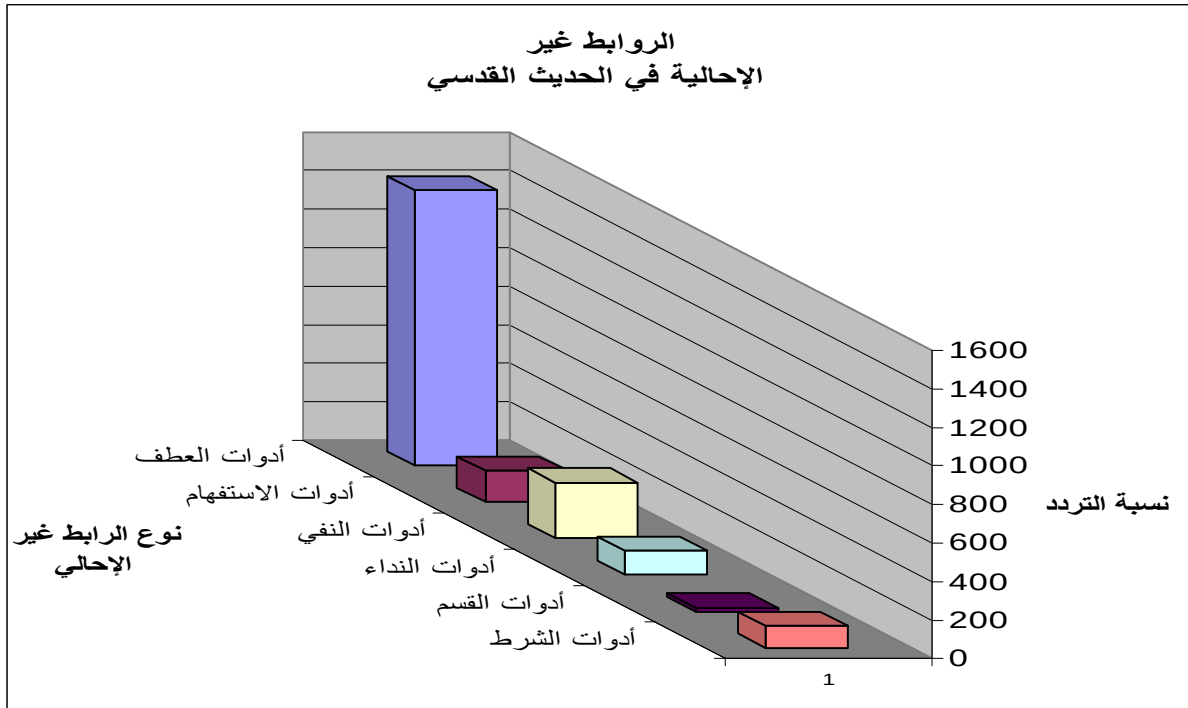
<sup>1</sup> - جون كوهن: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986، ص157.

<sup>2</sup> - عاشور المنصف: بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، ص70.

ثم يليها أدوات الاستفهام (163) مرة، أكثرها "ما" الاستفهامية بنسبة 35 % و"همزة" الاستفهام بنسبة 31 %، حيث أن المتكلم يأتي بها لطلب المعرفة من المخاطب لشيء كان مجهولاً بالنسبة له، وبتتبعها على المدى النصي تتبين أهميتها في ربط أجزاء النص، وكذا إضفاء معاني أخرى للنص تساعد على انسجام المستفهم معه مع النص، ومن هذه المعاني: التقرير، الإنكار، النفي، التوبيخ، التهكم، ثم يليها أدوات النداء (125) مرة، أغلبها "يا" النداء بنسبة 73 % فهي أم باب النداء وهي لنداء البعيد حقيقة أو حكماً والقريب توكيداً، وتضمنت أدوات النداء فوائد الربط والاتساق النصي، وتحقيق أفعال كلامية مثل: النصيح والإرشاد أو الفخر والتعظيم أو التحذير والوعيد، حين يرتبط حرف النداء بالمخلوق، وأفعال: الدعاء والاسترحام والاستعطاف والتمني والرجاء، حين يرتبط حرف النداء بالخالق، وهو ما صنع في نفس المتلقي عالماً من الجلال والخشوع يجعله منسجماً ومنتجماً مع الخطاب القدسي.

ثم يليها أدوات الشرط (113) مرة، أغلبها "إذا" الشرطية بنسبة 53 %، فهي أم أدوات الشرط غير الجازمة ولا تعمل الجزم لأنها للشرط اليقيني الذي لا بد أن يتحقق، بخلاف "إن" الجازمة التي تكون لمواضع الشك واليقين على السواء، وقامت أدوات الشرط في الحديث القدسي بالربط بين عناصره اللغوية ووحداته الجمالية والقضوية فجعلته مكتمل التركيب شديد الاتساق، كما عملت على انسجام دلالاته وتحقيق العلاقات السببية التي تعلق الجواب على سبب الشرط، لأداء مهمة التشريع التي تقتضي من المسلم ربط أعماله بالثواب والعقاب، وقل عدد أدوات القسم في الحديث القدسي مقارنة بالروابط غير الإحالية الأخرى (18) مرة، حيث اقتصر على أداتين فقط هما الواو والباء، لأن صاحب الخطاب هو الله عز وجل ولذلك جاء القسم في كلامه قليلاً وعلى لسان مخلوقاته، غير أنها ساهمت في اتساق النص المقدس من خلال دورها الرابطي، وفي انسجامه من خلال إشاعتها لفعل كلامي هو القسم والتوكيد لاتفاق النص مع مهمة التبليغ والتعليم.

وفيما يلي بيان الأعمدة التكرارية الخاصة بالروابط غير الإحالية، والذي يوضح بشكل جلي أن أهم هذه الروابط المستخدمة هي (أدوات العطف، ثم أدوات النفي وأدوات الاستفهام) وقد قامت بتحقيق الدور الواصلي والاتساق في النص، وكذا تعتبر الأساس الذي تقوم عليه مبادئ الانسجام النصي:



## الختام:

## الختام:

بعد هذا الجهد المتواضع الذي حاولنا من خلاله بحث الجوانب المختلفة لموضوع دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي، أورد فيما يلي جملة من الاستنتاجات التي كشفت عنها هذه الدراسة:

\* العلماء العرب القدامى عالجوا قضية الروابط في إطار نحو الجملة، غير أن هذه المعالجة لم ترق إلى مستوى البحوث المستقلة بها، ولم يتحدثوا عنها بشكل أكثر شمولية حتى يشمل النص ككل بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى كما هو جارٍ في مباحث لسانيات النص، وهذا لأسباب تتعلق بالقيام بتقعيد اللغة وتقويم اللسان وقتئذ، إلا أنه يرجع إليهم الفضل في أنهم عبدوا الطريق للباحثين المحدثين في مجال علم اللغة النصي، من منطلق العلاقة التكاملية بين علم اللغة النصي وعلم اللغة الجملي، فقد اعتبرت لسانيات النص الروابط نواة نظرية الاتساق والانسجام وهي أهم معايير قياس نصية النص.

\* للروابط دور مباشر في اتساق نص الحديث القدسي، ودور غير مباشر في انسجام هذا النص ويتحقق هذا الأخير من خلال قيام الروابط أولاً بتحقيق الاتساق لأنه لا انسجام للنص بدون توفر اتساقه، هذا من جهة ومن جهة أخرى تساعد بعض الروابط على قيام الآليات والمبادئ التي ينبني عليها الانسجام النصي، مثل: (السياق، مبدأ التأويل المحلي، المعرفة الخلفية للعالم، مبدأ التغريض، الأفعال الكلامية).

\* تمثلت الروابط الإحالية في الأدوات التي تحيل إلى مرجع موجود في النص أو خارجه، ومنها: الضمائر، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة، "أل" التعريف، ومن الروابط ما يحيل إحالة قبلية ومنها ما يحيل إحالة بعدية (كضمير الشأن والقصة)، ومنها ما يحيل إلى داخل النص كضمائر الغائب، ومنها ما يحيل إلى خارج النص كضمائر المتكلم والمخاطب، والروابط الإحالية وحدها في النص غير كافية لتحقيق الاتساق، وإنما يشترط مبدأ المطابقة بين الحيل والمحال إليه من أجل أمن اللبس وجلاء المعنى، كما تشترط قضية التعاضد والتضافر بين جميع الروابط الشكلية من أجل تحقيق اتساق النص، ومن أجل توفير الجو المناسب لفاعلية الروابط الدلالية والتداولية في انسجام النص.

\* تسهم بعض الروابط الإحالية بفضل إحالتها البعيدة التي قد يكون فيها الحيل في آخر النص والمحال إليه في أول النص إلى العودة إلى بؤرة النص وإبراز محور الخطاب وغرضه، وهو ما يسمى بمبدأ التغريض الذي هو آلية من آليات الانسجام النصي.



\* الضمير إذا اعتبرته خارج الخطاب الفعلي الحقيقي ليس سوى صيغة فارغة لا يمكن أن تتعلق بشيء و.بمتصور، فهو لا يكتسب حقيقته و طبيعته إلا من الخطاب أين تظهر فوائده النصية ومنها: أن يُستخدم عوضاً عن الأسماء والصفات التي لا لزوم لتكرارها، فالربط بالضمير بديل لإعادة الذكر في الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار، وهو بهذا يمنع تجدد الدلالة في الخارج كما يحقق أمن اللبس، لأن إعادة ذكر اللفظ قد يفضي إلى الالتباس في فهم المقصود، كما يؤدي دور الإحالة إلى مراجع موجودة داخل النص أو خارجه، وكل هذا يحقق اتساق النص.

\* إن كان الإضمار يحدثه المتكلم خلال عملية الكلام فإن للمخاطب دوراً محورياً فيه يتمثل في سابق معرفته بالشيء المضمّر (أي المعرفة الخلفية وهي من آليات الانسجام)، وإلا خرج الكلام إلى الألباز والإبانة المقتولة، لذا يشترط في الإضمار علم المخاطب بما أضمر وعلم المتكلم بعلم المخاطب بذلك، حتى يتحقق انسجام الخطاب.

\* اللغة العربية قادرة على تعويض المتكلم والمخاطب بالغائب في عملية الخطاب لتحقيق أغراض أخرى فظاهرة تركيب النص وبساطته ليست رهينة ظهور الصيغ اللغوية الدالة على المتخاطبين إنما هي رهينة ما يحدث فيها من تغير في أدوار التخاطب بصيرورة المتكلم مخاطباً و العكس أو باختلاف ما تحيل عليه، وهذه المرونة التي تختص بها اللغة العربية تزيد نصوصها اتساقاً وتماسكاً.

\* تحقق "أل" التعريف الترابط النصي، يأتيها ذلك من اتفاق الإحالة بين الاسم المعرف وعنصر آخر متقدم عليه أو متأخر، فهي أداة رابطة تشبه الضمير من حيث إنها تشير إلى شيء سبق ذكره، غير أن وظيفتها الرابطة تقتصر على "أل" العهدية عهداً ذكرياً أو ذهنياً و"أل" النائية عن الضمير، أما الجنسية وذات العهد الحضورى فليستا كذلك، وتساهم "أل" العهدية في إثارة آلية من آليات الانسجام مبدأ التأويل المحلي، الذي يعني تقييد الطاقة التأويلية لدى المتلقي، فيقوم بإبعاد كل تأويل عنده لا ينسجم مع السياق النصي، أما "أل" العهد الذهني، فهي تهيئ الوسط النصي للمتلقي من أجل استحضار "المعرفة الخلفية للعالم" وهي معارفه السابقة والمعهودة التي تساعد على التأويل الصحيح للنص والانسجام معه.

\* كما يحيل الموصول بدوره على ما قبله من الكلام، فيظهر بديلاً لاستعمال الضمير، واسم الإشارة كثيراً ما يحيل إحالات خارجية في الحديث القدسي عندما تكون المراجع الأصلية المحال إليها موجودة

خارج الحوار، وهي حين توضع في الاستعمال فإنها تحدث أثراً حسيّاً وتحقق التعريف بأن تخصص للمخاطب شيئاً يعرفه بالعين أو بالقلب.

\* تمثلت الروابط غير الإحالية في هذا البحث في مختلف الروابط الواصلة والتركيبية وهي أدوات العطف وأدوات الجر وأدوات القسم وأدوات النداء وأدوات الشرط وأدوات الاستفهام وأدوات النفي، وقد بينا دورها في الحفاظ على اتساق النص وضبط المعنى، وتجاوز دورها من الربط التركيبي الجملي الذي تحدث عنه النحاة إلى الأثر البالغ الذي تتركه في كامل النص وبعدها التأثيري في المتلقي، من خلال تحقيق أفعال كلامية كالتأكيد بالقسم، والنفي، والشرط، والاستفهام، والدعاء، مما يزيد النص انسجاماً وقد أظهرنا ذلك في التحليل، ومن السمات الخاصة التي أضفتها هذه الروابط على الحديث القدسي هي أنه لا يقسم ليلزم، ولا ينادي ليلبي، ولا يستفهم ليجاب، عكس ما نجده في أغلب النصوص الأدبية الأخرى، وقد مالت نصوص الحديث إلى الاختصار من خلال الحذف في الجمل الفعلية أو الاسمية المتعلقة بهذه الروابط للحصول على معنى إبلاغي وتأثيري آخر، واتضح أن الزمن في الحديث القدسي يتحدد بالسياق والاستعمال وليس بالروابط التركيبية في حد ذاتها، وغلب استعمال بعض الروابط على البقية مثل: حرف العطف الواو، "إذا" الشرطية، "لا" النافية، "همزة" الاستفهام، "يا" النداء.

\* تقوم أدوات الشرط بالوصل السببي الذي يعلق الجواب على سبب الشرط تعليقاً يُراد منه الدلالة على وقوع الجواب بوقوع الشرط، وتعتبر أدوات الاستثناء من أدوات الوصل العكسي، فهي تصل وتربط الفعل بما بعدها، وفي الوقت نفسه تخرج الشيء ممّا دخل فيه غيره، أو إدخاله فيما خرج منه غيره، ومن خلال تحكم هذه الأدوات في ترتيب أجزاء النص وتوجيه معانيه يتجلى تماسك النص.

\* تتجلى الفائدة النصية لأدوات العطف من خلال تجاوزها عطف المفردات إلى عطف الجمل والتراكيب المشتركة في الحكم محققة بذلك الاتساق النصي، أما عندما ينعدم التشريك في الحكم على مستوى التركيب السطحي فإنه يراعى في العطف مبدأ المناسبة بين المتعاطفين، وهو مبدأ سياقي يندرج ضمن آليات الانسجام، كما أن الربط بترك أدوات العطف يسمى عند البلاغيين بالفصل وهو ربط معنوي يركز على ما توافيه به العلاقات الدلالية بين المفصولين والتي تعتبر من آليات الانسجام أيضاً.

\* وجدنا أن الحديث القدسي يتميز بالحياة المتدفقة فقد ارتبط بالحياة العامة في عهد النبوة وقدم لنا صورة صادقة عن وقائعها، وامتاز الخطاب القدسي بالحوار، لأنه حديث من الله ثم من رسوله إلى

قومه ليعلمهم أمور دينهم وديناهم، واستعمل الحذف لدلالة السياق والحال المشاهدة عليه، وشاعت فيه أدوات التوكيد (كأدوات القسم) لاتفاقها مع مهمة التبليغ والتعليم، وأدوات الشرط لأداء مهمة التشريع التي تقتضي من المسلم ربط أعماله بالثواب والعقاب، وتضمنت أدوات النداء معنى الدعاء الذي صنع في نفس المتلقي عالماً من الجلال والخشوع منسجماً مع الخطاب النبوي، وكل هذه الروابط زادت ألفاظ هذه النصوص سحراً ومعانيه عمقاً وبياناً وحملت الحديث القدسي إلى مستوى سام من والاتساق والانسجام.

\* جاءت الروابط في نصوص الحديث القدسي عفوية فجعلت النص متسقاً سهل التداول ومعانيه منسجمة قوية التأثير في المتلقي، فهذه الروابط كانت لها أهمية كبرى في الجوانب التواصلية للأحاديث القدسية، كما أنها أسهمت بطريقة جادة في بناء نص الحديث من جهة، وجعله يؤثر في نفسية المستقبل من جهة أخرى، وقد أجمع العلماء بأن النبي ﷺ أفصح من نطق باللغة العربية، منطلقين من تحليل الأحاديث النبوية وبخاصة ما ورد منها في كتب الصحاح، ومن إقراره: «أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر»، وقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه»، ويصرح الإمام جابر الله الزمخشري في مقدمة كتابه الفائق في غريب الحديث فيقول: «ثم إن هذا البيان العربي كأن الله عزت قدرته مخضه، وألقى زبدته على لسان محمد عليه أفضل صلاة وأوفر سلام، فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرجل، وما من مصقع يناهزه، إلا رجع فارغ السجل، وما قرن بمنطقه منطق إلا كان كالبرذون مع الحصان المطهم، ولا وقع في كلامه شيء في كلام الناس إلا أشبه الوضح في نُقْبَةِ الأدهم».

اجتهدت هذه الدراسة في الإجابة عما ظنه البعض من استحالة تطبيق المنهج اللساني النصي على النص المقدس، إذ أن نظرية الاتساق والانسجام القائمة أساساً على الروابط تملأ الباحث قناعة بأن كلام رسول الله ﷺ له نسق خاص ونظام متبع، وخصائص مستمرة، وحوادث مرتبطة بواقع اجتماعي محدد، يستحيل على أي إنسان أن يصنع مثل هذه النصوص التي تمثل اللحظة الحية المنسجمة مع أفكار الناس وعواطفهم وانفعالاتهم، وكيفية انتقاء وتردد الروابط في النص القدسي أكسبته الوحدة والتماسك، والحياة والحركة، والإيجاز وعمق الدلالة، والإقناع والتأثير في المتلقي، وهي جملة من الخصائص التي تميز الحديث الصحيح عن تلك الأحاديث المظلمة الموضوعة الجامدة الميتة.

وتبقى لهذه الدراسة آفاق أخرى للبحث أرجو أن تسنح لي فرصة أخرى للخوض فيها أو ينهض بها باحث آخر، هي دراسة بقية الروابط التي لم يشملها البحث لكشف خصائص أخرى للحديث المقدس، حتى تصبح نصوصه مألوفة للناس وسهلة الفهم، تساعد على معرفة أغراضه واستخراج قضاياها الفكرية، واستخلاص سيرة النبي ﷺ وصورة المجتمع في عهده.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى شد انتباهنا عند دراسة أسماء الإشارة كرابط إحالي في نصوص الحديث القدسية، أن هناك إشارات وحركات بدنية ترافق أحياناً أسماء الإشارة الواردة في النص، أي أنه ثمة علم جديد في الدراسات اللسانية الحديثة، له حضورٌ مميزٌ في الحديث القدسي، يمكن أن يكون أكثر ظهوراً وتميزاً في الحديث النبوي عموماً، هو علم اللغة الحركي، أو لغة الجسم، وهو العلم الذي يبحث دلالة المواقف الإشارية والحركة الجسمية على المعنى، وقد مرت بنا في تصرفات النبي ﷺ المصاحبة لخطابه مثل: ويقبض أصابعه وييسطها، يزق في كفه وشم وضع إصبعه السبابة وقال.. وأشار إلى حلقه، رفع رأسه مبتسماً، ضحك حتى بدت نواجذه، جاء مسرعاً وقد حَفَزَهُ النفس، وقد حسر عن ركبتيه فقال..، وقد تكلمنا عنها في إطار ربطها بين النص وسياق المقام، غير أن هذا العلم بحاجة إلى بحث متخصص يبين دوره في الكشف عن خصائص أخرى لنصوص الحديث الشريف التي تبقى تشكل باباً واسعاً وقيماً للدرس اللساني المعاصر.

## Résumé de la mémoire:

Les connecteurs linguistiques, est un thème qui a attiré l'attention de nos premiers savants et a fait l'objet de leurs études grammaticales et rhétoriques. Mais chacun d'entre eux l'a traité d'un angle de vue donné, leurs études n'étaient pas profondes et étaient limitées uniquement au niveau de la phrase pas du texte.

Les recherches linguistiques récentes ont reposé cette question une nouvelle fois, à la manière de linguistique textuelle: elles se sont intéressées à les intégrer aux mécanismes de la cohésion & la cohérence textuelle. Elles ont donné lieu, par la suite, à l'élaboration de plusieurs œuvres dont celui de "Halliday & Roukaya Hacen" intitulé (cohérence in English) qui est une référence de base dans le domaine et le fameux (le texte, le discours et la formalité) de "Robert De Bougrand".

A travers ce modeste travail intitulé (le rôle des connecteurs dans la cohésion & la cohérence d'Alhadith Al-Qodossi), on a voulu étudier les connecteurs linguistiques, suivant les données de l'analyse textuelle contemporaine, analyse qui dépasse le niveau de la phrase au niveau du texte, dans le script (Sahih Alahadith Al-Qodossya) du cheikh "Mustapha Alàdaoui" en se servant des méthodes: descriptive, analytique et statistique, plus précisément, on a tenté de déterminer la nature des connecteurs qui assurent la cohésion & la cohérence du discours mohammadien sacré et de vérifier si leur présence est une condition nécessaire et suffisante.

A cet effet, notre travail de recherche comprendra deux parties, l'une théorique, l'autre pratique, composée chacune de deux chapitres:

Le 1<sup>er</sup> chapitre expose la méthode de la linguistique textuelle: notion et objectif de la linguistique textuelle, la contribution du patrimoine arabe dans ce domaine, et Alhadith Al-Qodossi entre le texte et le discours.

Le 2<sup>e</sup> chapitre aborde la relation entre les connecteurs et la cohésion & la cohérence: les catégories des connecteurs, la cohésion & la cohérence et leurs outils, l'emploi des connecteurs d'après ces deux notions.

Le 3<sup>e</sup> chapitre traite de l'effet des connecteurs déictiques sur la cohésion & la cohérence du discours saint: les pronoms personnels, les pronoms démonstratifs, les pronoms relatifs, et l'article défini "Al".

Le 4<sup>e</sup> chapitre présente l'effet des connecteurs non déictiques sur la cohésion & la cohérence du discours saint: les particules de coordination, de négation, de l'appel, de condition, de serment, et d'interrogation.

En fin, parmi les résultats auxquels on est parvenu, on peut évoquer que les connecteurs sont le noyau dur de la théorie de la cohésion & la cohérence textuelle, mais leur nature diffère d'une langue à une autre, et d'un texte à un autre, dans tout les cas de figure, deux éléments des plus essentiels, paraissent utiles pour établir la cohésion & la cohérence du discours et réaliser le principe de l'intercommunication, l'interconnexion entre ces connecteurs et le rôle actif du récepteur.

## قائمة المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- 1- إبراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
- 2- ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر (ت646هـ): الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق موسى بناي العلي، دار إحياء التراث الإسلامي، بغداد، العراق، د.ط.ت.
- 3- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (ت316هـ): الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتيلى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1996.
- 4- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت792هـ): الخصائص، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2002.
- 5- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت792هـ): اللمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1980.
- 6- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمان (ت769هـ): شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط5، 1998.
- 7- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت296-213هـ): تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1973.
- 8- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت751هـ): بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط.ت، ج1.
- 9- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ): لسان العرب، تحقيق الأساتذة: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط.ت.
- 10- ابن هشام الأنصاري، عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت761-708هـ): شرح جمل الزجاجي، تحقيق علي محسن عيسى مال الله، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1986.
- 11- ابن هشام الأنصاري، عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت761-708هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، 2005.
- 12- ابن يعيش، موفق الدين بن يعيش بن علي (ت643هـ): شرح المفصل، تحقيق محمد منير، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، مصر، د.ط.ت.
- 13- أبو السعود حسنين الشاذلي: الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1989.
- 14- أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب، القاهرة، مصر، ط1، 1998.
- 15- أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
- 16- أحمد مداس: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2007.
- 17- أزوالد ديكرو وجان ماري سشايغر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط2، 2007.

- 18- الأزهر الزناد: نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993.
- 19- الاسترأبادي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت686هـ): شرح كافية ابن الحاجب، تقديم إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- 20- الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب (ت403هـ): إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، د.ت.
- 21- البقاعي، برهان الدين (ت885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
- 22- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1998.
- 23- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان (ت471هـ): أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
- 24- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان (ت471هـ): دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5، 2004.
- 25- الجرجاني، علي بن محمد الشريف (740-816هـ): التعريفات، تحقيق نصر الدين تونسي، شركة القدس للتصدير، القاهرة، مصر، ط1، 2007.
- 26- الجليلي دلاش: مدخل الى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1988.
- 27- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، 1988.
- 28- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت538هـ): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1998.
- 29- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد (ت626هـ): مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
- 30- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت911هـ): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 2005.
- 31- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت911هـ): الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- 32- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت911هـ): همع الموامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- 33- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
- 34- الفاكهي، عبد الله بن أحمد (899-972هـ): شرح كتاب الحدود في النحو، تحقيق المتولي رمضان الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط2، 1993.

- 35- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت206هـ): معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 1980.
- 36- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ): القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط3، 1978.
- 37- القرطاجي، أبو الحسن حازم (ت684هـ): مناهج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1981.
- 38- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ): المقتضب، تحقيق حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.
- 39- المرادي، أبو محمد الحسن بن قاسم (ت749هـ): الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992.
- 40- المرادي، أبو محمد الحسن بن قاسم (ت749هـ): توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
- 41- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت338هـ): إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 1985.
- 42- الهروي، أبو الحسن علي بن محمد النحوي (ت415هـ): الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ط2، 1993.
- 43- أمير عبد العزيز: دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط2، 1988.
- 44- إميل بديع يعقوب: موسوعة الحروف في اللغة العربية، دار الليل، بيروت، لبنان، ط2، 1995.
- 45- آن ماري ديري وفرانسواز ريكاناتي: المقاربة التداولية إلى اللغة، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د.ط، 1989.
- 46- برنارد شبلنر: علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية، القاهرة، مصر، ط1، 1991.
- 47- بريجيت بارتشت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشو مسكي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 2004.
- 48- بسام موسى قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001.
- 49- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2000.
- 50- تمام حسان: الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2005.
- 51- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1998.
- 52- تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1986.
- 53- تون فان دايك: النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2000.
- 54- تون فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
- 55- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت291هـ): مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، د.ت.



- 56- جمعه عوض الخباص: نظام الربط في النص العربي، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان، الأردن، ط1، 2008.
- 57- جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997.
- 58- جون إي جوزاف، نايجل لف، توليت جي تيلر: أعلام الفكر اللغوي، ترجمة أحمد شاكر الكيلاني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
- 59- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006.
- 60- جون كوهن: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986.
- 61- جون ماري سشايغر: النص ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004.
- 62- جيليان براون و جورج يول: تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، دار النشر العلمي والمطابع، الرياض، السعودية، د.ط، 1997.
- 63- حسام البهنساوي: أنظمة الربط في العربية، دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحولية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
- 64- حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د.ط، 1994.
- 65- حولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصة، الجزائر، ط2، 2006.
- 66- دومنيك مونقافو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005.
- 67- ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، إربد، الأردن، د.ط، 2005.
- 68- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة ثام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2007.
- 69- رولان بارت: لذة النص، ترجمة فؤاد صفا والحسين سرحان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988.
- 70- زتسيسلاف و اورزيناك: علم النص مدخل إلى مشكلات بناء النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
- 71- سارة ميلز: الخطاب، ترجمة يوسف بغول، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، د.ط، 2004.
- 72- سبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت180هـ): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- 73- سعد عبد العزيز مصلوح: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، جامعة الكويت، الكويت، د.ط، 1990.
- 74- سعيد حسن بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 2004.
- 75- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط3، 1997.
- 76- سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
- 77- شرف الدين علي الراجحي: الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1995.

- 78- شرف الدين علي الراجحي: من المسائل النحوية في مسند الإمام أحمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 2008.
- 79- شوقي ضيف: تيسيرات لغوية، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، 1990.
- 80- صالح الكشوش: مظاهر التعريف في العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، تونس، د.ط، 1997.
- 81- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، مصر، ط1، 2000.
- 82- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، شركة لونهيمان، القاهرة، مصر، ط1، 1996.
- 83- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.
- 84- عاشور المنصف، بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، جامعة تونس، تونس، د.ط، 1991.
- 85- عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، 1980.
- 86- عبد الفتاح الحموز: المبتدأ والخبر في القرآن الكريم، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 1986.
- 87- عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1985.
- 88- عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2007.
- 89- عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2008.
- 90- عز الدين يلىق: موازين القرآن والسنة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، دار الفتح، بيروت، لبنان، ط2، 1986.
- 91- عمر أبو خرمة: نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2004.
- 92- عودة خليل أبو عودة: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، دار البشير، عمان، الأردن، ط2، 1994.
- 93- فاضل صلاح السامرائي: معاني النحو، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 2003.
- 94- فاوهر روجر: اللسانيات والرواية، ترجمة لحسن احمامة، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997.
- 95- فتحي رزق الخوالدة: تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، دار أزمنة، عمان، الأردن، ط1، 2006.
- 96- فولفجانج هاينه مان وديتر فيهفجير: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، دار النشر العلمي والمطابع، الرياض، السعودية، د.ط، 1999.
- 97- كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
- 98- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، إخراج: إبراهيم مصطفى وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004.
- 99- محمد أديب صالح: لحات في أصول الحديث والبلاغة النبوية، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، د.ط، 1968.
- 100- محمد الخطيب: أصول الحديث وعلومه، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط4، د.ت.
- 101- محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001.
- 102- محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
- 103- محمد العمري: البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1999.

- 104- محمد المدني: الإتحافات السنوية في الأحاديث القدسية، تصحيح وتعليق محمود أمين النواوي، دار الريان للتراث العربي، القاهرة، مصر، د.ط.ت.
- 105- محمد حسن الشريف: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
- 106- محمد حماسة عبد اللطيف: الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، دار غريب، القاهرة، مصر، د.ط، 2001.
- 107- محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، مصر، د.ط، 2003.
- 108- محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.
- 109- محمد عبد الله حبر: الضمائر في اللغة العربية، دار المعارف، مصر، ط1، 1983.
- 110- محمد علي أبو عباس: الإعراب الميسر، دار الطلائع، القاهرة، مصر، د.ط، 1997.
- 111- محمد عمر بازمول: شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، الدار الأثرية، عنابة، الجزائر، ط1، 2003.
- 112- محمد مفتاح: المفاهيم معالم، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997.
- 113- محمد مفتاح: دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط2، 1990.
- 114- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
- 115- مصطفى العدوي: صحيح الأحاديث القدسية، مطابع دار الصحافة، القاهرة، مصر، د.ط، 1999.
- 116- مصطفى حميدة: أساليب العطف في القرآن الكريم، شركة لونجمان، القاهرة، مصر، ط1، 1999.
- 117- مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، شركة لونجمان، القاهرة، مصر، ط1، 1997.
- 118- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط11، 2000.
- 119- ميشال فوكو: نظام الخطاب، ترجمة محمد بسيلة، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1984.

#### المراجع باللغة الأجنبية:

- 1- Adam Jean Michel, Linguistique textuelle: des genres de discours aux textes, Nathan, Paris, 1999.
- 2- Jean Dubois, Dictionnaire de linguistique et des science du langage, Larousse, Paris, 2001.
- 3- Halliday Michael Alexander Kirwood and Ruqaiya Hassan, Cohesion in English, Longman, London, 1987.
- 4- Robert Alain De Beaugrand and Wolfgang Dresslar, Introduction to text linguistics, Longman, London, 1<sup>st</sup> published, 1981.

#### الرسائل الجامعية:

- 1- مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008/2007.
- 2- نوال خلف، الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجاً، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007/2006.
- 3- حامد علي منيفي، الرابط اللفظي في لغة الحديث الشريف، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1999.
- 4- عادل زغير، الربط في الجملة العربية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، العراق، 1988.

#### المجلات المتخصصة:

- 1- مجلة التواصل، جامعة عنابة، الجزائر، العدد 14، سنة 2005، وفيها: مقال (من لسانيات الجملة إلى علم النص)، إعداد بشير إبرير.
- 2- مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، لبنان، العدد 5، سنة 1989، وفيها: مقال (عندما يكون الكلام هو الفعل)، إعداد حيل بلان، ترجمة جورج كنورة، ومقال (النص بناؤه ووظائفه)، إعداد تون فان دايك، ترجمة جورج أبو صالح.
- 3- مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، الجزائر، العدد 12، سنة 1997، وفيها: مقال (علم النص من التأسيس إلى التأصيل)، إعداد منور أحمد، ومقال (الخطاب والخطاب الأدبي وثورته اللغوية)، إعداد رابح بوحوش.
- 4- مجلة لغات، جامعة الجزائر، الجزائر، العدد 3، سنة 2004، وفيها: مقال (المقاربة التبليغية وتعليم اللغة وتعلمها)، إعداد الطاهر لوصيف.

## فهرس المحتويات

مقدمة.....أ.

### الفصل الأول: حول لسانيات النص

|          |                                              |
|----------|----------------------------------------------|
| 02.....  | أولاً- ماهية لسانيات النص.                   |
| 02.....  | 1- تعريف لسانيات النص.                       |
| 03.....  | 2- هدف لسانيات النص.                         |
| 06 ..... | 3- تطور لسانيات النص.                        |
| 14 ..... | ثانياً- إسهام التراث العربي في لسانيات النص. |
| 14.....  | 1- النقد.                                    |
| 17.....  | 2- اللغويون.                                 |
| 22.....  | 3- المفسرون.                                 |
| 26.....  | 4- المصنفون.                                 |
| 28.....  | ثالثاً- الحديث القدسي بين النص والخطاب.      |
| 28.....  | 1-تعريف النص والخطاب.                        |
| 33.....  | 2-الفرق بين النص والخطاب.                    |
| 36.....  | 3-تعريف الحديث القدسي.                       |
| 39.....  | 4-الحديث القدسي نص وخطاب.                    |

### الفصل الثاني: الاتساق والانسجام ودور الروابط فيهما

|         |                                     |
|---------|-------------------------------------|
| 43..... | أولاً- الاتساق وأدواته.             |
| 43..... | 1-تعريف الاتساق.                    |
| 45..... | 2-أدوات الاتساق.                    |
| 53..... | ثانياً- الانسجام وآلياته.           |
| 53..... | 1-تعريف الانسجام.                   |
| 54..... | 2-آليات الانسجام.                   |
| 66..... | ثالثاً-الفرق بين الاتساق والانسجام. |
| 68..... | رابعاً-الروابط وتصنيفها.            |
| 69..... | 1-تعريف الربط.                      |

|                                                                       |                                       |     |
|-----------------------------------------------------------------------|---------------------------------------|-----|
| 2-                                                                    | تعريف الروابط.....                    | 70  |
| 3-                                                                    | تصنيف الروابط.....                    | 71  |
| خامسا-                                                                | دور الروابط في الاتساق والانسجام..... | 80  |
| الفصل الثالث: دور الروابط الإحالية في اتساق وانسجام الحديث القدسي     |                                       |     |
| أولا-                                                                 | الضمائر.....                          | 86  |
| 1-                                                                    | مفهوم الضمائر.....                    | 86  |
| 2-                                                                    | تقسيمات الضمائر.....                  | 87  |
| 3-                                                                    | دور الضمير في الربط والإحالة.....     | 88  |
| ثانيا-                                                                | "أل" التعريف.....                     | 111 |
| 1-                                                                    | "أل" العهدية.....                     | 112 |
| 2-                                                                    | "أل" الجنسية.....                     | 116 |
| 3-                                                                    | "أل" النائبة عن الضمير.....           | 117 |
| ثالثا-                                                                | الموصلات الاسمية.....                 | 119 |
| رابعا-                                                                | أسماء الإشارة.....                    | 123 |
| الفصل الرابع: دور الروابط غير الإحالية في اتساق وانسجام الحديث القدسي |                                       |     |
| أولا-                                                                 | أدوات الشرط.....                      | 127 |
| ثانيا-                                                                | أدوات الاستفهام.....                  | 138 |
| ثالثا-                                                                | أدوات النفي.....                      | 149 |
| رابعا-                                                                | أدوات النداء.....                     | 157 |
| خامسا-                                                                | أدوات القسم.....                      | 162 |
| سادسا-                                                                | أدوات العطف.....                      | 171 |
| خاتمة.....                                                            |                                       | 179 |
| ملخص المذكرة باللغة الفرنسية.....                                     |                                       | 185 |
| قائمة المصادر والمراجع.....                                           |                                       | 186 |
| فهرس المحتويات.....                                                   |                                       | 193 |